

# كتاب الأربعين

في أصول الدين للامام الهمام حجة الاسلام

أبي حامد محمد بن محمد الغزالى المتوفي سنة ٥٠٥

---

قال في كشف الظنون وهو قسم من كتابه المسمى
بجواهر القرآن * وقد اجاز ان يكتب مفردا
فكتبوه وجعلوه كتابا مستقلا لهذا طبعناه مستقلا

---

طبع على نفقة حضرة الفاضل ﴿ الشيخ محي الدين ﴾
صبرى الكردي الكانيمشكاني

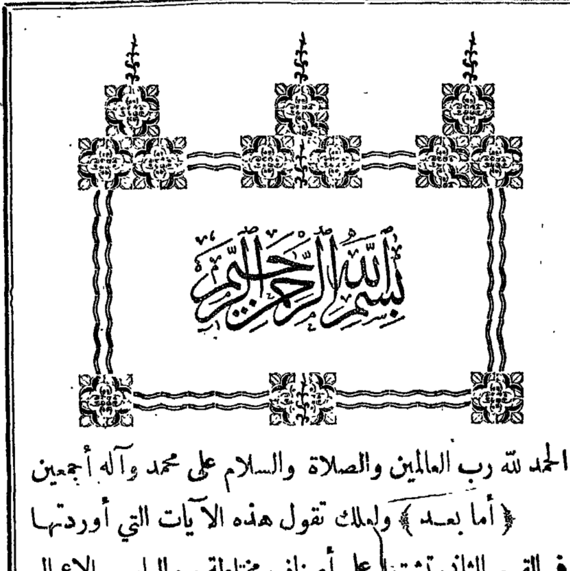
﴿ تنبيه ﴾

ليعلم ان النسخة التي طبع عليها هذا الكتاب من
أجل النسخ حيث كانت مكتوبة بخط أحد الائمة
الكبار في القرن السابع الاسلامى • وفضلا عن
ذلك قابلناها ببعض النسخ الموجودة بالعراق



---

طبع بمطبعة ﴿ كردستان العلمية ﴾ لصاحبها
فرج الله زكي الكردى بمصر * سنة ١٣٢٨




الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله أجمعين

﴿أما بعد﴾ ولعلك تقول هذه الآيات التي أوردتها في القسم الثاني تشتمل على أصناف مختلطة من العلوم والاعمال فهل يمكن تمييز مقاصدها وشرح جملها على وجه من التفصيل والتحصيل يمكن التفكر في كل واحدة منها على حيالها ليعلم الانسان تفصيل أبواب السعادة في العلم والعمل ويتيسر عليه تحصيل مفاتيحها بالمجاهدة والتفكر ﴿فاقول﴾ نعم ذلك يمكن فانه ينقسم جمل مقاصدها الى علوم وأعمال * والاعمال تنقسم

الى ظاهرة وباطنة * والباطنة تنقسم الى تزكية وتحلية فهي أربعة أقسام . علوم وأعمال ظاهرة وأخلاق مذمومة تجب التزكية عنها * وأخلاق محمودة تجب التحلية بها * وكل قسم يرجع الى عشرة أصول واسم هذا القسم ﴿ كتاب الأربعين في أصول الدين ﴾ فمن شاء أن يكتبه مفرداً فليكتب فانه يشتمل على زبدة علوم القرآن ﴿ القسم الاوّل ﴾ في جمل العلوم وأصولها وهي عشرة *

﴿ الأصل الاوّل في الذات ﴾

﴿ فنقول ﴾ الحمد لله الذي تعرف الى عباده بكتابه المنزل على لسان نبيه المرسل بانه في ذاته واحد لا شريك له . فرد لا مثل له . صمد لا ضد له . متوحد لا ند له . وأنه قديم لا أوّل له . أزلي لا بداية له . مستمر الوجود لا آخر له . أبديّ لا نهاية له . قيوم لا انقطاع له . دائم لا انصرام له . لم يزل ولا يزال موصوفا بنعوت الجلال لا يقضى عليه بالانقضاء والانفصال بتصرم الآماد وانقراض الآجال . بل هو الاوّل والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم *

## ﴿ الاصل الثاني في التقديس ﴾

وأنه ليس بجسم مصور . ولا جوهر محدود مقدر . وانه لا يماثل الاجسام لا في التقدير ولا في قبول الانقسام . وانه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ولا بعرض ولا تحله الاعراض بل لا يماثل موجوداً . ولا يماثله موجود . وليس كمثله شيء ولا هو مثل شيء * وانه لا يحده المقدار . ولا تحويه الاقطار ولا تحيط به الجهات . ولا تكتنفه السموات . وأنه مستو على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده استواء منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن والتحول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته . وهو فوق العرش وفوق كل شيء الى تخوم الثرى فوقية لا تزيده قربا الى العرش والسماء * بل هو رفيع الدرجات على العرش كما أنه رفيع الدرجات على الثرى وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو أقرب الى العبيد من حبل الوريد . وهو على كل شيء شهيد * اذ لا يماثل قربه قرب الاجسام كما لا يماثل ذاته ذات الاجسام * وأنه لا يحل

في شئ ولا يحل فيه شئ . تعالى عن أن يحويه مكان كما تقدس
عن أن يحده زمان بل كان قبل أن خلق الزمان والمكان . وهو
الآن على ما عليه كان . وانه باين بصفاته من خلقه ليس فى
ذاته سواه ولا في سواه ذاته * وأنه مقدس عن التغيير
والانتقال لا تحله الحوادث . ولا تعتريه العوارض بل لا يزال
في نعوت جلاله منزها عن الزوال * وفي صفات كماله مستغنيا
عن زيادة الاستكمال * وأنه في ذاته معلوم الوجود بالعقول مرئي
الذات بالابصار نعمة منه ولطفا بالابرار في دار القرار واتماما
للنعيم بالنظر الى وجهه الكريم *

## ﴿ الاصل الثالث فى القدرة ﴾

وأنه حي قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور ولا عجز ولا تأخذه سنة
ولا نوم . ولا يعارضه فناء ولا موت . وأنه ذو الملك والملكوت
والعزة والجبروت . له القدرة والسلطان والقهر والخلق والامر
والسموات مطويات بيمينه . والخلائق مقهورون في قبضته
وأنه المتفرد بالخلق والاختراع . المتوحد بالايجاد والابداع
خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم لا يشذ عن قبضته

مقدور ولا يعزب عن قدرته تصاريف الأمور . لا يحصى مقدوراته ولا يتناهى معلوماته *

## ﴿ الاصل الرابع فى العلم ﴾

وانه عالم بجميع المعلومات محيط بما يجري فى تخوم الارضين الى أعلى السموات . لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء . ويدرك حركة الذر في جو الهواء . ويعلم السر وأخفى . ويطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات السرائر بعلم قديم أزلي لم يزل موصوفا به في أزل الآزال لا بعلم متجدد حاصل فى ذاته بالتحول والانتقال *

## ﴿ الاصل الخامس في الارادة ﴾

وأنه مريد للكائنات مدبر للحادثات فلا يجرى في الملك والملكوت قليل ولا كثير ولا صغير ولا كبير * خير أو شر نفع أو ضر * ايمان أو كفر . عرفان * أو نكر . فوز أو خسر زيادة أو نقصان . طاعة أو عصيان . الا بقضائه وقدره وحكمه ومشيته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن . لا يخرج عن مشيته

لفتة ناظر ولا فلتة خاطر * بل هو المبدئ المعيد . الفعال لما يريد
لا رادّ لحكمه ولا معقب لقضائه . ولا مهرب لعبد عن معصيته
الا بتوفيقه ورحمته . ولا قوة له على طاعته الا بمعونته وارادته
لو اجتمع الانس والجن والملائكة والشياطين على ان يحركو
في العالم ذرة أو يسكنوها دون ارادته ومشيته عجزوا عن
ذلك * وان ارادته قائمة بذاته في جملة صفاته لم يزل كذلك
موصوفا بهـا مريداً في أزله لوجود الاشياء في أوقاتها التى
قدرها * فوجدت في أوقاتها كما أراده في أزله من غير تقدم
ولا تأخر * بل وقعت على وفق علمه وارادته من غير تبدل
ولا تغير * دبر الامور بلا ترتيب أفكار وتربص زمان فلذلك
لا يشغله شأن عن شأن *

﴿ اعلم ﴾ ان هذا المقام مزلة الاقدام . ولقد زلت فيه أقدام
الاكثرين لان تمام تحقيقه مستمد من تيّار بحر عظيم وراء
بحر التوحيد وهم يطلبونه بالبحث والجدال * ولقد قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ما ضل قوم بعد هدى الا أوتوا
الجدل ﴾ ويستدلون بآيات القرآن مأولين وليسوا من أهل

التأويل ولو نال كل واحد مقام التأويل لما قال صلى الله عليه وسلم داعيا لابن عباس رضى الله عنهما اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل • ولما قال يعقوب ليوسف على نبينا وعليهما السلام ﴿كذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث﴾ قال صاحب الكشاف فى تفسيرها يعني معاني كتب الله وسنن الانبياء عليهم السلام وما غمض واشتبه على الناس من أغراضها ومقاصدها تفسرها لهم وتشرحها • وتدلهم على مودعات حكمها * وانما زلت أقدام الاكثرين في هذا المقام لانهم يتبعون الذين يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم * وهؤلاء ليسوا براسخين فيه بل هم قاصرون عاجزون فلقصورهم لم يطيقوا ملاحظة كنه هذا الامر • فألجموا عما لم يطيقوا خوض غمراته بلجام المنع مع سائر القاصرين • فقيل لهم اسكتوا فما لهذا خلقتم لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون * عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتنازع في القدر • فغضب عليه السلام حتى احمرّ وجهه الشريف • فقال أبهذا أمرتم أم

بهـذا أرسلت اليكم انما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هـذا الامر . عزمت عليكم عزمت عليكم فى هـذا الامر ان لا تنازعوا فيه * وعن أبي جعفر قال قلت ليونس بن عبيد مررت بقوم يختصمون فى القـدر . فقال لو همتهم ذنوبهم ما اختصموا فى القدر . وامتلأ مشكاة بعضهم نوراً مقتبسا من نور الله . وكان زيتهم صافيا حتى يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار فاشتعل نوراً على نور فاشرقت أقطار الملـكوت بين أيديهم بنور ربها فادركوا الامور كما هي عليه . فقيل لهم تأدبوا بآداب الله واسكتوا واذا ذكر القدر فامسكوا — فلذلك أمسك عمر لما سئل عن القدر فقال للسائل بحر عميق لا تلجه . ولما كرر السؤال فقال طريق مظلم لا تسلكه . ولما كرر ثالثا . فقال سر الله قد خفي عليك فلا تفتشه . ومن أراد معرفة أسرار الملـكوت فليلازم بابهم بالمحبة والاخلاص والصـدق والاعراض عن أعدائهم . والامتثال باوامرهم والسعي فيما يرضيهم — وكذلك من أحب معرفة أسرار الربوبية فليلازم باب الله عز وجل بالمحبة والاخلاص والصدق والتعظيم والحياء والامتثال بالاوامر والانتهاء عن المعاصي

والمجاهدة والاقبال بكنه الهمة والتعرض لنفحاته لقوله عليه السلام ان لربكم في أيام دهركم نفحات . ألا فتعرضوا لها والسعي فيما يرضي وان لم يطق ذلك فعليه أن يعتقد في هـذا البحث ما عليه أبو حنيفة رحمه الله وأصحابه . حيث قالوا احداث الاستطاعة في العبد فعل الله . واستعمال الاستطاعة المحدثة فعل العبد حقيقة لا مجازاً ﴿ والقدرية ﴾ انكروا قضاء الله ورأوا الخير والشر من أنفسهم أرادوا بذلك تنزيه الله عن الظلم وفعل القبيح * ولـكنهم ضلوا اذ نسبوا العجز الى الله تعالى في ضمن ذلك ولم يدروا ﴿ والجبرية ﴾ اعتمدوا على القضاء ورأوا الخير والشر من الله ولم يروا من أنفسهم فعلا كما لم يروا من الجمادات أرادوا بذلك تنزيه الله تعالى عن العجز فضلوا اذ نسبوا الظلم اليه تعالى في ضمن ذلك وأضلوا سفهاءهم . فـكانوا يعصون الله وينسبون الى الله ويبرؤن أنفسهم عن الذم واللوم كالشيطان حيث قال * فبما أغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم ﴿ فالحاصل أن القدرية ﴾ أثبتوا الاختيار الـكلي للعبد في جميع أفعال العباد وأنكروا قضاء الله تعالى وقدره بالـكلية في الافعال الاختيارية * ﴿ والجبرية ﴾ نفوا

الاختيار بالكلية في أفعال العباد واعتمدوا على القضاء والقدر فينبغي للباحث معهم أن يضربهم ويمزق ثيابهم وعمايمهم ويخدش وجوههم وينتف أشعارهم وشواربهم ولحاهم ويعتذر بما اعتذر هؤلاء السفهاء في سائر أفعالهم القبيحة الصادرة منهم ﴿ والمعتزلة ﴾ أضافوا الشر فقط الى أنفسهم . وأثبتوا لانفسهم الاختيار الكلي تحرزاً عن نسبة القبيح والظلم الى الله ولكن نسبوا الى الله العجز في ضمن ذلك ولم يدروا *فتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً* ﴿ وأما أهل السنة ﴾ والجماعة فتوسطوا بينهم فلم ينفوا الاختيار عن أنفسهم بالكلية ولم ينفوا القضاء والقدر عن الله تعالى بالكلية . بل قالوا أفعال العباد من الله من وجه ومن العبد من وجه وللعبد اختيار في ايجاد أفعاله*

﴿ واعلم ﴾ أن قضاء الله تعالى على أربعة أوجه قضاء الطاعات وقضاء المعاصي وقضاء النعم وقضاء الشدائد* والمذهب المستقيم في ذلك اذا قضى للعبد الطاعة فعليه أن يستقبله بالجهد والاخلاص حتى يكرمه الله بالتوفيق والهداية لقوله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ) يعني الذين جاهدوا في طاعتنا وفي ديننا لنوفقنهم لذلك

واذا قضى المعصية فعليه أن يستقبله بالاستغفار والتوبة والندامة من صميم الفؤاد لقوله تعالى ( ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ) واذا قضى النعمة فعليه أن يستقبله بالشكر والسخاء حتى يكرمه بالزيادة لقوله تعالى ( لئن شكرتم لأزيدنكم ) واذا قضى الشدة فعليه أن يستقبله بالصبر والرضاء حتى يعطيه الكرامة فى الدار الآخرة لقوله تعالى ( ان الله يحب الصابرين ) وقال ( انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ) وذكر الفاضل الامام مولانا علاء الدين في شرحه للمصابيح * الفرق بين القضاء والقدر هو أن القضاء وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ اجمالا لا تفصيلا * والقدر هو تفصيل قضائه السابق بايجادها فى المواد الخارجية واحدا بعد واحد * وقيل القضاء هو الارادة الأزلية والعناية الالهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص . والقدر تعلق تلك الارادة بالاشياء فى أوقاتها الخاصة * ثم ان المسلمين فى القدر على اختلاف *

﴿منهم﴾ من ذهب الى ان كلّ ما يجري في العالم من الخير والشرّ والأفعال والأقوال بقضاء الله وقدره ولا اختيار للعباد فيه

ويسمى هذا القوم جبرية * والجبر هو القهر والاكراه
فيقولون اجبر الله عباده على أقوالهم وأفعالهم من غير اختيار
منهم فيها * ويزعمون ان اضافتها اليهم اضافتها الى الجمادات
في مثل قولنا دارت الرحا وجرى الميزاب * وهذا المذهب
باطل لانهم ان قالوا هذا القول ليسقطوا من أنفسهم
التكاليف * وشبهوا أنفسهم بالصبيان والمجانين في عدم جريان
الخطاب بهم . فقد كفروا لأن مذهبهم يفضي الى ابطال
الكتب والرسل وان قالوا ذلك لتعظيم الله وتحقير أنفسهم
وعجزهم عن دفع قضاء الله . فهم مبتدعون لمخالفتهم الاجماع
﴿ ومنهم ﴾ من ذهب الى ان كل مايصدر عن العباد عقيب
قصدهم وارادتهم يكون واقعا بقدرتهم واختيارهم ولا يتعلق
بها بخصوصها قدرة الله وارادته * ويسمى هؤلاء قدرية
لنفيهم القدر لا لاثباتهم — وهذا المذهب أيضاً باطل لانهم ان
قالوا هذا القول عن اعتقاد جواز العجز عن التقدير لله تعالى
فهم كافرون * تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً * وان قالوا
عن خطأ اجتهاداتهم وتنزيه الحق عن تقدير أفعالهم القبيحة

وخلقها * فهم مبتدعون لمخالفتهم الاجماع ﴿ومن هذه الطائفة﴾ من يقول الخير بتقدير الله والشر ليس بتقديره (والمذهب الحق) هو ان المؤثر مجموع القدرتين قدرة الله وقدرة العباد * فالافعال الصادرة عن العباد كلها بقضاء الله وقدره * ولكن للعباد اختيار . فالتقدير من الله والكسب من العباد — وهذا المذهب وسط بين الجبر والقدر * وعليه اهل السنة والجماعة انتهى كلامه وذكرنا ﴿في كتاب المقصد الاقصى﴾ تدبير رب الارباب ومسبب الاسباب اصل وضع الاسباب ليتوجه الي المسببات حكمهُ ونصبهُ الاسباب الكلية الاصلية الثابتة المستقرة التى لا تزول ولا تحول كالارض والسموات السبع والكواكب والافلاك وحركاتها المتناسبة الدائمة التي لا تتغير ولا تنعدم الى ان يبلغ الكتاب أجله . قضاؤه كما قال فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها . وتوجيهه هذه الاسباب بحركاته المناسبة المحدودة المقدرة المحسوبة الى مسببات الحادثة منها لحظة بعد لحظة قدره * فالحكم هو التدبير الاول الكلي والامر الازلي الذي هو كلمح البصر ﴿والقضاء﴾ هو الوضع

الكلي للاسباب الكلية الدائمة ﴿والقدر﴾ هو توجيه الاسباب الكلية بحركاتها المقدرة المحسوبة الى مسبباتها المعدودة المحدودة بقدر معلوم لا يزيد ولا ينقص — ولذلك لا يخرج شيء عن قضائه وقدره * ولا تفهم ذلك الا بمثال ولعلك شاهدت صندوق الساعات التى بها تعرف أوقات الصلوات وان لم تشاهده . فجملة ذلك انه لا بد فيه من آلة على شكل اسطوانة تحوي مقدارا من الماء معلوما . وآلة أخرى مجوفة موضوعة فيها فوق الماء وخيط مشدود احد طرفيه فى هذه الآلة المجوفة . وطرفه الآخر فى أسفل ظرف صغير موضوع فوق الآلة المجوفة وفيه كرة وتحته طاس بحيث لو سقطت الكرة وقعت في الطاس وسمع طنينها ثم تثقب اسفل الآلة الاسطوانية ثقبا بقدر معلوم ينزل الماء منه قليلا قليلا * فاذا انخفض الماء انخفضت الآلة المجوفة الموضوعة على وجه الماء فامتد الخيط المشدود بها فحرك الطرف الذي فيه الكرة تحريكا يقربه من الانتكاس الى أن ينتكس فيتدحرج منه الكرة وتقع في الطاس وتطن

وعنـد انقضاء كل ساعة تقع واحدة * وانما يتقدر الفصـل
بين الوقعتين بتقدير خروج الماء وانخفاضه — وذلك بتقدير
سعة الثقب الذي يخرج منـه المـاء ويعرف ذلك بطريق
الحساب . فيكون نزول المـاء بمقدار مقدر معـلوم بسبب
تقدير سعة الثقبة بقدر معلوم . ويكون انخفاض اعلى المـاء
بذلك المقدار وبه يتقدر * وانخفاض الآلة المجوفة وانجرار
الخيط بهـا المشدود . وتولد الحركة في الظرف الذي فيـه
الـكرة * وكل ذلك يتقدر بتقدر سببه لا يزيد ولا ينقص
ويمكن أن يجعـل وقوع الـكرة في الطـاس سبباً لحركة
أخرى . ويكون الحركة الاخرى سبباً لحركة ثالثة — وهكذا
الى درجات كثيرة حتى يتولد منها حركات عجيبـة مقـدرة
بمقادير محدودة . وسببها الأول نزول الماء بقدر معلوم . فاذا
تصورت هذه الصورة ﴿فاعلم﴾ ان واضعها يحتاج الى ثلاثة
أمور ﴿أولها﴾ التدبير وهو الحكم بانه ما الذي ينبغي أن يكون من
الآلات والأسباب والحركات حتى يؤدي الى حصول ما ينبغي
أن يحصل . وذلك هو الحكم ﴿والثاني﴾ ايجاد هذه الآلات

التي هى الأصول * وهي الآلة الاسطوانية لتحوى الماء والآلة المجوفة لتوضع على وجه الماء . والخيط المشدود بها والظرف الذى فيه الكرة والطاس الذى تقع فيه الكرة — وذلك هو القضاء ﴿ الثالث ﴾ نصب سبب يوجب حركة مقدرة محسوبة محدودة وهو ثقب اسفل الآلة ثقبة مقدرة السعة ليحدث بنزول الماء منها حركة فى الماء تؤدي الى حركة وجه الماء بنزوله * ثم الى حركة الالة المجوفة الموضوعة على وجه الماء بنزوله * ثم الى حركة الخيط * ثم الى حركة الظرف الذي فيه الكرة * ثم الى حركة الكرة * ثم الى الصدمة بالطاس اذا وقع * ثم الى الطنين الحاصل منها * ثم الى تنبيه الحاضرين واستماعهم * ثم الى حركاتهم في الاشتغال بالصلوات والأعمال عند معرفتهم بانقضاء الساعة * وكل ذلك يكون بقدر معلوم ومقدار مقدر بسبب تقدر جميعها بقدر الحركة الاولى . وهى حركة الماء * فاذا فهمت ان هذه الآلات اصول لابد منها للحركة * وان الحركة لابد من تقدرها ليتقدر مايتولد منها فكذلك فافهم حصول الحوادث المقدر التى لايتقدم منها شيء

ولا يتأخر اذا جاء أجلهم أى حضر سببها * وكل ذلك بمقدار
المعلوم ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا *
فالسموات والأفلاك والكواكب والأرض والبحر والهواء
وهذه الأجسام العظام في العالم كتلك الآلات * والسبب
المحرك للافلاك والكواكب والشمس والقمر بحساب معلوم
كتلك الثقبة الموجبة لنزول الماء بقدر معلوم * وافضاء حركة
الشمس والقمر والكواكب الى حصول الحوادث فى الارض
كافضاء حركة الماء الى حصول تلك الحركات المفضية الى
سقوط الكرة المعرّفة لا نقضاء الساعة * ومثال تداعى حركات
السماء الى تغيير الارض هو ان الشمس بحركتها اذا بلغت الى
المشرق فاستضاء العالم وتيسر على الناس الابصار * فيتيسر
عليهم الانتشار في الأشغال * فاذا بلغ المغرب تعذر عليهم
ذلك فيرجعوا الى المساكن * واذا قربت من وسط السماء
وسامتت رؤس أهل الأقاليم حمي الهواء واشتد القيظ
وحصل نضج الفواكه * واذا بعدت حصل الشتاء واشتد
البرد * واذا توسطت حصل الاعتدال فظهر الربيع وانبتت

الارض وظهرت الخضرة * وقس بهذه للمشهورات التى تعرفها الغرايب التى لاتعرفها * فاختلاف هذه الفصول كلها مقدرة بقدر معلوم لانها منوطة بحركات الشمس والقمر ﴿والشمس والقمر بحسبان﴾ اى حركتهما بحساب معلوم — فهذا هو التقدير * ووضع الاسباب الكلية هو القضاء والتدبير الاول الذي هو كلمح البصر هو الحكم * وكما ان حركة الآلة والخيط والكرة ليست خارجة عن مشية واضع الآلة * بل ذلك هو الذي اراد بوضع الآلة — فكذلك كل ما يحدث فى العالم من الحوادث شرها وخيرها نفعها وضرها غير خارج عن مشية الله تعالى * بل ذلك مراد الله تعالى ولأجله دبر اسبابه * وتفهيم الامور الالهية بالامثلة العرفية عسير * ولكن المقصود من الامثلة التنبيه * فدع المثال وتنبه للغرض * واحذر من التمثيل والتشبيه *

## ﴿ الاصل السادس فى السمع والبصر ﴾

وأنه تعالى سميع بصير يسمع ويرى لا يعزب عن سمعه مسموع وان خفى . ولا يغيب عن رؤيته مرئى وان دق . ولا يحجب

سمعه بعد ولا يدفع رؤيته ظلام* يرى من غير حدقة ولا أجفان ويسمع من غير أصمخة ولا آذان كما يعلم من غير قلب ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير آلة اذ لا تشبه صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذاته ذات الخلق *

﴿ الاصل السابع في الكلام ﴾

وأنه متكلم آمر ناهي واعد متوعد بكلام أزلي قديم* قائم بذاته لا يشبه كلامه كلام الخلق كما لا يشبه ذاته ذوات الخلق فليس بصوت يحدث من انسلال هواء واصطكاك اجرام . ولا حرف ينقطع باطباق شفة أو تحريك لسان . وان القرآن والتوراة والانجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله . وأن القرآن مقروء بالالسنة مكتوب في المصاحف محفوظ في القلوب وأنه مع ذلك قديم قائم بذات الله تعالى لا يقبل الانفصال والافتراق بالانتقال الى القلوب والاوراق وأن موسى عليه السلام سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف كما يرى الابرار ذات الله سبحانه من غير جوهر ولا شكل ولا لون ولا عرض* واذا كانت له هذه الصفات كان حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما

بالحيوة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام لا بمجرد الذات

## ﴿الاصل الثامن فى الأفعال﴾

وأنه لا موجود سواه الا وهو حادث بفعله وفائض من عدله على أحسن الوجوه وا كملها وأتمها وأعدلها . وأنه حكيم في أفعاله . عادل فى أقضيته . لا يقاس عدله بعدل العباد . اذالعبد يتصور منه الظلم بتصرفه فى ملك غيره ولا يتصور الظلم من الله تعالى سبحانه فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما . فكل ماسواه من انس وجن وشيطان وملك وسماء وأرض وحيوان ونبات وجوهر وعرض ومدرك ومحسوس حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعا وانشاء بعد ان لم يكن شيئاً اذ كان في الازل موجودا وحده ولم يكن معه غيره . فاحدث الخلق اظهارا لقدرته وتحقيقا لما سبق من ارادته ولماحق في الازل من كلمته (وهى قوله كنت كنزا مخفياً فأحببت أن أعرف) لا لافتقاره اليه ولا لحاجته وأنه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب ومتطول بالانعام

والاصلاح لا عن لزوم * فله الفضل والاحسان والنعمة والامتنان اذ كان قادرا على أن يصب على عباده أنواع العذاب ويبتليهم بضروب الآلام والاوصاب * ولو فعل ذلك لكان منه عدلا ولم يكن منه قبيحا ولا ظلما . وأنه يثيب عباده على الطاعات بحكم الكرم والعدل لا بحكم الاستحقاق واللزوم . اذ لا يجب عليه فعل ولا يتصور منه ظلم ولا يجب لأحد عليه حق وان حقه في الطاعات وجب على الخلق بايجابه على لسان أنبيائه لا بمجرد العقل * ولكنه بعث الرسل وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة فبلغوا أمره ونهيه ووعده ووعيده * فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاؤا به *

## ﴿ الاصل التاسع في اليوم الآخر ﴾

وأنه يفرق بالموت بين الارواح والاجسام ثم يعيدها اليها عند الحشر والنشور فيبعث من في القبور ويحصل ما في الصدور * فيرى كل مكلف ما عمله من خير أو شر محضراً ويصادف دقيق ذلك وجليه مسطراً * في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها * ويعرف كل واحد مقدار عمله

خيره وشره بمعيار صادق يعبر عنه بالميزان وان كان لا يساوي
ميزان الاعمال ميزان الاجسام الثقال كما لا يساوي الاصطرلاب
الذي هو ميزان المواقيت والمسطرة التي هي ميزان المقادير
والعروض الذي هو ميزان الاشعار سائر الموازين * ثم يحاسبهم
على أفعالهم وأقوالهم وسرائرهم وضمائرهم ونياتهم وعقائدهم مما
أبدوه أو أخفوه . فانهم يتفاوتون فيه الى مناقش في الحساب والى
مسامح فيه والى من يدخل الجنة بغير حساب * وانهم يساقون
الى الصراط وهو جسر ممدود بين منازل الاشقياء ومنازل
السعداء . أحدّ من السيف . وأدق من الشعر . يخف عليه من
استوى في الدنيا على الصراط المستقيم الذي يوازيه في الخفاء
والدقة ويتعثر به من عدل عن سواء السبيل المستقيم الا من عفى عنه
بحكم الكرم * وأنهم عند ذلك يسئلون فيسئل من شاء من الانبياء
عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين
ومن شاء من المبتدعة عن السنة * ومن شاء من المسلمين عن
أعمالهم . فيسئل الصادقين عن صدقهم . والمنافقين عن نفاقهم *
ثم يساق السعداء الى الرحمن وفدا * والمجرمون الى جهنم

وردا * ثم يأمر باخراج الموحدين من النار بعد الانتقام حتي لا يبقى فى النار من في قلبه مثقال ذرة من الايمان ويخرج بعضهم قبل تمام العقوبة والانتقام بشفاعة الانبياء والعلماء والشهداء * ومن له رتبة الشفاعة * ثم يستقرا أهل السعادة فى الجنة منعمين أبد الآبدين . ممتعين بالنظر الى وجه الله تعالى * ويستقر أهل الشقاوة فى النار مرددين تحت أنواع العذاب . مبعدين عن النظر بالحجاب الى وجه الله تعالى ذي الجلال والاكرام *

## ﴿ الاصل العاشر فى النبوة ﴾

وأنه تعالى خلق الملائكة وبعث الانبياء . وأيدهم بالمعجزات وأن الملائكة كلهم عباده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون * يسبحون الليل والنهار لا يفترون . وأن الانبياء رسله الى خلقه . وينتهى اليهم وحيه بواسطة الملائكة فينطقون عن وحي يوحي لا عن الهوى * وأنه بعث النبي الامي القرشي محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم برسالته الى كافة العرب والعجم والجن والانس فنسخ بشرعه الشرائع . وجعله سيد البشر

ومنع كمال الايمان بشهادة التوحيد . وهو قوله لا اله الا الله ما لم يقترن بها شهادة الرسول * وهو قوله محمد رسول الله والزم الخلق تصديقه في جميع ما أخبر به عنه في أمر الدنيا والآخرة والزمهم اتباعه والاقتداء به فقال ( وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ) فلم يغادر شيئا يقربهم من الله سبحانه الا أمرهم به ودلهم على سبيله . ولا شيئا يقربهم الى النار ويبعدهم عن الله تعالى الا نهاهم عنه وعرفهم طريقه . وان ذلك أمور لا يرشد اليها مجرد العقل والرأي والذكاء بل هي اسرار يكاشف بها من حظيرة القدس قلوب الانبياء . والحمد لله على ما أرشد وهدى وأظهر من أسمائه الحسنى * وصفاته العليا * والصلاة والسلام على محمد المصطفى خاتم الانبياء وعلى آله وأصحابه وسلم كثيرا آمين يارب العالمين *

﴿ خاتمة في التنبيه على الكتب التي تطلب فيها حقيقة هذه العقيدة ﴾

﴿ اعلم ﴾ أن ما ذكرناه هو الحاصل من علوم القرآن أعني جمل ما يتعلق منها بالله واليوم الآخر وهي ترجمة العقيدة التي لا بد أن ينطوي عليها قلب كل مسلم بمعنى أنه يعتقده ويصدق به

تصديقا جزما ووراء هذه العقيدة الظاهرة رتبتان ﴿أحداها﴾ معرفة أدلة هذه العقيدة الظاهرة من غير خوض على اسرارها ﴿والثانية﴾ معرفة أسرارها ولباب معانيها وحقيقة ظواهرها والرتبتان جميعاً ليستا واجبتين على جميع العوام * أعني ان نجاتهم في الآخرة غير موقوفة عليهما . ولا فوزهم موقوف عليهما * وانما الموقوف عليهما كمال السعادة * وأعني بالنجاة الخلاص من العذاب وأعني بالفوز الحصول على أصل النعيم * وأعني بالسعادة نيل غايات النعيم * فالسلطان اذا استولى على بلدة وفتحها عنوة * فالذي لم يقتله ولم يعذبه فهو ناج وان أخرجه عن البلدة * والذي لم يعذبه ومع ذلك مكنه من المقام في بلدته مع أهله وأسباب معيشته فهو مع ذلك فائز بالنجاة * والذي خلع عليه وأشركه في ملكه واستخلفه في مملكته وأمارته فهو مع النجاة والفوز سعيد * ثم زيادة درجات السعادات لا تنحصر * واعلم أن الخلق في الآخرة ينقسمون الى هذه الاصناف بل الى أصناف اكثر منها * وقد شرحنا ما امكن من شرحها في كتاب التوبة فاطلبه فيه ﴿والرتبة الاولى﴾ من الرتبتين وهي معرفة أدلة هذه العقيدة * وقد أودعناها الرسالة

القدسية فى قدر عشرين ورقة * وهى أحد فصول كتاب قواعد العقائد من كتاب الاحياء * وأما أدلتها مع زيادة تحقيق وزيادة تأنق فى ايراد الاسئلة والاشكالات * فقد أودعناها ﴿ في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد ﴾ في مقدار مائة ورقة فهو كتاب مفرد برأسه يحوي لباب علم المتكلمين ٠ ولكنه أبلغ فى التحقيق وأقرب الى قرع أبواب المعرفة من الكلام الرسمي الذي يصادف في كتب المتكلمين * وكل ذلك يرجع الى الاعتقاد لا الى المعرفة * فان المتكلم لا يفارق العامي الا في كونه عارفا وكون العامى معتقداً بل هو أيضاً معتقد عرف مع اعتقاده أدلة الاعتقاد ليؤكد الاعتقاد ويستمره ويحرسه عن تشويش المبتدعة ولا تنحل عقيدة الاعتقاد الى انشراح المعرفة * فان أردت أن تستنشق شيئاً من روائح المعرفة صادفت منها مقدارا يسيرا مثبوتا في كتاب الصبر والشكر ٠ وكتاب المحبة وباب التوحيد من أول كتاب التوكل وجملة ذلك من كتاب الاحياء ٠ وتصادف منها قدرا صالحا يعرفك كيفية قرع باب المعرفة في كتاب المقصد الاقصى في معاني

أسماء الله الحسنى — لا سيما في الاسماء المشتقة من الافعال وان أردت صريح المعرفة بحقائق هذه العقيدة من غير مجمجة ولا مراقبة . فلا تصادفه الا في بعض كتبنا المضنون بها على غير أهلها * وإياك أن تغتر وتحدث نفسك بأهليته فتشرئب لطلبه . فتستهدف للمشافهة بصريح الرد الا أن تجمع ثلاث خصال ﴿ احداها ﴾ الاستقلال في العلوم الظاهرة ونيل رتبة الامامة فيها ﴿ والثانية ﴾ انقلاع القلب عن الدنيا بالكلية بعد محو الاخلاق الذميمة حتى لا يبقى فيك تعطش الا الى الحق . ولا اهتمام الا به . ولا شغل الا فيه ولا تعريج الا عليه * ﴿ والثالثة ﴾ أن يكون قد أتيح لك السعادة في أصل الفطرة بقريحة صافية وفطنة بليغة لا تكل عن درك غوامض العلوم ومشكلاتها على سبيل البديهة والمبادرة فان البليد اذا أتعب خاطره وأكد نفسه ربما أدرك بعض الغوامض أيضاً ولكن يدرك منها شيئا يسيرا في مدة طويلة فلن يصلح لاقتباس المعرفة الحقيقية الا قلب صاف كأنه مرآة مجلوة . وانما يصير كذلك بقوة الفطرة وصحة القصد * ثم بازالة كدورات الدنيا عن

وجهه فانه الرين والطبع الذي يمنع الله به القلوب عن معرفته وأن الله يحول بين المرء وقلبه * ﴿القسم الثاني في الاعمال الظاهرة﴾ وهي عشرة أصول *

﴿ الاصل الاول في الصلاة ﴾

قال الله تعالى ( وأقم الصلاة لذكري ) وقال النبي عليه السلام الصلاة عماد الدين * واعلم أنك في صلاتك مناج ربك فانظر كيف تصلي * وحافظ فيها على ثلاثة أمور لتكون من جملة المحافظين على الصلاة والمقيمين لها فان الله تعالى انما يأمر بالاقامة ويقول ﴿ أقم الصلاة وأقيموا الصلاة ﴾ وليس يقول صل أو صلوا * ويثني على المحافظين على الصلاة فيقول (والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون ) * ﴿ الاول ﴾ المحافظة على الطهارة بان يسبغ الوضوء قبل الصلاة واسباغها أن يأتي بجميع سننها وأذكارها المروية عند كل وظيفة منها ويحتاط أيضا في طهارة ثيابه وطهارة بدنه وطهارة الماء الذي يتوضأ به احتياطا لا ينفتح عليه باب الوسواس فان الشيطان يوسوسه في الطهارة فيضيع اكثر أوقات العبادة *

﴿واعلم﴾ أن المقصود من طهارة الثوب وهو القشر الخارج ثم من طهارة البدن وهو القشر القريب * ثم طهارة القلب وهو اللب الباطن * وطهارة القلب عن نجاسات الاخلاق المذمومة أهم الطهارة كما سنذكرها في القسم الثالث لكن لا يبعد أن يكون لطهارة الظاهرة أيضا تأثير في اشراق نورها على القلب * فانك اذا أسبغت الوضوء واستشعرت نظافة ظاهرك صادفت في قلبك انشراحا وصفاء كنت لا تصادفه من قبل — وذلك لسر العلاقة التى بين عالم الشهادة وعالم الملكوت . فان ظاهر البدن من عالم الشهادة . والقلب من عالم الملكوت باصل فطرته * وانما هبوطه الي عالم الشهادة كالغريب عن جبلته وكما تنحدر من معارف القلب آثار الى الجوارح — فكذلك يرتفع من أحوال الجوارح أنوار الى القلب — ولذلك أمروا بالصلاة مع أنها حركات الجوارح التي هي من عالم الشهادة * ولذلك جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا ومن الدنيا * وقال حبب الىّ من دنيا كم ثلاث الحديث * فلا يستبعد أن يفيض من طهارة الظاهر أثر

على الباطن * ففي بدائع صنع الله أمور أعجب من هـذا اذ قد عرف بالتجربة ان المجامع في حال المباشرة لو أدمن النظر الى بياض مشرق أو حمرة قانية حتى غلبت تلك الصورة على نفسه مال لون المولود الى ذلك اللون الذي غلب عليه * وان الجنين أول ما يتحرك في البطن تميل صورته الى الحسن ان كانت الأم مشاهدة في تلك الحالة لصورة حسنة بحيث غلبت تلك الصورة على نفسها * ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المباشر عند مباشرته أن يحضر في قلبه ارادة اصلاح المولود * ويدعو الله بذلك فيقول * اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان عما رزقتنا * حتى يفيض الله سبحانه مبادي الصلاح على الروح التي يخلقها عند القاء البذر في محل الحرث بواسطة الصلاح الغالب على قلب الحارث كما يفيض الله النور بواسطة المرآة المحاذية للشمس على بعض الاجسام المحاذية للمرآة * وهذا الآن نقرع بابا عظيما من معرفة عجائب صنع الله في الملك والملكوت . والى قريب منه يرجع سر الشفاعة في الآخرة فلنتجاوزه . فغرضنا الآن ذكر الاعمال دون

المعارف* وقد أشممناك شيئاً يسيراً من أسرار الطهارة الظاهرة*
فان كنت لا تصادف بعد الطهارة واسباغ الوضوء شيئاً
من الصفاء الذي وصفناه * فاعلم أن الدرن الذي عرض على
قلبك من كدورات شهوات الدنيا وشواغلها اقتضى كلال
حس القلب فصار لا يحس باللطائف . والاشياء الخفية اللطيفة
ولم يبق في قوته الا ادراك الجليات ان بقي *فاشتغل بجلاء قلبك
وتصفيته — فذلك أوجب عليك من كل ما أنت فيه *
﴿ المحافظة الثانية ﴾ أن تحافظ على سنن الصلاة وأعمالها الظاهرة
وأذكارها وتسبيحاتها حتى تأتي فيها بجميع السنن والآداب
والهيئات كما جمعناها في ﴿ كتاب بداية الهداية ﴾ فان لكل واحد
منها سراً وله تأثير في القلب كما نبهنا عليه في تأثير الطهارة بل
أشد وأبلغ وشرح ذلك يطول *وأنت اذا أتيت بذلك انتفعت
به وان لم تعلم اسراره كما ينتفع شارب الدواء بشربه وان لم
يعرف طبائع اخلاطه ووجوه مناسبته لمرضه ﴿ واعلم ﴾ أن الصلاة
صورة صوّرها رب الارباب كما صور الحيوان مثلا * فروحها
النية والاخلاص وحضور القلب * وبدنها الاعمال *وأعضاؤها

الاصلية الاركان* وأعضاؤها الكمالية الابعاض* فالاخلاص والنية فيها يجري مجرى الروح * والقيام والقعود يجري مجرى البدن *والركوع والسجود يجري مجرى الرأس واليدوالرجل واكمال الركوع والسجودوالطمأنينة وتحسين الهيئة يجري مجرى حسن الاعضاء وحسن اشكالها وألوانها* والاذكار والتسبيحات المودعة فيها تجري مجرى آلات الحس المودعة في الرأس والاعضاء كالعينين والاذنين وغيرهما * ومعرفة معاني الاذكار وحضور القلب عندها يجري مجرى قوة الحس المودعة في آلات الحسي كقوة السمع وقوة البصر والشم والذوق واللمس في معادنها *

﴿واعلم﴾ أن تقربك بالصلاة كتقرب بعض خدم السلطان باهداء وصيفة الى السلطان ﴿واعلم﴾ أن فقد النية والاخلاص من الصلاة كفقد الروح من الوصيفة *والمهدي للجيفة الميتة مستهزئ بالسلطان * فيستحق سفك الدم * وفقد الركوع والسجود يجري مجرى فقد الاعضاء * وفقد الاذكار يجري مجرى فقدالعينين من الوصيفة * وجدع الانف

والاذنين وعدم حضور القلب في غفلته عن معرفة معان القرآن والاذكار كفقد السمع والبصر مع بقاء جرم الحدقة والاذن * ولا يخفى عليك أن من أهدى وصيفة بهذه الصفة كيف يكون حاله عند السلطان ﴿ واعلم ﴾ أن قول الفقيه في الصلاة الناقصة الفاظها وسننها أنها صحيحة كقول الطبيب في الوصيفه المقطوعة أطرافها أنها حية وليست بميتة * فان كان ذلك كافيا في التقرب بها الى السلطان ونيل الكرامة منه ﴿ فاعلم ﴾ أن الصلاة الناقصة صالحة أيضاً للتقرب بها الى الله سبحانه ونيل الكرامة وان أوشك أن ترد ذلك على المهدي ويزجر فلا يبعد مثل ذلك في الصلاة * فانها قد تردّ على المصلي كالخرقة الخلقة كما ورد في الخبر ﴿ واعلم ﴾ أن أصل الصلاة التعظيم والاحترام واهمال آداب الصلاة يناقض التعظيم والاحترام ﴿ المحافظة الثالثة ﴾ أن تحافظ على روح الصلاة وهي الاخلاص وحضور القلب في جملة الصلاة واتصاف القلب في الحال بمعانيها * فلا تسجد ولا تركع الا وقلبك خاشع متواضع على موافقة ظاهرك * فان المراد خضوع القلب لا خضوع البدن * ولا تقول ﴿ الله اكبر ﴾ وفي قلبك شيء اكبر

من الله تعالى ولا تقول ﴿وجهت وجهي﴾ الا وقلبك متوجه بكل وجهه الى الله ومعرض عن غيره * ولا تقول ﴿الحمد لله﴾ الا وقلبك طافح بشكر نعمه عليك فرح به مستبشر . ولا تقول ﴿واياك نستعين﴾ الا وأنت مستشعر ضعفك وعجزك . وأنه ليس اليك ولا الى غيرك من الامر شيء — وكذلك في جميع الاذكار والاعمال * وشرح ذلك يطول * وقد شرحناه في كتاب الاحياء فجاهد نفسك في أن ترد قلبك الى الصلاة حتى لا تغفل من أولها الى آخرها * فانه لا يكتب للرجل من صلاته الا ما عقل منها . فان تعذر عليك الاحضار وما أراك الا كذلك * فانظر فان كان قدر الغفلة مقدار ركعتين فلا تعد الصلاة ولكن افهم أن النوافل جوابر الفرائض * فتنفل بمقدار أن يحضر القلب فيها في مقدار ركعتين . فكلما زادت الغفلة زد في النوافل حتى يحضر قلبك * مثلا في عشر ركعات بمقدار أربع ركعات وهو قدر فرضك فمن رحمة الله عليك ان قبل منك جبران الفرائض بالنوافل * فهذه أصول المحافظة على الصلاة *

## ﴿ الاصل الثاني في الزكاة والصدقة ﴾

قال الله سبحانه ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعفها لمن يشاء ﴾ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ هلك الا كثرون الا من قال بالمال هكذا وهكذا * ﴿ فاعلم ﴾ أن انفاق المال فى الخيرات أحد أركان الدين ﴾ وانما سر التكليف به بعد مايرتبط به من مصالح البلاد والعباد . وسد الخلات والفاقات فان المال محبوب الخلق وهم مأمورون بحب الله ويدعون الحب بنفس الايمان * فجعل بذل المال معيارا لحبهم وامتحانا لصدقهم في دعواهم فان المحبوبات كلها تبذل لاجل المحبوب الا غالب حبه على القلب فانقسم الخلق فيه الى ثلاث طبقات ﴿ الطبقة الاولى ﴾ الاقوياء وهم الذين انفقوا جميع ماملكوا ولم يدخروا لانفسهم شيئا فهؤلاء صدقوا ماعاهدوا الله عليه من الحب كما فعل أبو بكر الصديق اذ جاء بماله كله . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا أبقيت لنفسك * فقال الله ورسوله * وقال لعمر رضي الله عنه ما ذا أبقيت لنفسك * قال مثله أي مثل ماأتيت به * فقال

صلى الله عليه وسلم بينكما مثل ما بين كلمتيكما ﴿الطبقة الثانية﴾
المتوسطون وهم الذين لم يقدروا على اخلاء اليد عن المال دفعة
واحدة . ولكن أمسكوه لا للتنعم بل للانفاق عند ظهور
محتاج اليه . فهم يقنعون في حق أنفسهم بما يقويهم على العبادة
واذا عرض محتاج بادروا الى سد خلته وحاجته ولم يقتصروا
على قدر الواجب من الزكاة وانما غرضهم الاظهر في الامساك
ترصد الحاجات ﴿الطبقة الثالثة﴾ الضعفاء وهم المقتصرون على
أداء الزكاة الواجبة فلا يزيدون عليها ولا ينقصون منها * فهذه
درجاتهم وبذل كل واحد على مقدار حبه لله . وما أراك تقدر
على الدرجة الاولى والثانية . ولكن اجتهد حتى تجاوز الدرجة
الثالثة الى أواخر طبقات المقتصدين المتوسطين * فتزيد
على الواجب ولو شيئا يسيراً . فان مجرد الواجب حد البخلاء
قال الله سبحانه وتعالى ﴿ان يسئلكموها فيحفكم تبخلوا﴾ أي
يستقصي عليكم فتبخلوا * فاجتهدوا أن لا ينقضي عليك وقت
الا وتتصدق بشيء وراء الواجب ولو بكسرة خبز فترتفع بذلك
عن درجة البخلاء * فان لم تملك شيئا فليست الصدقة كلها

في المال لكن كل كلمة طيبة وشفاعة ومعونة في حاجة وعيادة مريض وتشييع جنازة . وفي الجملة أن تبذل شيئاً مما تقدر عليه من جاه ونفس وكلام لتطييب قلب مسلم فيكتب جميع ذلك لك صدقة . وحافظ في زكوتك وصلاتك وصدقتك على خمسة أمور ﴿ الاول الاسرار ﴾ فان في الخبر أن صدقة السر تطفئ غضب الرب . والذي يتصدق بيمينه بحيث لا تعلم شماله وهو أحد السبعة الذين يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله . وقد قال الله تعالى ﴿ وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ﴾ وبذلك تتخلص عن الرياء فانه غالب على النفس وهو مهلك ينقلب في القلب اذا وضع الانسان في قبره في صورة حية أي يؤلم ايلام الحية * والبخل ينقلب في صورة عقرب * والمقصود في كل الانفاق الخلاص من رذيلة البخل * فاذا امتزج به الرياء كان كأنه جعل العقرب غذاء الحية . فما تخلص من العقرب ولكن زاد في قوة الحية . اذ كل صفة من الصفات المهلكات في القلب انما غذاؤها وقوتها في اجابتها الى مقتضاها ﴿ الثاني ﴾ ان تحذر من المن . وحقيقته ان ترى

نفسك محسناً الى الفقير متفضلا عليه *وعلامته ان تتوقع منه
شكرا أوتستنكر تقصيره فى حقك وممالاته عدوك استنكارا
يزيد على ما كان قبل الصدقة — فذلك يدل على انك رأيت
لنفسك عليه فضلا * وعلاجه ان تعرف انه المحسن اليك
بقبول حق الله منك . فان من اسرار الزكوة تطهير القلب
وتزكيته عن رذيلة البخل وخبث الشح — ولذلك كانت الزكاة
مطهرة اذبها حصلت الطهارة فكانها غسالة نجاسة — ولذلك
ترفع رسول الله صلى الله عليه وسلم واهل بيته من أخذ
الزكاة * وقال عليه السلام انها اوساخ اموال الناس *واذا أخذ
الفقير منك ما هو طهرة لك فله الفضل عليك * أرأيت لو
كان فصاد افصدك مجاناً واخرج من باطنك الدم الذي تخشى
ضرره في الحيوة الدنيا أكان الفضل لك ام له* فالذي يخرج
من باطنك رذيلة البخل وضررها في الحيوة الاخرة اولى بان
تراه متفضلا ﴿ الثالث ﴾ ان تخرجه من أطيب أموالك
وأجودها قال الله تعالى (ويجعلون لله ما يكرهون )وقال الله
﴿ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه﴾ الآية* وقال

صلى الله عليه وسلم ان الله طيب لايقبل الا الطيب يعنى الحلال * فان المقصود من هذا اظهار درجة الحب والانسان يؤثر الأحب اليه الا نفس دون الاخس ﴿ الرابع ﴾ ان تعطى بوجه طلق مستبشر وانت به فرحان غير مستكره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿سبق درهمماية الف﴾ وانما أراد مايعطيه عن بشاشة وطيبة نفس من أنفس ماله وأجوده فذلك افضل من ماية الف مع الكراهة ﴿ الخامس ﴾ ان تتخير لصدقتك محلا تزكو به الصدقة وهو المتقى العالم الذي يستعين بها على طاعة الله عز وجل وتقواه * أو الصالح المعيل ذو الرحم * فان لم يجتمع هذه الأوصاف * فتزكوا الصدقة بآحادها ايضا * ورعاية الصلاح اصل الأمور . فما الدنيا الا البلغة للعباد وزاد لهم الى المعاد . فليصرف الى المسافرين اليه المتخذين هذه الدار منزلا من منازل الطريق . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ لاتأكل الا طعام تقي ولا يأكل طعامك الا تقي ﴾ *

## ﴿ الأصل الثالث فى الصيام ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله سبحانه كل حسنة بعشر أمثالها الى سبع مائة ضعف الا الصيام فانه لى وأنا أجزى به * وقال عليه السلام لكل شىء باب وباب العبادة الصوم * وانما كان الصوم مخصوصاً بهذه الخواص لأمرين ﴿ أحدهما ﴾ انه يرجع الى كف وهو عمل سرّ لا يطلع عليه أحد غير الله تعالى لا كالصلوة والزكاة وغيرهما ﴿ والثاني ﴾ انه قهر لعدو الله فان الشيطان هو العدو ولن يقوى العدو الا بواسطة الشهوات . والجوع يكسر جميع الشهوات التي هى آلة الشيطان — فلذلك قال عليه السلام ﴿ ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجارى الشيطان بالجوع ﴾ وهو سر قوله صلى الله عليه وسلم * اذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنان . وغلقت أبواب النيران . وصفدت الشياطين * ونادى مناد * ياباغى الخير هلم ويا باغي الشر اقصر ﴿ واعلم ﴾ أن الصوم بالاضافة الى مقداره على ثلاث درجات وبالاضافة الى اسراره على ثلاث

درجات * اما درجات مقـداره فاقلها الاقتصار على شهر رمضان . وأعلاها صوم داود عليه السلام . وهو أن تصوم يوما وتفطر يوما * ففى الخبر الصحيح أن ذلك أفضل من صوم الدهر وأنه أفضـل الصيام * وسره أن من صام الدهر صار الصوم له عادة فلا يحس بوقعه فى نفسه بالانكسار . وفى قلبه بالصفاء وفى شهواته بالضعف * فان النفس انما تتأثر بما يرد عليها لا بما مرنت عليه فلا يبعد هذا * فان الاطباء أيضاً ينهون عن اعتياد شرب الدواء * وقالوا من تعود ذلك لم ينتفع به اذا مرض اذ يألفه مزاجه فلا يتأثر به ﴿ واعلم ﴾ أن طب القلوب قريب من طب الابدان . وهو سر قوله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر رضى الله عنهما لما كان يسأله عن الصوم * فقال عليه السلام ﴿ صم يوما وأفطر يوما ﴾ فقال أريد أفضـل من ذلك * فقال عليه السلام لا أفضل من ذلك — ولذلك لما قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا صام الدهر . فقال عليه السلام لا صام ولا أفطر * كما قالت عائشة رضى الله عنها لرجل كان يقرأ القرآن بهذرمة ان هذا ما قرأ القرآن ولا سكت

﴿ وأما الدرجة المتوسطة ﴾ فهو أن تصوم ثلث الدهر ومهما صمت
الاثنين والخميس وأضفت اليه رمضان *فقد صمت من السنة
أربعة أشهر وأربعة أيام . وهو زيادة على الثلث . لكن لا بد
أن ينكسر يوم من أيام التشريق* وترجع الزيادة الى ثلاثة أيام
ويتصور أن ينكسر في العيدين يومان فتكون ثلاثة أيام . فترجع
الزيادة الى يوم واحد فتأمل حسابه تعرفه*فلا ينبغي أن ينقص
من هذا القدر صومك فانه خفيف على النفس وثوابه جزيل
﴿ وأما درجات اسراره ﴾ فثلاث ﴿ أدناها ﴾ أن يقتصر على
الكف عن المفطرات ولا يكف جوارحه عن المكاره وذلك
صوم العموم وهو قناعتهم بالاسم ﴿ الثانية ﴾ أن تضيف اليه كف
الجوارح فتحفظ اللسان عن الغيبة والعين عن النظر بالزينة —
وكذا سائر الاعضاء ﴿ الثالثة ﴾ أن تضيف اليه صيانة القلب عن
الفكر والوسواس *وتجعله مقصوراً على ذكر الله عز وجل
وذلك صوم الخصوص وهو الكمال . ثم للصيام
خاتمة بها يكمل وهو أن يفطر على طعام حلال لا على شبهة
وان لا يستكثر من اكل الحلال بحيث يتدارك ما فاته ضحوة

فيكون قد جمع بين اكلتين دفعة واحدة فتثقل معدته وتقوى شهوته ويبطل سر الصوم وفائدته* ويفضى الى التكاسل عن التهجد* وربما لم يستيقظ قبل الصبح * وكل ذلك خسران وربما لا توازنه فائدة الصوم*

﴿ الاصل الرابع في الحج ﴾

قال الله تعالى (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا )وقال صلى الله عليه وسلم(من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا ) وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ بني الاسلام على خمس ﴾الحديث* وللحج أعمال ظاهرة ذكرناها فى كتاب الاحياء* وننبهك الآن على آداب دقيقة *وأسرار باطنة ﴿أما الآداب ﴾فسبعة ﴿الاول﴾ ان تزتاد للطريق رفيقا صالحاً ونفقة طيبة حلالا * فالزاد الحلال ينور القلب والرفيق الصالح يذكر الخير ويزجر عن الشر ﴿ الثاني ﴾ ان يخلي يده عن مال التجارة كيلا يتشعب فكره*وينقسم خاطره ولا يصفو للزيارة قصده ﴿ الثالث ﴾ ان يوسع فى الطريق بالطعام ويطيّب الكلام مع الرفقاء والمكارى ﴿ الرابع ﴾ ان

يترك الرفث والجدال والتحدث بالفضول في أمر الدنيا بل يقصر لسانه بعد مهمات حاجاته على الفكر وتلاوة القرآن ﴿ الخامس ﴾ ان يركب راحلة دون المحمل و يكون رث الهيئة اشعث اغبر غير متزين بل على هيئة المساكين حتى لا يكتب في جملة المترفين ﴿ السادس ﴾ ان ينزل عن الدابة احيانا ترفيها للدابة وتطييبا لقلب المكاري * وتخفيفا للاعضاء بالتحرك ولا يحمل الدابة مالا تطيق بل يرفق بها ما أمكن ﴿ السابع ﴾ أن يكون طيب النفس بما انفق من نفقة و بما أصابه من تعب وخسران * وان يرى ذلك من آثار قبول الحج فيحتسب الثواب عليه ﴿ واما أسراره ﴾ فكثيرة نرمز منها الى فنين ﴿ أحدهما ﴾ انه وضع بدلا عن الرهبانية التي كانت في الملل كما ورد به الخبر * فجعل الله سبحانه الحج رهبانية لأمة محمد صلى الله عليه وسلم فشرف البيت العتيق واضافه الى نفسه ونصبه مقصدا لعباده * وجعل مع ما حواليه حرما لبيته تفخيما لامره * وجعل عرفات كالميدان على فناء حرمه وأكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره * ووضعه على امثال

الملوك ليقصده الزوار من كل فج عميق ضعفاء غبراء متواضعين
لرب العالمين خضوعا لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف
بتنزهه عن ان يكتنفه بيت أو يحويه مكان ليكون ذلك أبلغ
في رقهم وعبوديتهم — ولذلك كلفهم اعمالا غريبة لا تناسب
الطبع والعقل ليكون أقدامهم بحكم محض العبودية * وامتثال
الامر من غير معاونة باعث آخر * وهذا سر عظيم في الاستعباد
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم * لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا
﴿ الفن الثاني ﴾ ان هذا السفر وضع على مثال سفر الآخرة
فليتذكر المريد بكل عمل من اعماله أمرا من أمور الآخرة موازياله
فان فيه تذكرة للمتذكر وعبرة للمعتبر المستبصر * فتذكر من
أول سفرك عند وداعك اهلك وداع الاهل في سكرات الموت
ومن مفارقة الوطن الخروج من الدنيا * ومن ركوب الجمل
ركوب الجنازة * ومن الالتفاف في أثواب الاحرام الالتفاف
في أثواب الكفن * ومن دخول البادية الى الميقات ما بين
الخروج من الدنيا الى ميقات القيامة * ومن هول قطاع الطريق
سؤال منكر ونكير * ومن سباع البوادى عقارب القبر وديدانه

ومن انفرادك عن اهلك واقا ربك وحشة القبر ووحدته ومن التلبية اجابة داعي الله عز وجل عند البعث — وكذلك في سائر الأعمال فان في كل عمل سرا وتحته رمزا * يتنبه له كل عبد بقدر استعداده للتنبه بصفاء قلبه وقصور همه على مهمات الدين *

﴿ الاصل الخامس في قراءة القرآن ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن * وقال عليه السلام لو كان القرآن في اهاب ما مسته النار * وقال عليه السلام ما من شفيع افضل منزلة عند الله يوم القيمة من القرآن لا نبيّ ولا ملك ولا غيره * وقال عليه السلام يقول الله سبحانه من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومسئلتي اعطيته أفضل ثواب الشاكرين ﴿ واعلم ﴾ ان لقراءة القرآن آدابا ظاهرة واسرارا باطنة * اما الآداب الظاهرة فثلاثة ﴿ الاول ﴾ أن تقرأه باحترام وتعظيم وان تلزم الحرمة قلبك مالم تلزم هيئة الحرمة ظاهرك * وقد عرفت كيفية علاقة القلب بالجوارح ووجه ارتفاع الانوار منها اليه

﴿ وهيئة الحرمة ﴾ ان تجلس وانت على الطهارة سا كنا مطرقا مستقبل القبلة غير متكىء ولا متربع ولا نائم كما تجلس بين يدى المقرى وتقرأه بترتيل وتفخيم* وتؤدّه حرفا حرفا من غير هذرمة * قال ابن عباس رضى الله عنه لأن اقرء اذا زلزلت والقارعة اتدبرهما احب الي من ان أقرء البقرة وآل عمران تهذيرا ﴿ الثانى ﴾ ان تتشوق فى بعض الاوقات الى اقصى درجات الفضل فيه * وذلك بان تقرأه في الصلوة قائماً خصوصاً في المسجد وبالليل لان القلب في الليل أصفى لانه افرغ * فانك وان خلوت بالنهار فتردد الخلق وحركاتهم في أشغالهم تحرك باطنك وتشغلك خصوصا عن ان كنت تتوقع ان تطلب شغلا من الاعمال والاشغال ﴿ وكيف ﴾ ما قرءته ولو مضطجعا من غير طهارة فلا تخلو عن الفضل . فانّ الله تعالى اثنى على الجميع * وقال ( الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ) الآية ولكن ما ذكرناه فى زيادة الفضل *فان كنت من مريدي الآخرة فلا يسهل عليك ترك الفضل * وقد قال علي رضوان الله عليه

من قرء القرآن وهو قائم في الصلوة فله بكل حرف مائة حسنة * ومن قرء القرآن فى غير صلاة وهو على طهارة فخمس وعشرون حسنة * ومن قرأه على غير وضوء فعشر حسنات ﴿ الثالث ﴾ فى مقدار القراءة وله ثلاث درجات ﴿ ادناها ﴾ ان يختم فى الشهر مرة ﴿ وأقصاها ﴾ ان يختم فى ثلاثة أيام مرة * وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ من قرء القرآن فى أقل من ثلاث لم يفقه ﴾ ﴿ وأعدلها ﴾ أن يختم فى الاسبوع مرة * وأما الختم فى كل يوم فغير مستحب * واياك ان تتصرف بعقلك فتقول ما كان خيرا ونافعاً فكلما كان اكثر كان أنفع . فان عقلك لا يهتدى الى اسرار الأمور الالهية * وانما تتلقاها قوة النبوة * فعليك بالاتباع فان خواص الامور لا تدرك بالقياس او ماترى كيف نديت الى الصلوة ونهيت عنها جميع النهار وأمرت بتركها بعد الصبح وبعد العصر وعند الطلوع وعند الغروب والزوال — وذلك ينتهى الى قدر ثلث النهار وكيف وأثر الفساد ظاهر على قياسك هذا . فانه كقول القائل الدواء نافع للمريض فكلما كان اكثر كان أنفع * وانت تعلم

ان كثرة الدواء ربما يقتل ﴿ وأما الاسرار الباطنة ﴾ فخمسة ﴿ الاول ﴾ ان تستشعر في أول قراءتك عظمة الكلام باستشعار تعظيم المتكلم فتحضر في قلبك العرش والكرسي والسموات والارض ومابينهما من الملائكة والجن والانس والحيوانات والنباتات والمعادن وتتذكر ان الخالق لجميعها واحد * وان الكل في قبضة قدرته متردد بين فضله ورحمته وانك تريد ان تقرء كلامه وتنظر به الى صفة ذاته وتطالع جمال علمه وحكمته وتعلم انه كما لايمس ظاهر المصحف الا المطهرون بظواهرهم وهو محجوب عن غيرهم — فكذلك حقيقة معناه وباطنه محجوب عن باطن القلب الا اذا كان مطهرا من كل رجس وخبث من خبائث الباطن * وبمثل هذا التعظيم كان عكرمة اذا نشر المصحف ربما غشي عليه ويقول هذا كلام ربي هذا كلام ربي ﴿ واعلم ﴾ انه لولا ان أنوار كلامه العزيز وعظمته غشيت بكسوة الحروف لما أطاقت القوة البشرية سماعه لعظمته وسلطانه وسبحات نوره . ولولا تثبيت الله عز وجل موسى عليه السلام لما أطاق سماعه مجردا عن كسوة

الحروف والاصوات كما لم يطق الجبل مبادي تجليه حتى صار
دكادكا ﴿ الثاني ﴾ ان تقرأ بتدبر معانيه ان كنت من أهله
وكل ما يجرى لسانك به في غفلة فاعده ولا تعده من عملك
لان الترتيل في الظاهر للتمكن من التدبر * قال علي عليه
السلام لاخير فى عبادة لافقه فيها * ولا فى قراءة لا تدبر
فيها * واياك ان تصير مشغوفا بعدد الختمات على نفسك فلان
تردد آية واحدة ليلة تتدبرها خير لك من ختمتين * فقد قرأ
رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾
فرددها عشرين مرة * وقال ابو الدرداء رضي الله عنه
قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بنا ليلة * فقام بآية
يرددها ﴿ ان تعذبهم فانهم عبادك ﴾ وقام تميم الداري ليلة
بقوله سبحانه ام حسب الذين اجترحوا السيئات الآية وقام
سعيد بن جبير ليلة بقوله وامتازوا اليوم ايها المجرمون * ولعل
الاليق بك ما قاله بعض العارفين اذ قال ﴿ لي ﴾ في كل جمعة ختمة
ولي في كل شهر ختمة . وفي كل سنة ختمة . ولي ختمة منذ
ثلاثين سنه ما فرغت منها بعد — وذلك بحسب درجات

التدبر * فان القلب فى بعض الاوقات لايحتمل التدبر الطويل فليكن للتدبر الطويل ختمة خاصة ﴿الثالث﴾ ان تجتني فى تدبرك ثمار المعرفة من اغصانها وتقتبسها من أوطانها * ولا تطلب الترياق من حيث تطلب منه الجواهر * ولا الجواهر من حيث يطلب منه المسك والعود * فان لكل ثمرة غصنا * ولكل جوهر معدنا . وانما يتيسر لك هذا بان تعرف الأصناف العشرة التى حصرنا فيها أقسام القرآن * وهي عشرة معادن * ﴿فما يتعلق﴾ من القرآن بالله تعالى وبصفاته وافعاله فاقتبس منه معرفة الجلال والعظمة ﴿وما يتعلق﴾ بالارشاد الى الصراط المستقيم فاقتبس منه معرفة الرحمة والعطف والحكمة ﴿وما يتعلق﴾ باهلاك الاعداء فاقتبس منه معرفة العزة والاستغناء والقهر والتجبر ﴿وما يتعلق﴾ بأحوال الانبياء فاقتبس منه معرفة اللطف والنعمة والفضل والكرم — وكذلك في كل صنف ما يليق به * فلا تنظرن اليه بعين واحدة * وشرح ذلك يطول ﴿الرابع﴾ أن تتخلى عن موانع الفهم وهى الاكنة التى تمنع من الفهم * قال الله عز وجل ﴿انا جعلنا على قلوبهم أكنة ان

يفقهوه وفي آذانهم وقرا ﴾ الآية . وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ﴿ لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم
لنظروا الى ملكوت السماء ﴾ ﴿ واعلم ﴾ ان معاني القرآن من
جملة الملكوت . وانما حروفها من عالم الشهادة والاكنة التى
يبتلى بها المتقى المتعطش الى الحق نوعان ﴿ اما ما ابتلي ﴾ به
ضعيف الايمان من حجاب الشك والجحود ﴿ واما ما ابتلي ﴾ به
المنهمك في الدنيا من حجاب الشهوات المستغرقة للقلب * فذلك
جلي لايخفى كونه مانعاً من فهم لطائف القرآن واقتباس أنواره
فبها حجب أكثر الخلق ﴿ وأما العباد ﴾ المتجردون لطريق
الله عزّ وجل يحجبون بنوعين آخرين ﴿ أحدهما ﴾ الوسواس
الصارف للقلب الى التفكر في النية كيف كانت في الابتداء
هل بقيت الان * وهل هو مخلص في الحال هذا ان كان
في الصلاة أو الوسواس الصارف للهم الى تصحيح مخارج الحروف
والتشكك فيها واعادتها لاجل ذلك * وهذا يجرى فى الصلاة
وغيرها فكيف يطالع أسرار الملكوت قلب محجوب
مصروف الى مطالعة الشفتين وكيفية انطباقهما واللسان والحنك

وكيفية انسلال الهواء من اصطكاكهما. وهو معنى تقطيع الحروف وتصحيحها ﴿ النوع الثانى ﴾ التقليد لظواهر معاني القرآن والجمود عليها — وذلك حجاب عظيم عن الفهم . ولست أعنى به التقليد الباطل كتقليد المبتدع بل التقليد الحق أيضاً فان الحق الذي كلف الخلق اعتقاده له درجات وله مبدء ظاهر وهو كالقشر والمثال وله غور باطن وهو كاللباب * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ان للقرآن ظاهراً وباطناً وحدا ومطلعاً ﴾ فالجامد على الظاهر الظانّ انه ليس وراءه مرقى يرتقى اليه كيف يتصور أن تنكشف له الاسرار * فقد كلف الخلق مثلا أن يعتقدوا أن الله تعالى يرى ولكن للرؤية ظاهر وسرّ * فمن اعتقد أن رؤية الله تعالى مناسبة للرؤية التى يألفها الانسان في هذا العالم كيف يتصور أن يتطلع على سرّ قوله تعالى لن ترانى * وكيف يفهم ان ذلك ممتنع فى هذه الحياة الدنيا بهذه العين الموقوفة على ملاحظة الجهات والاقطار * وكيف يدرك قوله لاتدركه الابصار مع قوله ﴿ وجوه يومئذ ناضره الى ربها ناظره ﴾ ويكفيك هذا المثال الواحد * فلسنا نكشف لك

اكثر من هذا * ولسنا نقصد في هذا الاصل الا التلويحات لمبادي الاسرار تشويقا للمستعدين لها ﴿الخامس﴾ ان لا تقتصر على اقتباس الانوار * بل تضيف اليها اقتباس الاحوال والآثار وذلك ان لا تقرأ آية الا وان تصير بصفتها * فتكون لك بحسب كل فهم حال ووجد * فعند ذكر الرحمة وعند المغفرة تستبشر كانك تطير من الفرح * وعند ذكر الغضب وشدة العقاب تتضاءل كانك تموت من الفزع * وعند ذكر الله واسمائه وعظمته تتطأطأ وتتصاغر حتى كانك تنمحق من مشاهدة الجلال وعند ذكر الكفار ما يستحيل عليه من ولد وصاحبة تنكسر وتغض صوتك كانك تنطمس من الحياء * وكذلك في كل صنف من الاصناف العشرة * وذلك ايضا يطول * وليظهر اثر ذلك على جوارحك من بكاء عند الحزن * وعرق جبين عند الحياء * واقشعرار الجلد وارتعاد الفرايص عند الهيبه والجلال * وانبساط في الاعضاء واللسان والصوت عند الاستبشار وانقباض فيها عند الاستشعار * فاذا فعلت ذلك اشترك في نيل حظ القرآن جميع أعضائك * وفاضت آثار

القرآن على عوالمك الثلاثة* اعنى عالم الملكوت وعالم الجبروت وعالم الشهادة ﴿ واعلم ﴾ انك مركب من العوالم الثلاثة ففيك من كل عالم جزء ﴿ واعلم ﴾ ان محض أنوار المعرفة تفيض من عالم الملكوت الى سر القلب لانه أيضا من الملكوت* وأما آثارها من الخشية والخوف والسرور والهيبة وساير الاحوال فانها تهبط من عالم الجبروت * ومهبطها الصدر الذى هو عالم الجبروت * وهو عالم آخر من عوالمك كنينا عنه بالصدر كما كنينا عن الاول بالقلب لان عالم الجبروت بين عالم الملكوت وعالم الشهادة كما ان الصدر بين القلب والجوارح ﴿ وأما البكاء ﴾ والشهيق والاقشعرار وارتعاد الفرايص فتنزل من عالم الشهادة ومهبطها الجوارح لانها من عالم الشهادة * وما اراك تفهم من القلب غير اللحم الصنوبرى الشكل * ومن الصدر غير العظم المحيط به* فانك لا تدرك من كل شىء الا غلافه وقشره *وما ابعدك عن درك الحقائق .فان هذا يوجد للبهائم والميت ولا تنزل عليه أنوار المعارف والعلوم ولا آثارها من الخشية والهيبة والسرور * فان اردت ان تستنشق شيأ من

روائح هـذه الاسرار وما أراك تريد فقد أخـذ الشيطان بمخنقك بحبال الشهوات . فعليك بباب التوحيد من أول كتاب التوكل ان أردته ﴿ واعـلم ﴾ ان القرآن كالشمس * وفيضان أسرار المعارف منـه على القلب كفيضان أنوار الشمس على الأرض * وسريان آثار الخوف والخشية والهيبة وسائر الاحوال منه على الصدر كسريان حرارة الشمس فى باطن الأرض تابعا لاشراق الأنوار * فان الخشية أثر نور المعرفة * وانما يخشى الله من عباده العلماء * فانتشار الحركات والتغـيرات الى الجوارح من البكاء والعرق والاقشعرار والارتعـاد منبعث من آثار الخشية * وسائر الأحوال كحركة أجزاء الارض بتصاعد الابخرة والادخنة منها بتصعيد حرارة الشمس فالحركة تبع الحرارة * والحرارة تبع النور * والنور تبع وقوع المحاذات بين الارض والشمس * فاجتهد بان تحاذي بوجه قلبك شطر شمس القرآن وتستضيء بأنواره — كذلك فان لم تطق ذلك فاصغ الى النداء الوارد من جانب الطور الأيمن * فان آنست من جوانبه نارا فخذ منه قبسا واشعل منه سراجاً * فان كان

زيتك صافيا يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار* فاذا مسته النار انبعث منه الضياء ووجدت على النار هدى * وقام فى حقك مقام الشمس المنتشرة الاشراق والضياء *

﴿ الاصل السادس ﴾

ذكر الله عز وجل في كل حال * قال الله سبحانه ﴿ واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ﴾ وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم لذكر الله بالغداة والعشى أفضل من حطم السيوف فى سبيل الله ومن اعطاء المال سخاء * وقال صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بخير أعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها فى درجاتكم وخير لكم من اعطاء الورق والذهب * وخير لكم من أن تلقوا اعدائكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا أعناقكم * قالوا وما ذاك يارسول الله * فقال ذكر الله * وقال صلى الله عليه وسلم ﴿سبق المفردون سبق المفردون﴾ فقيل ومن هم يارسول الله فقال المستهترون بذكر الله وضع ذكر الله عنهم اوزارهم فوردوا القيامة خفافا ﴿ واعلم ﴾ انه قد انكشف لارباب

البصائر ان الذكر أفضل الاعمال ولكن له أيضا قشور ثلاثة بعضها أقرب الى اللب من بعض * وله لب وراء القشور الثلاثة وانما فضل القشور لكونها طريقا اليه ﴿ فالقشر الاعلى منه ﴾ ذكر اللسان فقط ﴿ والثاني ﴾ القلب اذا كان القلب يحتاج الي موافقته حتى يحضر مع الذكر * ولو ترك وطبعه لاسترسل في أودية الافكار ﴿ والثالث ﴾ ان يستمكن الذكر من القلب ويستولى عليه بحيث يحتاج الى تكلف في صرفه عنه الى غيره كما احتيج في الثاني الى تكلف في قرار معه ودوامه عليه ﴿ والرابع وهو اللباب ﴾ ان يستمكن المذكور من القلب وينمحي الذكر ويخفى وهو اللباب المطلوب * وذلك بان لا يلتفت الى الذكر ولا الى القلب بل يستغرق المذكور جملته * ومهما ظهر له في اثناء ذلك التفات الى الذكر فذلك حجاب شاغل * وهذه الحالة التي يعبر عنها العارفون بالفناء * وذلك بان يفني عن نفسه حتى لا يحس بشئ من ظواهر جوارحه * ولا من الاشياء الخارجة عنه ولا من العوارض الباطنة فيه بل يغيب عن جميع ذلك

ويغيب عنه جميع ذلك ذاهبا الى ربه اولا * ثم ذاهبا فيه آخراً * وان خطر له في اثناء ذلك انه فني عن نفسه بالكلية فذلك شوب وكدورة . بل الكمال في ان يفني عن نفسه ويفنى عن الفناء ايضا * فان الفناء عن الفناء غاية الفناء — وهذا قد يظنه الفقيه الرسمى انه طامات غير معقولة * وليس كذلك بل هذه الحالة لهم بالاضافة الى محبوبهم كحالتك في اكثر الاحوال بالاضافة الى محبوبك من جاه او مال او معشوق فانك قد تصير مستغرقا لشدة الغضب بالفكر في عدوك ولشدة التفكر فى معشوقك حتى لا يكون فيك متسع لشيء أصلا * فتخاطب فلا تفهم . ويجتاز بين يديك غيرك فلا تراه وعيناك مفتوحتان . ويتكلم عندك فلا تسمع وما باذنيك صمم * وانت فى هذا الاستغراق غافل عن كل شيء وعن الاستغراق ايضا . فان الملتفت الى الاستغراق معرض عن المستغرق به * وانما سموا هذه الحالة فناء وان كان الشخص والظلل باقيا لان الاشخاص والاظلال بل سائر المحسوسات ليس لها حقيقة الوجود بل الوجود الحقيقي

لعالم الامر والملكوت * والقلب من عالم الامر * قال الله تعالى ﴿قل الروح من امر ربي﴾ والقوالب من عالم الخلق واعنى بالقلب اللطيفة الذاكرة العارفة التي هي مهبط الأنوار الالهية دون القلب الظاهر * فان ذلك من عوالم الخلق فلا يفهم من هذا اشارة الى قدم الروح وحدوث القالب بل هما جميعا حادثان * وانما اعنى بالخلق ما تقع عليه المساحة والتقدير وهي الاجسام وصفاتها * واعنى بعالم الامر مالا يتطرق اليه التقدير * والعالم الجسماني ليس له وجود حقيقي بل هو من ذلك العالم كالظل من الاجسام * وليس لظل الانسان حقيقة الانسان . وليس للشخص حقيقة الوجود بل هو ظل الحقيقة والكل من صنع الله تعالى * قال الله تعالى ﴿ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها﴾ وظلالهم بالغدو والاصال وسجود عالم الامر طوع لله * وسجود الظلال كره * وتحته سر بل اسرار تحرك اوائلها سلسلة المجانين الحمقى فضلا عن اواخرها فلنتجاوزها * فقد افهمناك ماارادوه بالفناء * فدع عنك الغيبة والتكذيب بمالم تحط

بعلمه كما قال تعالى ﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ﴾ وقال تعالى ﴿ واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم ﴾ فاذا فهمت الفناء في المذكور ﴿ فاعلم ﴾ انه اول الطريق * وهو الذهاب الى الله عز وجل * وانما الهدى بعده اعني بالهدى هدى الله كما قال الخليل صلوات الله عليه ﴿ اني ذاهب الى ربي سيهدين ﴾ فاول الامر ذهاب الى الله * ثم ذهاب في الله — وذلك هو الفناء والاستغراق به * ولكن هذا الاستغراق اولا يكون كبرق خاطف قل مايثبت ويدوم *فان دام ذلك صارت عادة راسخة وهيئة ثابتة عرج به الى العالم الاعلى وطالع الوجود الحقيقي الاصفى * وانطبع له نقش الملكوت وتجلى له قدس اللاهوت * واول ما يتمثل له من ذلك العالم جواهر الملائكة وارواح الانبياء والاولياء في صورة جميلة يفيض اليه بواسطتها بعض الحقائق — وذلك في البداية الى ان تعلو درجته عن المثال، فيكافح بصريح الحق في كل شيء * فاذا رد الى هذا العالم المجازي الذي هو كالظلال * نظر الى الخلق نظر مترحم عليهم لحرمانهم عن مطالعة جمال حظيرة القدس

وتعجب منهم فى قناعتهم بالظلال وانخداعهم بعالم الغرور وعالم
الخيال فيكون معهم حاضرا بشخصه غائبا بقلبه متعجبا • هو
من حضورهم ويتعجبون هم من غيبته * فهذه ثمرة لباب
الذكر وانما مبدءها ذكر اللسان * ثم ذكر القلب تكلفا * ثم
ذكر القلب طبعا * ثم استيلاء المذكور وانمحاء الذكر * وهذا
سر قوله صلى الله عليه وسلم ﴿ من احب ان يرتع في رياض
الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل ﴾ بل سر قوله ﴿ يفضل الذكر
الخفي على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين ضعفا ﴾ ﴿ واعلم ﴾
ان كل ذكر يشعر به قلبك تسمعه الحفظة فان شعورهم
تقارن شعورك وفيه سر حتى اذا غاب ذكرك عن شعورك
بذهابك في المذكور بالكلية • فيغيب ذكرك عن شعور الحفظة
وما دام القلب يشعر بالذكر ويلتفت اليه فهو معرض عن
الله عز وجل * وغير منفك عن شرك خفي حتى تصير
مستغرقا بالواحد الحق * فذلك هو التوحيد — وكذلك
القول فى المعرفة * فمن طلب المعرفة للمعرفة فقد قال بالثاني *
ومن وجدها كمثل ان لا يجدها بل يجد المعروف بها فهو

الذي استمكن من حقيقة الوصال * وحل بحبوحة حظيرة القدس * فان قلت فلم اختصت هذه المكاشفات بحال الفناء ﴿ فاعلم ﴾ان هذه قصة يطول فيها نظر الناظر — وذلك اذا تأملت لم تقصر عن ان تدرك كون الحواس وعوارض النفس وشهواتها جاذبة الى هذا العالم المحسوس * وهو عالم الزور والغرور — ولذلك ينكشف صريح الحق بالموت لبطلان سلطان الحواس والخيالات المولية بوجه القلب الى عالم السفل* فان قصر عنك سلطان الحواس بالنوم طوالعت بشيء من الغيب على قدر استعدادك وقبولك وهمتك * ولكن بمثال يحتاج الى التعبير * وما عندى انك لم تصادف من نفسك رؤيا صادقة اطلعت بها على امر مستقبل* لكن الخيال لا يفتر في النوم وان ركدت الحواس * فلذلك يضعف الاطلاع ولا يخلو من شوب المثال * واما الفناء فعبارة عن حالة تركد فيها الحواس ولا تشتغل * ويسكن فيها الخيال ولا يشوش* فان بقيت في الخيال بقية مغلوبة لم يؤثر الا في محاكات ما يتجلى من عالم القدس حتى يتمثل الانبياء والملائكة والارواح

المقدسة في قوالب الخيال * فهذه امور نبهت عليها لتكون متشوقا الى ان تصير من اهل الذوق لها * فان لم تكن فمن اهل العلم بها * فان لم تكن فمن اهل الايمان بها ﴿ ويرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات ﴾ واياك ان تكون من المنكرين لها فتلقى العذاب الشديد اذا كوشفت بالحق عند سكرات الموت الذي كنت منه تحيد وقيل لك لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد ﴿واعلم﴾ ان الايمان والعلم والذوق ثلاث درجات متباعدة * فان العنين مثلا يتصور ان يصدق بوجود شهوة الوقاع لغيره بان يقبل ذلك ممن يحسن ظنه به ولا يتهمه بالكذب — وذلك ايمان ويتصور ان يعلم بالبرهان وجوده لغيره * وهو علم * ومأخذه قياس ان ينظر الى شهوته للطعام مثلا فيقيس بها شهوة الوقاع * وكل ذلك بعيد عن أدراك حقيقة الشهوة بوجودها له — وكذلك المرض يعرفه العامي الصحيح ويؤمن به * ويعرفه الطبيب الصحيح بالبرهان وهو علم * ومن لم يصر مريضا لم يحصل له الذوق فكذلك

القول في الفناء في التوحيد ﴿ فالذوق ﴾ مشاهدة ﴿ والعلم ﴾ قياس ﴿ والايمان ﴾ قبول بحسن الظن مع الانفكاك عن التهمة * فاجتهد أن تصير من أهل المشاهدة * فليس الخبر كالمعاينة * فان قلت فقد عظمت أمر الذكر فهو أفضل ام قراءة القرآن ﴿ فاعلم ﴾ ان قراءة القرآن أفضل للخلق كلهم الا للذاهب الى الله عز وجل وهو أفضل للذاهب الى الله في جميع أحوال بدايته وفي بعض احواله في نهايته * فان القرآن هو المشتمل على صنوف المعارف والاحوال والارشاد الى الطريق * فما دام العبد مفتقرا الى تهذيب الاخلاق وتحصيل المعارف * فالقرآن أولى به . فان جاوز ذلك واستولى الذكر على قلبه بحيث يرتجى له ان يفضى به ذلك الى الاستغراق * فمداومة الذكر اولى به فان القرآن يجاذب خاطره ويسرح به في رياض الجنة * والمريد الذاهب الى الله تعالى لا ينبغي أن يلتفت الى الجنة ورياضها * بل ينبغي أن يجعل همه هما واحدا وذكره ذكرا واحدا حتى يدرك درجة الفناء والاستغراق — فلذلك قال الله عز وجل ( ولذكر الله أكبر ) وكذلك من ينتهي الى

درجـة الاستغراق ولا يدوم ولا يثبت عليه فاذا ردّ الى نفسه فقـد ينفعه تلاوة القرآن * وهـذه حالة نادرة عزيزة كالكبريت الأحمر يتحدث به ولا يوجـد * فتكون تلاوة القرآن أفضل مطلقا لانه أفضل فى كل حال الا في حال من شغله المتكلم عن الكلام * اذلباب القرآن معرفة المتكلم بالقرآن ومعرفة جماله والاستغراق به * والقرآن سائق اليه وهاد نحوه ومن أشرف على المقصد لم يلتفت الى الطريق *فان قلت فايّ الاذكار أفضل ﴿ فاعلم ﴾ ان الأفضل كما ذكرناه استيلاء المذكور على القلب وهو شيء واحد لا كثرة فيه حتى يختار افضله * وذلك عين الجمع والتوحيد * وانما التفرقة والكثرة قبل ذلك فذلك مادمت فى مقام الذكر باللسان والقلب * وعند هذا قد ينقسم الذكر الى الافضل وغير الافضل * وفضله بحسب الصفات التي يعبر عنها بالاذكار * والصفات والاسماء الواردة في حق الله سبحانه تنقسم الى ماهو حقيقة في حق العباد ومأولة في حقه سبحانه كالصبور والشكور والرحيم والمنتقم والى ما هو حقيقة فى حقه سبحانه * واذا استعمل في حق

غيره كان مجازا* فمن أفضل الاذكار ﴿لا اله الا الله الحي القيوم﴾ فان فيه اسم الله الأعظم اذ قال صلى الله عليه وسلم اسم الله الاعظم في آية الكرسى واول آل عمران * ولا يشتركان الا في هذا * وله سرّ يدق عن فهمك ذكره والقدر الذى يمكن الرمز اليه ان قولك ( لا اله الا الله ) يشعر بالتوحيد * ومعنى الوحدانية في الذات والربية حقيقى فى حق الله عز وجل غير مأوّل بل هو في حق غيره مجاز ومأول — وكذلك ﴿ الحي ﴾ فان معنى الحي هو الذى يشعر بذاته و يعلم ذاته* والميت هو الذى لا خبر له من ذاته — وهذا أيضا حقيقي لله تعالى غير مأول ﴿والقيوم﴾ يشعر بكونه قائما بذاته وان كل شيء قوامه به — وهذا أيضا حقيقي لله عز وجل غير مأوّل ولا يوجد لغيره وماعداها من الاسماء الدالة على الافعال كالرحيم والمقسط والعدل وغيره فهو دون مايدل على الصفات لان مصادر الافعال هي الصفات والصفات أصل والافعال تبع * وما عداها من الصفات التى تدل على القدرة والعلم والارادة والكلام والسمع والبصر» فذلك مما يظن ان الثابت منها لله

عز وجل مفهوم من ظواهرها * وهيهات فان المفهوم من ظواهرها امور تناسب صفات الانسان وكلامه وقدرته وعلمه وسمعه و بصره * بل لهـا حقايق يستحيل ثبوتها للانسان فيستخرج من هـذه الاسامي بنوع من التأويل * فهـذا ينبهك على ما يحتمله فهمك من اختصاص هـذه الكلمات بكونها أعظم * ويقرب منـه قولك ﴿سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر﴾ لان سبحان الله للتقديس وهـو حقيقي فى حقه فان القدس الحقيقى لا يتصور الا له تعـالى وقولك ﴿ الحمد لله ﴾ يشعر باضافة النعم كلها اليه وهو حقيقي اذ هو المتفرد بالافعال كلها تفـردا حقيقيا بلا تأويل * وهـو تبارك وتعالى المستوجب الحمد وحده * اذ لا شركة لاحـد معه فى فعله اصلا كما لا شركة للقـلم مع الكاتب في استحقاق المحمدة عند حسن الخط * ﴿ واعـلم ﴾ ان كل من سواه ممن ترى منه نعمة فهو تعالى مسخر له كالقلم فهذا مثال ينبهك على تفرده باستحقاق الحمد * وقولك ﴿ لا اله الا الله ﴾ فقـد عرفت انه التوحيد الحقيقي * وقولك ﴿ الله اكبر ﴾ فليس

المعنى به انه أكبر من غيره اذ ليس معه سبحانه غيره حتى
يقال اكبر منه* بل كل ما سواه فهو نور من أنوار قدرته *
وليس لنور الشمس مع الشمس رتبة المعيـة حتى يقال انها
أكبر منه بل رتبة التبعية بل معناه انه عز وجل * اكبر من
أن ينال بالحواس أو يدرك جلاله بالعقل والقياس * بل اكبر
من أن يدرك كنه جلاله غـيره * بل أكبر من أن يعـرفه
غيره * فانه لا يعرف الله تبارك وتعالى الا الله * فان منتهى
معرفة عباده ان يعرفوا أنه يستحيل منهم معـرفته الحقيقية *
ولا يعرف ذلك أيضا بكماله الا نبي اوصديق ﴿ اما النبي ﴾ فيعبر
عنه ويقول ﴿ لا أحصي ثناء عليك أنت كما اثنيت على نفسك ﴾
وأما الصديق فيقول ﴿ العجز عن درك الادراك ادراك ﴾ فان
تشوقت الى زيادة تحقيق في هذا المعنى واستنكرت قولى لا
يعرف الله الا الله * فاطلب معرفة حقيقته بالبرهان من كتاب
﴿ المقصد الاقصى في معانى اسماء الله الحسنى ﴾ ويكفيك الآن
هذا القدر من الرموز الى اسرار الذكر وفضل الاذكار منها *

## ﴿ الأصل السابع في طلب الحلال ﴾

قال الله سبحانه ﴿ كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ﴾ والحرام خبيث وليس بطيب * فقد قرن عز وجل أكل الطيبات بالعبادات * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ طلب الحلال فريضة على كل مسلم بعد الفريضة ﴾ أي بعد فريضة الايمان والصلوة * وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ من أكل الحلال اربعين يوما نور الله قلبه واجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ﴾ وفى رواية اخرى زهده الله فى الدنيا * وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ ان لله ملكا على بيت المقدس ينادي كل ليلة من أكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل ﴾ فالصرف النافلة * والعدل الفريضة * وقال صلى الله عليه وسلم من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفى ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلاته مادام عليه منه شيء * وقال عبد الله ابن عمر رضي الله عنه لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالاوتار لم يقبل الله ذلك منكم الا بورع حاجز * وقيل العبادة مع أكل الحرام كالبنيان على السرقين *

## فصل

اعلم ان طيب المطعم له خاصية عظيمة في تصفية القلب وتنويره وتأكيد استعداده لقبول أنوار المعرفة * وفيه سر لا يحتمل هذا الكتاب ذكره * ولكن ينبغي ان تفهم ان درجات الورع أربعة ﴿الدرجة الاولى﴾ هي التي يجب الفسق باقتحامها *وتزول العدالة بزوالها * وهى التى يحرمها فتوى الفقهاء ﴿الثانية﴾ ورع الصالحين وهو الحذر عما يتطرق اليه احتمال التحريم * وان افتى المفتى بحله بناء على الظاهر وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿دع ما يريبك الى مالا يريبك﴾ ﴿الثالثة﴾ ورع المتقين قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يترك ما لا بأس به حذارا ومخافة مما به بأس﴾ وقال عمر رضي الله عنه كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع فى الحرام * ومن هذا الاصل كان بعضهم اذا استحق ماية درهم اقتصر على تسعة وتسعين * ويترك الواحد حاجزا بينه وبين النار لخوف الزيادة * وكان بعضهم يأخذ ما يأخذ بنقصان حبة ويعطي

مايعطي بزيادة حبة — ولذلك اخذ عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه أنفه حذرا من ريح المسك لبيت المال كان يوزن بين يديه * وقال هل ينتفع الا بريحه * ومن ذلك ان يتورع عن الزينة وا كل الشهوات خيفة من ان تغلب النفس فتدعوه الى الشهوات المحظورة * ومن ذلك ترك النظر الى تجمل اهل الدنيا فانه يحرك دواعى الرغبة فى الدنيا — ولذلك قال الله تعالى ( ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا ) ولذلك قال عيسى ابن مريم عليه السلام لاتنظروا الى أموال أهل الدنيا فان بريق أموالهم يذهب بحلاوة ايمانكم — ولذلك قال السلف من رق ثوبه رق دينه فالحلال الطلق الطيب كل حلال انفك عن مثل هذه المخافة ولم يوجد فيها ﴿ الرابعة ﴾ ورع الصديقين وهو الحذر عن كل مالا يراد بتناوله القوة على طاعة الله تعالى أذا كان قد يتطرق الى بعض اسبابها معصية . فمن ذلك ما حكي ان ذا النون المصري كان محبوسا جائعا * فبعثت اليه امرأة صالحة من طيب مالها طعاما على يد السجان * فلم يأ كل منه واعتذر أنه جاءني على

طبق ظالم أي يد السجان * ومن ذلك ان بشر الحافي كان لا
يشرب الماء من الانهار التي حفرها السلاطين * وأطفأ بعضهم
سراجا اشعله غلامـه من بيت ظالم * وشرب بعضهم دواء
فاشارت اليه امرأته بالمشي والتردد * فقال هذه مشية لا أعرف
لها وجها * وانا احاسب نفسي على جميع حركاتي — وهـذه
رتبة أقوام وفوا بقوله تعالى (قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون)
فعدوا كل مالم يكن لله تعالى حراما * وليس هذا من عشك وعش
ناصحك * فادرج واجتهد ان تفي ء بورع العدول الذي تفتي به
الفقهاء * نعم ينبغي ان تضيف اليه شيئين ﴿ احدهما ﴾ ان تحذر
عن مواقع غرورهم ولا تلتفت الى قولهم (من وهب في آخر السنة
ماله زوجته واستوهب منها مالها سقطت الزكاة عنهما ) فانهم
ان عنوا به ان السلطان لا يطالبهم بالزكاة لان مطمح نظره
ظاهر الملك فهو صدق ودرجة الفقهاء وفتواهم ذكر ما يتعلق
بالظواهر فيحكمون بالبراءة عن الزكاة اذا سقط طلب الساعي
ويحكمون بصحة الصلوة اذا امتنع القتل على السلطان بجريان
صورة الصلوة * اذ ليس بايديهم من القوانين الا القانون

الذى يستعمله السلطان فى السياسة لينتظم امر المعيشة الدنيوية التي هي منزل من منازل الطريق كما سبق ﴿ واما انت ﴾ اذا كنت تنظر فيما ينفعك غدا عند جبار الجبابرة وسلطان السلاطين فلا تلتفت الى هذا ﴿ واعلم ﴾ ان مقصود الزكاة ازالة رذيلة البخل فانه مهلك كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه ﴾ وهبة مال الزكاة لاجل درء الزكاة يجعل الشح مطاعا فانه يصير مطاعا باجابته الى مايقتضيه * وقبل هذا لم يكن مطاعا فكيف يكون ذلك منجيا * وكذلك من يسيئ معاشرة زوجته حتى تنفك له من المهر فلا يحل له المهر بينه وبين الله عز وجل وان كان الفقيه يفتي بسقوط المهر وصحة الابراء لان الله تعالى قال ﴿ فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا ﴾ وليس هذا طيبة النفس بل طيبة القلب * والفقيه لايميز بين الأمرين لان شغفه بقطع الخصومات الظاهرة لاغير ﴿ والحجامة ﴾ وشرب الدواء البشيع لاتطيب به النفس بل يطيب به القلب ـ وكذلك كل مايأباه

الطبع ويريده العقل لمصلحة البدن فى العاقبة * وهذا باب
طويل * واصله ان لاتستحل مال غيرك الا برضاء مطلق
صاف * وينبغى ان لا تأكل من السؤال * فان سألت فاحذر
ان تسأل على الملأ فربما يعطى بالحياء ـ وذلك ليس مقرونا
بالرضاء * فان المستحي يوثر الم ازالة الملك على الم الحياء * ولا
فرق بين ان تأخذ ماله بضرب ظاهره بالسوط * وبين ان
تأخذه بضرب باطنه بسوط الحياء * فالكل مصادرة واحذر
ايضا ان يعطيك بالدين * وذلك بان يعطيك لظنه انك ورع
تقي فتأكل بالدين * ويكون من شرط حله ان لا يكون فى
باطنك مالوا طلع عليه المعطى لامتنع من الاعطاء * فلا فرق
بين من يأخذ بالتصوف والتقوى * وليس هو متصفا به باطنا
وبين من يزعم انه علوي ليعطى وهو كاذب * وكل ذلك حرام
عند ذوي البصائر وان افتى الفقيه بالحل بناء على الظاهر ﴿ الفن
الثاني ﴾ ان تراجع قلبك وان افتوك فان الاثم حزاز القلوب
فالذي يضرك ماحاك فى قلبك ـ ولذلك قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم استفت قلبك وان افتوك وافتوك * وهذا السر

طويل ذكره * ولكن اعلم على الجملة ان المحذور من الحرام اظلام القلب والمطلوب من الحلال تنويره — وذلك يتشعب من اعتقادك لا من نفس المعتقد *فن وطيء امرأة على ظن انها اجنبية * فاذا هي منكوحته حصل اظلام القلب * ولو وطيء اجنبية على ظن انها زوجته لم يحصل — وكذلك في النجاسات والطهارات المؤثرة في تنوير القلب وهمك واعتقادك فما أمرت بان تصلي وثوبك طاهر بل ان تصلي وانت تعتقد انه طاهر فاستشعار الطهارة مؤثر فى اشراق القلب وان لم يكن على وفق الحال — ولذلك نقول ان من صلى ثم تذكر انه كان معه نجاسة فليس عليه الاعادة على الاصح لانه صلى الله عليه وسلم خلع نعليه فى اثناء صلاته لما اخبره جبريل عليه السلام بان عليهما قذرا واستمر فيها * ولذلك يشدد الامر على الموسوس فانه مالم يطمئن قلبه باعتقاده الطهارة فيجب عليه الاستقصاء والمعاودة * وأولئك قوم شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم *فهلكوا باستقصائهم كما قال عليه السلام ﴿هلك المتنطعون﴾ — فكذلك في الحلال انت متعبد بما يطمئن اليه

قلبك لا بما يفتي به المفتي فاستفت قلبك *

## فصل

اياك ان تشدد على نفسك فتقول اموال الدنيا كلها حرام * وقد اخبثتها الأيدي العادية * والمعاملات الفاسدة فاقنع بالحشيش مترهباً او أتناول من الجميع متوسعا * لا افصل فيه بين حلال وحرام بل اعلم قطعا ان الحلال بين والحرام بين * وبينهما امور متشابهات — كذلك كان في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم — وكذلك يكون ابد الدهر * فاستمد من السر الذي ذكرناه فانك غير متعبد بما هو في نفسه حلال بل بما هو في اعتقادك حلال لا تعرف سببا ظاهرا في تحريمه فقد توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم من مزادة مشرك وتوضأ عمر رضي الله عنه من جرة نصرانية * ولو عطشوا لشربوا منه * وشرب الماء النجس حرام ولكن استصحبوا يقين الطهارة ولم يتركوها لتوهم النجاسة ﴿ وكذلك ﴾ كل مال صادفته في يد رجل مجهول عندك حاله * فلك ان تشتري منه وتأكل من ضيافته * تحسينا للظن بالمسلم * فان الاصل

ان ما في يده فهو حلال * وما تصادفه في يد رجل عرفته بالصلاح فهو اولى بان تعتقده حلالا ﴿ نعم ﴾ يجب الحذر مما تصادفه في يد سلطان ظالم او رجل عرفته بالرّبا او بيع الخمر فيجب الحذر منه حتي تسئل وتستقصى وتعرف انه من اين حصل له * فان ظهر لك جهة حصوله وانه حلال فلك اخذه والا فلا * فالاعتماد على العلامة الظاهرة وهى قرينة حاله * وهذا اذا كان اكثر امواله كذلك * فان كان اكثرها حلالا فلك ان تأكل منه وان تركته فذلك ورع * فقد كتب بعض وكلاء ابن المبارك من البصرة اليه * يسئله عن معاملة رجل يعامل السلطان * فقال ان كان لا يعامل غير السلطان فلا تعامله * وان كان يعامل غيره ايضا فعامله * وبالجملة الناس في حقك ستة اقسام ﴿ احدها ﴾ ان يكون مجهولا فكل من ماله والحذر ليس بواجب بل هو محض الورع ﴿ الثاني ﴾ ان تعرفه بالصلاح فكل منه ولا تتورع * فالورع فيه وسوسة * فان ادى الى الاذى والايحاش فهو معصية وحرام لما فيه من الايذاء * ولما فيه من سوء الظن بالرجل الصالح ﴿ الثالث ﴾ ان تعرفه بالظلم

والربا حتي علمت ان كل ماله او اكثره حرام كالسلاطين الظلمة وغيرهم فمالهم حرام ﴿الرابع﴾ ان تعرف ان اكثر امواله حلال ولكن لايخلو عن حرام كرجل له تجارة وميراث وهو مع هذا في عمل السلطان فلك الاخذ بالاغلب لكن الترك من الورع المهم ﴿الخامس﴾ ان يكون مجهولا عندك لكن ترى عليه علامة الظلم كالقباء والقلنسوة وهيئة الظلمة * فهذه علامة ظاهرة توجب الحذر فلا تأكل من ماله الا بعد التفتيش ﴿السادس﴾ ان ترى عليه علامة الفسق لا علامة الظلم كطول الشارب وانقسام شعر الرأس قزعا او رأيته يشتم غيره او ينظر الى امرأة * فان علمت له مالا موروثا او تجارة لم يحرم ماله بذلك * وان كان امره مجهولا عندك فهذا فيه خطر لان علامة الفسق أضعف دلالة من علامة الظلم ولكن الاظهر عندي انه لا يحرم ماله لان ظاهر اليد والاسلام يدل على الملك دلالة اظهر من دلالة هذه العلامات على التحريم * وليست هذه الدلالة اقوى من دلالة النصرانية والمجوسية على نجاسة الماء * ولم

يلتفت اليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عمر رضي الله
عنه * اما علامة الظلم فتضاهى ماذا رأينا ظبية تبول في ماء
ثم وجدنا الماء متغيرا فامكن ان يكون من طول المكث
وامكن ان يكون من البول فانه يجب اجتنابه احالة على
السبب الظاهر * ثم وراء ذلك كله عليه ان يستفتي قلبه * فاذا
وجد في قلبه حزازة فليجتنبه * فالاثم حزازة القلوب
وحكاكات الصدور * ولكن ههنا دقيقة يغفل عنها اهل
الورع * وهى انه حيث يكون الترك من الورع او من
حزازة فى النفس فلا يجوز الترك والسؤال بحيث يؤذى
فالمجهول اذا قدم اليك طعاما فان سألته انه من اين استوحش
وتأذى * والايذاء حرام * وسوء الظن حرام * وان سألته
عن غيره بحيث يدري زاد الايذاء * وان سألت بحيث
لا يدري فقد تجسست وأسأت الظن * وبعض الظن اثم
وتساهلت بالغيبة والتهمة وكل ذلك حرام * وترك الورع
ليس بحرام * فليس لك الا التلطف بالترك فان لم يكن الا
بايذاء * فعليك ان تأكل فان طيبة قلب المسلم وصيانته عن الايذاء

اهم من الورع * فاياك أن تكون من القراء المغرورين الذين لا
يدركون دقائق الورع ﴿ واعلم ﴾ ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم أكل من صدقة بريرة ولم يسئل عن المتصدق * وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم تحمل اليه الهدايا فيقبل ولا
يسئل * نعم سئل في اول قدومه الى المدينة عما حمل اليه هل
هو صدقة او هدية لان ذلك ليس فيه ايذاء ولان قرينة الحال
كانت تقتضى الامكان في الصدقة والهدية على وتيرة واحدة
وكان صلى الله عليه وسلم يدعى الى الضيافات فيجيب ولا
يسئل ولم ينقل السؤال الا نادرا في محل الريبة * فان قلت فان
وقع طعام حرام فى سوق فهل يشترى من ذلك السوق
﴿ فاقول ﴾ ان تحققت ان الحرام هو الاكثر فلا تشتر الا
بعد التفتيش * وان علمت ان الحرام كثير وليس بالاكثر
فلك الشراء * والتفتيش من الورع * ولقد كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم واصحابه رضوان الله تعالى عليهم اجمعين يشترون
في اسفارهم من الاسواق مع علمهم بان فيهم اهل الربا والغصب
واهل الغلول فى الغنيمة * وكانوا لا يتركون المعاملة معهم * وهذا

الباب يستدعي شرحا طويلا * فان رغبت فيه فطالع كتاب الحلال والحرام من كتب الاحياء لتشهد عند مطالعته بانه لم يصنف في فنه مثله في التحقيق والتحصيل والاحاطة بجميع التفاصيل

﴿ الاصل الثامن في القيام بحقوق المسلمين ﴾

وحسن الصحبة معهم وهو ركن من أركان الدين اذ الدين معناه السفر الى الله تعالى * ومن أركان السفر حسن الصحبة في منازل السفر مع المسافرين والخلق كلهم سفر يسير بهم العمر سير السفينة بركابها ﴿ واعلم ﴾ ان الانسان في الدنيا اما أن يكون وحده أو يكون مع خواصه من اهل وولد وقريب وجار أو يكون مع عموم الخلق * فهذه ثلاثة أحوال وعليه حسن الصحبة واداء الحقوق في جميع هذه الاحوال ﴿ الحالة الاولى ﴾ ان يكون وحده وليعلم انه بنفسه عالم وان باطنه يشتمل على اصناف من الخلق مختلفي الطباع والاخلاق فان لم يحسن صحبتهم ولم يقم بحقوقهم هلك * واصناف جنود الباطن كثيرة ﴿ وما يعلم جنود ربك الا هو ﴾ وقد استقصينا بعض ذلك في كتاب عجايب القلب * ونذكر الآن أمراء الجنود

ورؤسها *فنقول فيك شهوة تجذب بها الى نفسك النافع وغضب
تدفع به عن نفسك الضار *وعقل تدبر به الامور وترعى به
الرعية *فانت باعتبار غضبك كلب وباعتبار شهوتك بهيمة
كالفرس مثلا *وباعتبار عقلك ملك وانت مأمور بالعدل بينهم
والقيام بحقوقهم والاستعانة بهم لتقتنص بعونتهم سعادة
الابد *فان رضت الفرس (١) وادبت الكلب وسخرتهما للملك
تيسر لك الظفر بما طلبت * وان سخرت العقل في استنباط
الحيل لتحصيل ما يتقاضاه الكلب بغضبه (٢) ولجاجه * والفرس
بحرصه وجشعه اوفيت على العطب (٣) فضلا عن ادراك
مقصود الطلب فصرت منكوسا معكوسا فاجرا ظالما لان
الظلم وضع الشيء في غير موضعه * ولو رأيت شخصاً جعل
في طاعته ملك وكلب وخنزير فلم يزل يضطر الملك الى ان
يسجد للخنزير والكلب *فهل تراه ظالما مستوجبا اللعنة * ولو
كوشفت بحالك عند منامك او عند فنائك عن نفسك كما

---

(١) من الرياضة يقال راض المهر اذا ذلله (٢) وفي نسخة بعضه
(٣) عطب عطباً من باب تعب أي هلك

وصفناه في الاستغراق بالله لرأيت كل من اطاع شهوته وغضبه ساجدا لكلب وخنزير اذ لم يكن الكلب كلبا لصورته بل لمعناه* وكذلك ترى نفسك بعد الموت لان المعاني في عالم الآخرة تستتبع الصور ولا تتبعها فيتمثل كل شيء بصورة توازي معناه فيحشر المتكبرون في صغر الذر يطؤهم من اقبل وادبر* والمتواضعون اعزاء﴿ واما هذا العالم﴾فعالم التلبيس فقد يودع معنى الخنزير والكلب في صورة الانسان فلا تغتر به فان ذلك ينكشف يوم تبلى السرائر *فعليك ان تحسن صحبة رفقائك الثلاثة فتكسر شره الشهوة بسطوة الغضب وتقل من غلواء الغضب بخداع الشهوة *وتسلط احدهما على الاخر فان ذلك بليغ جدا في تقويمهما حتى ينقادا للعقل والشرع فيستعملهما العقل بحيث ينتفع بهما كما يستعمل الصايد الفرس والكلب عند الحاجة ويسكنهما عند الاستغناء* وشرح هذه الرياضة والصيد طويل ذكرناه في كتاب رياضة النفس*

﴿ الحالة الثانية ﴾

صحبتك مع عموم الخلق فأقل درجات حسن الصحبة كف

الاذى عنهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ﴾ وفوق ذلك ان تنفعهم وتحسن اليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ الخلق كلهم عيال الله واحبهم الى الله انفعهم لعياله ﴾ وفوق ذلك ان تحتمل الاذى منهم وتحسن مع ذلك اليهم * وذلك درجة الصديقين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعليّ رضي الله عنه ﴿ ان اردت ان تسبق الصديقين فصِلْ من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك ﴾ هذه جملة الامر وتفصيل هذه الحقوق كثيرة ونقتصر من جملتها على عشرين وظيفة ﴿ فمنها ﴾ ان لا تحب للناس الا ما تحب لنفسك قال عليه السلام من سرّه ان يزحزح عن النار فليأته منيّته وهو يشهد ﴿ ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ﴾ وليأت الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه ﴿ ومنها ﴾ ان يتواضع لكل احد ولا يفتخر عليه فان الله لا يحب كل مختال فخور * وان تكبّر عليه غيره فليحتمل قال الله تعالى * خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين ﴿ ومنها ﴾ ان يوقّر المشايخ ويرحم الصبيان قال عليه السلام ليس منا من

لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا* وقال عليه السلام من اجلال الله تعالى اكرام ذي الشيبة المسلم* وقال صلى الله عليه وسلم ماوقر شاب شيخا لسنه الا قيض الله له فى شيبته من يوقره وهذا يبشره بطول الحياة مع الاجر ﴿ومنها﴾ ان تكون مع كافة الخلق مستبشر اطلق الوجه وقال صلى الله عليه وسلم اتدرون على من حرمت النار قال الله ورسوله اعلم قال ﴿على الهين اللين السهل القريب﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب السهل الطلق ﴿ومنها﴾ اصلاح ذات البين بين المسلمين ولو بالمبالغة والزيادة فى الكلام قال صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من اصلح بين الاثنين* فقال خيرا اونمى خيرا *وقال صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بافضل من درجات القيام والصلوة والصدقة قالوا بلى يارسول الله قال اصلاح ذات البين* وفساد ذات البين هي الحالقة ﴿ومنها﴾ ان لا تسمع بلاغات الناس بعضهم على بعض ولا يبلغ بعضهم مايسمع من بعض قال صلي الله عليه وسلم ﴿لا يدخل الجنة قتات﴾ وقيل من نم اليك نم عليك ﴿ومنها﴾ ان لا تزيد فى الهجرة عند الوحشة على ثلاثة ايام قال صلي الله عليه وسلم

لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث * وقال صلى الله عليه وسلم من اقال مسلما عثرته اقاله الله تعالى عثرته يوم القيامة ﴿ومنها﴾ ان تحسن الى كل احد كان اهلا لذلك او لم يكن * قال صلى الله عليه وسلم اصنع المعروف الى من هو اهله والى من ليس اهله فان لم يصب اهله فانت من اهله ﴿ومنها﴾ ان تخالق كل صنف باخلاقهم ولا تلتمس من الجاهل والغبي ماتلتمس من الورع العالم * قال داود عليه السلام الهي كيف لي ان يحبني الناس واسلم فيما بيني وبينك فاوحى الله سبحانه اليه ﴿خالق اهل الدنيا باخلاق الدنيا وخالق اهل الآخرة باخلاق الاخرة﴾ ﴿ومنها﴾ ان تنزل الناس منازلهم فتزيد في اكرام ذي المنزلة وان كانت منزلته في الدنيا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم بسط رداءه لبعضهم * وقال اذا جاءكم كريم قوم فاكرموه ﴿ومنها﴾ ان تستر عورات المسلمين * قال صلى الله عليه وسلم لا يرى امرؤ من اخيه عورة فيسترها عليه الا دخل الجنة * وقال صلى الله عليه وسلم ﴿يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان في قلبه لاتغتابوا المسلمين

ولا تتبعوا عوراتهم﴾ *فان من يتبع عورة اخيه المسلم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته ﴿ ومنها ﴾ ان تتقي مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن والسنتهم عن الغيبة * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ اتقوا مواضع التهم ﴾ وكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم احدى نسائه فمر به رجل *فسلم عليه فلما مر دعاه *فقال يافلان هذه زوجتي صفية فقال يا رسول الله من كنت اظن فيه فاني لا اظن فيك * فقال ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم ﴿ ومنها ﴾ ان تسعى في قضاء حوائج المسلمين ولو بشفاعة قال صلى الله عليه وسلم * اشفعوا اليّ تؤجروا فاني اريد الأمر فأوخره كي تشفعوا الى فتوجروا * وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ من مشى في حاجة اخيه ساعة من ليل او نهار قضاها او لم يقضها كان خيرا له مع اعتكاف شهرين ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ قيامك مع اخيك لساعة خير من اعتكافك سنة ﴾ ﴿ ومنها ﴾ ان تبادر بالسلام على كل مسلم وتصافحه ليكون لك فضل البداية * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

اذا التقى المسلمان فتصافحا قسمت بينهما سبعون رحمة تسع وستون لاحسنهما برا ﴿ ومنها ﴾ ان ينصر اخاه في غيبته فيرد عن عرضه وماله * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن احد ينصر مسلما في موضع يهتك فيه من عرضه وتستحل حرمته الا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته * وما من احد يخذل مسلما في موضع تهتك فيه حرمته الا خذله الله في موضع يحب فيه نصرته ﴿ ومنها ﴾ ان تداري اهل الشر لتسلم منهم * قالت عائشة رضى الله عنها استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم * فقال ايذنوا له فبئس رجل العشيرة * فلما دخل ألان له القول حتى ظننت ان له عنده منزلة * فلما خرج راجعته في ذلك فقال ياعائشة ان شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من يكرمه الناس اتقاء فحشه * وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ ماوقي المرء به عرضه فهو له صدقة ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم * خالطوا الناس باعمالهم وزايلوهم بالقلوب ﴿ ومنها ﴾ ان تحذر مجالسة الاغنياء وتكثر مجالسة المساكين * قال صلى الله عليه وسلم ﴿ اياكم ومجالسة الموتى ﴾

قيل ومن هم قال الاغنياء * وقال صلى الله عليه وسلم ﴿اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين﴾ وكان سليمان عليه السلام اذ رأى في المسجد مسكينا جلس اليه وقال مسكين جالس مسكينا * وقال موسى عليه السلام ﴿الهى اين اطلبك قال عند المنكسرة قلوبهم من اجلى﴾ ﴿ومنها﴾ ان لايجالس الا من يفيده فى الدين فائدة او من يستفيد منه * فأما اهل الغفلة فيتحذر منهم * قال صلى الله عليه وسلم الوحدة خير من الجليس السوء * والجليس الصالح خير من الوحدة * فاذا اكثر من مجالسة اهل الغفلة فينتقص من دينه بكل جلسة شيء فليقدر ان كل واحد منهم لو كان يأخذ منه في كل جلسة سلكا من ثوبه او شعرة من شعر لحيته اما كان يحذره خيفة ان يصير على القرب امردا عاريا * فالحذر لاجل الدين اولى ﴿ومنها﴾ ان يعود مرضاهم * ويشيع جنائزهم ويزور قبورهم * ويدعو لهم في الغيبة * ويشمت العاطس وينصف الناس من نفسه * وينصح اذا استنصح الى غير ذلك من حقوق كثرت فيها الاخبار آثرنا فيها الاختصار * وجملتها

ان تعمل فى حقهم ماتحب ان يعمل في حقك من احسان واهتمام وكف اذى *

﴿ الحالة الثالثة ﴾

الصحبة مع من يدلي سوى عموم الاسلام بخاصية كجوار او قرابة او ملك قال صلى الله عليه وسلم ﴿ اذا رميت كلب جارك فقد اذيته ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ اول خصمين يوم القيامة جاران ﴾ وقيل له صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصوم النهار وتصلي الليل وتؤذي الجيران فقال ﴿ هي في النار ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ اتدرون ماحق الجار ان استعان اعنته * وان استقرضك اقرضته * وان افتقر جدت عليه وان مرض عدته * وان مات اتبعت جنازته * وإن اصابه خير هنأته * وان اصابته مصيبة عزيته * ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح الا باذنه * واذا اشتريت فاكهة فاهد له وان لم تفعل فادخلها سرا ولايخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده * ولا تؤذه بقتار قدرك الا أن تغرف له منها اتدرون ما حق الجار والذى نفسي بيده لايبلغ حق الجار الا

من رحمه الله ) ﴿ واما القرابة ﴾ فقد قال صلى الله عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى ﴿ انا الرحمن ﴾ وهذه الرحم شققت لها اسما من اسمي . فمن وصلها وصلته . ومن قطعها بتته * وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ صلة الرحم تزيد في العمر ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم توجد رائحة الجنة على مسيرة خمس مائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم * وقال صلى الله عليه وسلم برّ الوالدين أفضل من الصلاة والصيام والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله عز وجل * وقال صلى الله عليه وسلم بر الوالدة على الولد ضعفان * وقال صلى الله عليه وسلم ساووا بين اولادكم بالعطية ﴿ واما المملوك ﴾ فقد قال فيهم صلى الله عليه وسلم اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم اطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل مالا يطيقون * فان الله ملككم اياهم ولو شاء لملكهم اياكم * وقال صلى الله عليه وسلم اذا كفى احدكم مملوكه طعاما فكفاه حره وعلاجه وقرّبه اليه فليجلسه فليأكل معه او ليأخذ لقمة فليروّغها وليضعها في يده وليقل كل هذه * وسئل صلى الله عليه وسلم كم نعفو

عن المملوك في اليوم والليلة * قال سبعين مرة * فجملة حق المملوك ان يشركه في طعمته وكسوته * ولا يكلفه فوق طاقته ويعفو عن زلته ولا ينظر اليه بعين الكبر والازدراء * ويعلمه مهمات دينه ﴿ وأما حقوق المنكوحة ﴾ فتزيد على هذا اذ يجب لها مع القيام بواجباتها حسن العشرة والمطايبة * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ خيركم خيركم لاهله * وأنا خيركم لأهلي ﴾ وكان صلى الله عليه وسلم من أفكه الناس مع نسائه والأخبار في ذلك أكثر من أن تحصى *

## فصل

من أصول الدين في أمر الصحبة اتخاذ الاخوان في الله عز وجل قال الله تعالى لبعض أنبيائه ﴿ أما زهدك ﴾ في الدنيا فقد استعجلت الراحة ﴿ وأما انقطاعك الىّ ﴾ فقد تعززت بي فهل واليت فيّ وليا * وهل عاديت فيّ عدوا * وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله يوم القيامة ﴿ أين المتحابون لجلالي اليوم اظلهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي ﴾ واوحى الله سبحانه الى عيسى عليه السلام ﴿ لو انك عبدتني بعبادة اهل السموات والارض

وحب في الله ليس وبغض في الله ليس ما اغنى عنك ذلك شيئاً ﴾
وقال صلى الله عليه وسلم ان حول العرش منابر من نور
عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور وليسوا بانبياء ولا شهداء
يغبطهم النبيون والشهداء * فقالوا يارسول الله حلّهم لنا من هم.
فقال المتحابون في الله * والمتجالسون في الله * والمتزاورون
في الله عز وجل ﴿واعلم﴾ ان كل حب لا يتصور دون الايمان
بالله واليوم الآخر فهو حب في الله * ولكنه على درجتين
﴿ احداهما ﴾ ان تحبه لتنال منه في الدنيا نصيبا يوصلك الى
الآخرة كحبك استاذك وشيخك * بل تلميذك الذي ينمو
علمك بتعليمه * بل خادمك الذي يفرغ قلبك عن كنس
بيتك وغسل ثوبك لتتفرغ بسببه لطاعة الله تعالى بل المنفق
عليك من ماله اذا كان غرضك من ذلك افراغ القلب لعبادة
الله تبارك وتعالى * ﴿ الثانية ﴾ وهي أعلى أن تحبه لانه محبوب
عند الله عز وجل ويحب الله وان لم يتعلق غرض به لك
في الدنيا والآخرة من علم او معونة على دين أو غيره * وهذا
أكمل لان الحب اذا غلب تعدي الى كلّ من هو من

المحبوب بسبب حتى يحب الانسان محب محبوبه ومحبوب محبوبه * بل يميز بين الكلب الذي هو في سكة محبوبه وبين سائر الكلاب * وانما سراية الحب بقدر غلبة الحب * ومن احب لقاء الله لم يمكنه ان لا يحب عباده الصالحين المرضيين عنهم الا ان ذلك قد يقوى حتى يحمل على ان يسلك بهم مسلك نفسه بل يؤثرهم على نفسه * وقد يقصر عن ذلك وفضلهم عنده ينقسم بقدر درجته وقوته * وكذلك يبغض لا محالة من يعصيه ويخالف أمره ويظهر أثر ذلك في مجانبته ومهاجرته له وتقطيبه الوجه عند مشاهدته * ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل لفاجر عليّ يدا فيحبه قلبي حذرا من ان يقدح ذلك في البغض في الله * وبالجملة من لا يصادف من نفسه الحب في الله والبغض في الله بهذه الاسباب فهو ضعيف الايمان * وهذا له تفصيل وتحقيق * فاطلبه من كتاب الصحبة والاخوة في الله تعالى *

## الأصل التاسع

في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر * قال الله تعالى ﴿ ولتكن

منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ الآية وقال تعالى ﴿والمؤمنون والمؤمنات اولياء بعض﴾ الآية وقال تعالى ﴿كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾ وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في خطبته * أيها الناس انكم تقرؤن هذه الآية وتتأولونها على خلاف تأويلها ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم﴾ واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مامن قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر ان ينكر عليهم فلم يفعل الا أوشك ان يعمهم الله بعذاب من عنده * وقالت عايشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عذب اهل قرية فيها ثمانية عشر الفاً اعمالهم اعمال الانبياء * قالوا يارسول الله كيف ذلك * قال لم يكونوا يغضبون لله عز وجل * ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر *

## فصل

كل من شاهد منكرا ولم ينكره وسكت عنه فهو شريك

فيه فالمستمع شريك المغتات * ويجرى هـذا فى جميع المعاصى
حتى فى مجالسة من يلبس الديباج ويتختم بالذهب ويجلس على
الحرير * والجلوس في دار او في حمام على حيطانها صورا او فيها
أواني من ذهب او فضة او الجلوس في مسجد يسيء الناس الصلوة
فيه فلا يتمون الركوع والسجود والجلوس فى مجلس وعظ
يجرى فيه ذكر البدعة او فى مجلس مناظرة أو مجادلة يجرى
فيهـا الايذاء والايحاش بالسفه والشتم * وبالجملة من خالط
الناس كثرت معاصيه وان كان تقياً في نفسه الا ان يترك
المداهنة ولا تأخذه فى الله لومة لائم * ويشتغل بالحسبة والمنع
وانما يسقط عنه الوجوب بأمرين ﴿ احدهما ﴾ أن يعلم انه ان
انكر لم يلتفت اليه ولم يترك المنكر ونظر اليه بعين الاستهزاء
وهذا هو الغالب في منكرات ترتكبها الفقهاء ومن يزعم
انه من أهل الدين * فههنا يجوز السكوت ولكن يستحب
الزجر باللسان اظهارا لشعار الدين مهما لم يقدر على غير الزجر
باللسان * ويجب ان يفارق ذلك الموضع فليس يجوز مشاهدة
المعصية بالاختيار * فمن جلس فى مجلس الشرب فهو فاسق

وان لم يشرب * ومن جالس مغتابا او لابس حرير او آكل
ربا او حرام فهو فاسق فليقم من موضعه ﴿ والثاني ﴾ ان
يعلم انه يقدر على المنع من المنكر بان يرى زجاجة فيها خمر
فيرميها فتكسر * أو يسلب آلة الملاهى من يده ويضربها على
الارض ولكن يعلم انه يضرب أو يصاب بمكروه * فهنا
يستحب الحسبة لقوله تعالى ﴿ وانه عن المنكر واصبر على
ما اصابك ﴾ ولا يجب الا ان يكون المكروه الذى يصيبه
له درجات كثيرة يطول النظر فيها ذكرناها فى كتاب الأمر
بالمعروف من الاحياء * وعلى الجملة فلا يسقط الوجوب
الا بمكروه فى بدنه بالضرب او فى ماله بالاستهلاك او
فى جاهه بالاستخفاف به بوجه يقدح في مروته * فاما لخوف
استيحاش المنكر عليه وخوف تعرضه له باللسان وعداوته
له او توهم سعيه له فى المستقبل بما يسوءه او يحول بينه وبين
زيادة خير يتوقعها * فكل ذلك موهومات وامور ضعيفة
لا يسقط الوجوب بها *

## فصل

عمدة الحسبة شيئان ﴿ احدهما ﴾ الرفق واللطف والبداية بالوعظ على سبيل اللين لا على سبيل العنف والترفع والاذلال بدالة الصلاح فان ذلك يؤكد داعية المعصية ويحمل العاصى على المناكرة وعلى الايذاء * ثم اذا أذاه ولم يكن حسن الخلق غضب لنفسه وترك الانكار لله تعالى * واشتغل بشفاء غليله منه فيصير عاصيا بل ينبغى أن يكون كارها للحسبة يود لو ترك المعصية بقول غيره فانه اذا أحب أن يكون هو المتعرض كان ذلك لما فى نفسه من دالة الاحتساب وعزته * وقال عليه السلام ﴿ لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر الا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه حليم فيما يأمر به حليم فيما ينهي عنه فقيه فيما يأمر به فقيه فيما ينهى عنه ﴾ ووعظ المأمونَ رحمة الله عليه واعظٌ بعنف فقال يا رجل ارفق فقد بعث الله تعالى من هو خير منك الى من هو شر منى فامره بالرفق فقال الله تعالى ﴿فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى﴾ وروى أبو امامة الباهلي رضي الله عنه أن غلاماً شاباً أتى

النبي صلى الله عليه وسلم * فقال أتأذن لى بالزنا فصاح الناس به فقال النبي عليه السلام ﴿ أقرّوه أقرّوه أدن مني ﴾ فدنا منه فقال عليه السلام ﴿ أتحبه لامك ﴾ فقال لا جعلني الله فداك قال عليه السلام ﴿ كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم ﴾ ثم قال ﴿ أتحبه لابنتك ﴾ قال لا قال ﴿ كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم ﴾ حتى ذكر له الاخت والعمة والخالة ويقول عليه السلام ﴿ كذلك الناس لا يحبونه ﴾ ثم وضع يده على صدره وقال ﴿ اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه ﴾ فلم يكن بعد ذلك شيء أبغض اليه من الزنا * وقال بعضهم للفضيل ان سفيان بن عيينة قبل جوائز السلطان * فقال ما أخذ منهم الا دون حقه * ثم خلى به وعاتبه بالرفق * فقال ياأبا علي ان لم نكن من الصالحين فانا نحب الصالحين *

﴿ العمدة الثانية ﴾

ان يكون المحتسب قد بدأ بنفسه فهذبها وترك ما ينهى عنه أولا * قال الحسن البصري اذا كنت تأمر بالمعروف فكن من آخذى الناس به والا هلكت * فهذا هو الاولى حتى

ينفع كلامه والا استهزئ به * وليس هـذا شرطا بل يجوز الاحتساب للعاصى أيضا * قال أنس قلنا يارسول الله ألا نأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله * قال عليـه السلام بلى مروا بالمعروف وان لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوه كله * وقال الحسن البصري يريد أن لا يظفر الشيطان منكم بهذه الخصلة وهو أن لا تأمروا بالمعروف حتى تأتوا به كله يعنى ان هذا يؤدي الى حسم باب الحسبة * فمن ذا الذي يعصم عن المعاصى *

﴿ الاصل العاشر فى اتباع السنة ﴾

اعلم أن مفتاح السعادة اتباع السنة والاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع مصادره وموارده وحركاته وسكناته حتى في هيئة أكله وقيامه ونومه وكلامه * لست أقول ذلك في آدابه في العبادات فقط لانه لا وجه لاهمال السنن الواردة فيها بل ذلك فى جميع أمور العادات * فبذلك يحصل الاتباع المطلق قال الله سبحانه ﴿ قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾

وقال تعالى ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ فعليك أن تلبس السراويل قاعداً وتتعمم قائماً * وتبتدئ باليمين في تنعلك وتأكل بيمينك * وتقلّم أظفارك وتبتدئ بمسبحة اليد اليمنى وتختم بابهامها * وفي الرجل تبتدئ بخنصر اليمنى وتختم بخنصر اليسرى * وكذلك في جميع حركاتك وسكناتك فقد كان محمد بن أسلم لايأكل البطيخ لانه لم ينقل اليه كيفية أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم له * وسهى بعضهم فابتدأ في لبس الخف باليسرى * فكفر عن ذلك بكر حنطة * فلا ينبغي أن تتساهل في أمثال ذلك فتقول هذا مما يتعلق بالعادات فلا معنى للاتباع فيه لان ذلك يغلق عليك بابا عظيما من أبواب السعادة

## فصل

لعلك تشتهي الآن الوقوف على السبب المرغب في الاتباع في هذه الافعال وتستبعد أن يكون تحت ذلك أمر مهم يقتضي هذا التشديد العظيم في المخالفة ﴿فاعلم﴾ ان ذكر السر في آحاد تلك السنن طويل لايحتمل هذا الكتاب شرحه لكن ينبغي أن تفهم ان ذلك ينحصر في ثلاثة أنواع من الاسرار ﴿ الاول ﴾

انا قد نبهناك في مواضع على العلاقة التي بين الملك والملكوت وبين الجوارح والقلب وكيفية تأثر القلب بعمل الجوارح فان القلب كالمرآة ولا تتجلي فيه حقائق الاشياء الا بتصقيله وتنويره وتعديله ﴿ أما تصقيله ﴾ فبازالة خبث الشهوات وكدورة الاخلاق الذميمة ﴿ وأما تنويره ﴾ فبأنوار الذكر والمعرفة ويعين على ذلك العبادة الخالصة اذا أديت على كمال الخدمة بمقتضى السنة ﴿ وأما تعديله ﴾ فبأن يجرى في جميع حركات الجوارح على قانون العدل اذ اليد لا تصل الى القلب حتي تقصد بتعديله وتحدث فيه هيئة معتدلة صحيحة لا اعوجاج فيها * وانما التصرف في القلب بواسطة تعديل الجوارح وتعديل حركاتها ولهذا كانت الدنيا مزرعة الآخرة * ولهذا تعظم حسرة من مات قبل التعديل لا نسداد طريق التعديل بالموت اذ تنقطع علاقة القلب عن الجوارح فمها كانت حركات الجوارح بل حركات الخواطر أيضا موزونة بميزان العدل حدث في القلب هيئة عادلة مستوية تستعد لقبول الحقائق على نعت الصحة والاستقامة كما تستعد المرآة المعتدلة لمحاكاة الصور

الصحيحة من غير اعوجاج ﴿ ومعنى العدل ﴾ وضع الاشياء مواضعها * ومثاله أن الجهات مثلا أربعة وقد خص منها جهة القبلة بالتشريف فالعدل أن تستقبل في أحوال الذكر والعبادة والوضوء وان تنحرف عنها عند قضاء الحاجة وكشف العورة اظهارا لفضل ما ظهر فضله ﴿ ولليمين ﴾ زيادة على اليسار غالبا لفضل القوة * فالعدل أن تفضلها على اليسار وتستعملها فى بعض الاعمال الشريفة كأخذ المصاحف والطعام * وتترك اليسار للاستنجاء وتناول القاذورات ﴿ وقلم الظفر ﴾ مثلا تطهير لليد فهو اكرام فينبغى أن تبتدء بالاكرم والافضل * وربما لا يستقل عقلك بالتفطن للترتيب فى ذلك وكيفية البداية * فاتبع فيه السنة وابتدء بالمسبحة من اليمنى لان اليد أفضل من الرجل واليمنى أفضل من اليسرى * والمسبحة التي بها الاشارة في كلمة التوحيد أفضل من سائر الاصابع * ثم بعد ذلك تدور من يمين المسبحة وللكف ظهر ووجه فوجهه ما تقابله * فاذا جعلت الكف وجه اليد كان يمين المسبحة من جانب الوسطى فقدّر اليدين متقابلتين بوجهيهما * وقدّر الاصابع كأنها أشخاص فتدور

بالمقراض من المسبحة الى أن تختم بابهام اليمنى * كذلك فعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم * والحكمة فى ذلك ماذكرناه فاذا
أنت تعودت رعاية العدل في دقائق الحركات صارت العدالة
والصحة هيئة راسخة فى قلبك واستوت صورها * وبذلك
تستعد لقبول صورة السعادة * ولذلك قال الله تعالى ﴿ فاذا
سويته ونفخت فيه من روحى ﴾ فروح الله عزّ وجلّ مفتاح
أبواب السعادة ولم يكن نفخها الا بعد التسوية * ومعنى
التسوية يرجع الى التعديل * وفى ذلك سر طويل يطول شرحه
وانما نريد الرمز الى أصله * فان كنت لاتقوى على فهم حقيقته
فالتجربة تنفعك * فانظر الى من تعوّد الصدق كيف يصدق
رؤياه غالباً لانّ الصدق حصل فى قلبه هيئة صادقة يتلقى
لوائح الغيب في النوم على الصحة * وانظر كيف يكذب
رؤيا الكذاب بل رؤيا الشاعر لتعوده التخيلات الكاذبة *
فاعوج لذلك صورة قلبه * فان كنت تريد أن تلمح جنات القدس
فاترك ظاهر الاثم وباطنه واترك الفواحش ماظهر منها وما
بطن * واترك الكذب حتى في حديث النفس أيضا ﴿ السرّ

الثاني ﴾ أن تعلم أن الاشياء المؤثرة فى بدنك بعضها انما يعقل
تأثيرها بنوع من المناسبة الى الحرارة والبرودة والرطوبة
واليبوسة كقولك ان العسل يضر المحرورين وينفع البارد
مزاجه * ومنها مالا يدرك بالقياس ويعبرعنه بالخواص وتلك
الخواص لم يوقف عليها بالقياس بل مبدء الوقوف عليها وحي
أو الهام * فالمغناطيس يجذب الحديد* والسقمونيا يجذب خلط
السفراء من أعماق العروق لاعلى القياس بل بخاصية وقف عليها
اما بالالهام أو بالتجربة * وأكثر الخواص عرفت بالالهام
وأكثر التأثيرات في الادوية وغيرها من قبل الخواص
فلذلك ﴿ فاعلم ﴾ أن تأثيرات الاعمال فى القلب تنقسم الي
ماهو يفهم وجه مناسبته كعلمك بأن اتباع الشهوة الدنيوية
يؤكد علاقته مع هذا العالم * فيخرج من العالم منكوس الرأس
موليا وجهه الى هذا العالم اذ فيه محبوبه *وكعلمك أن المداومة
على ذكر الله تعالى تؤكد الانس بالله تعالى وتوجب الحب
حتى تعظم اللذة به عند فراق الدنيا والقدوم على الله سبحانه
اذ اللذة على قدر الحب * والحب على قدر المعرفة والذكر *

﴿ ومن الاعمال ﴾ ما يؤثر في الاستعداد لسعادة الآخرة او لشقاوتها بخاصية ليست على القياس لا يوقف عليها الا بنور النبوة فاذا رأيت النبيّ صلى الله عليه وسلم قد عدل عن أحد المباحين الى الآخر وآثره عليه مع قدرته عليهما ﴿ فاعلم ﴾ انه اطلع بنور النبوة على خاصية فيه وكوشف به من عالم الملكوت كما قال صلى الله عليه وسلم ﴿ يا أيها الناس ان الله أمرني ان أعلمكم مما علمني وأءدبكم مما أدبني فلا يكثرن أحدكم الكلام عند المجامعة فانه يكون منه خرس الولد ولا ينظرن أحدكم الى فرج امرأته اذا هو جامعها فانه يكون منه العمى * ولا يقبلن أحدكم امرأته اذا هو جامعها فانه يكون منه صمم الولد * ولا يديمن احدكم النظر فى الماء فانه يكون منه ذهاب العقل ﴾ وهذا مثال مما ذكرناه واردنا تنبيهك على اطلاعه على خواص الأشياء بالاضافة الى أمور الدنيا لتقيس به اطلاعه صلى الله عليه وسلم على ما يؤثر بالخاصية في السعادة والشقاوة فلا ترضى فترضى لنفسك ان تصدق محمد بن زكريا الرازى المتطبب فيما يذكره من خواص الاشياء في الحجامة والاحجار والادوية

ولا تصدق سيد البشر محمد بن عبد الله الهاشمي المكّي المدنّي صلوات الله عليه وسلامه فيما يخبر به عنها * وأنت تعلم انه صلى الله عليه وسلم مكاشف من العالم الاعلى بجميع الاسرار وهذا ينبهك على الاتباع فيما لا يفهم وجه الحكمة فيه على ما ذكرناه في السرّ الاول ﴿السر الثالث﴾ ان سعادة الانسان ان يتشبه بالملائكه في النزوع عن الشهوات وكسر النفس الامارة بالسوء * ويبعد عن مشابهة البهيمة المهملة سدى التي تسترسل في اتباع الهوى بحسب مايقتضيه طبعها من غير حاجز * ومهما تعوّد الانسان في جميع الامور ان يفعل ما يشاء من غير حاجز الف اتباع مراده وهواه * وغلب على قلبه صفة البهيمة * فمصلحته ان يكون في جميع حركاته ملجما بلجام يصده عن طريق الى طريق كيلا تنسى نفسه العبودية * ولزوم الصراط المستقيم فيكون أثر العبودية ظاهرا عليه فى كل حركة * اذ لا يفعل شيئاً بحسب طبعه بل بحسب الامر * فلا ينفك فى جميع أحواله عن مصادمات الزمان بايثار بعض الامور على بعض ﴿ومن القى زمامه﴾ الى

يد كلب مثلا حتي لم يكن تصرفه وتردده بحكم طبعه بل بحكم غيره فنفسه اقوم الى قبول الرياضة الحقيقية وأقرب واقوى ممن جعل زمامه في يد هواه يسترسل بها استرسال البهيمة* وتحت هذا سرّ عظيم في تزكية النفس * وهذه فائدة تحصل بوضع الشارع صلى الله عليه وسلم كيف ما وضعه * والفائدة الحكمية والخاصية لا تتغير بالوضع وهذا يتغير بالوضع * فان المقصود ان لا يكون مخلّى مع اختياره * وذلك المقصود يحصل بالمنع عن أحد الجانبين أيّ جانب كان * وفى مثل هذا يتصور ان يختلف الشرايع لانه ثمرة الوضع * فيكفيك هذه التنبيهات الثلاث على فضل ملازمة الاتباع فى جميع الحركات والسكنات *

﴿ فصل ﴾

هذا التحريض كله الذي ذكرته انما هو فى العادات ﴿ واما في العبادات ﴾ فلا اعرف لترك السنة من غير عذر وجها الا كفر خفيّ او حمق جليّ * بيانه ان النبي صلى الله عليه وسلم اذ قال ﴿ تفضل صلاة الجماعة على صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة ﴾

فكيف تسمح نفس المؤمنين بتركها من غير عذر * نعم يكون
السبب فى ذلك اما حمق او غفلة بان لا يتفكر في هذا التفاوت
العظيم * ومن يستحمق غيره اذا آثر واحدا على اثنين كيف
لا يستحمق نفسه اذا آثر واحد على سبع وعشرين * لا سيما
فيما هو عماد الدين ومفتاح السعادة الابدية﴿ واما الكفر﴾فهو
ان يخطر بباله ان هذا ليس كذلك * وانما ذكره للترغيب في
الجماعة والا فاي مناسبة بين الجماعة وبين هذا العدد المخصوص
من بين سائر الاعداد * وهذا كفر خفي قد ينطوي عليه
الصدر وصاحبه لا يشعر به * فما اعظم حماقة من يصدق
المنجم والطبيب فى امور ابعد من ذلك ولا يصدق النبي
المكاشف باسرار الملكوت * فان المنجم لو قال لك اذا انقضى
سبعة وعشرون يوما من اول تحويل طالعك اصابتك نكبة
فاحترز فى ذلك اليوم واجلس في بيتك فلا تزال فى تلك المدة
تستشعر وتترك جميع اشغالك * ولو سألت المنجم عن سببه
لقال لك انما قلت ذلك لأن بين درجة الطالع وموضع
زحل سبعا وعشرين درجة فتتأخر النكبة فى كل درجة يوما او

شهرا * فاذا قيل لك هذا هوس اذ لامناسبة له فلا تصدقن به فلا يخلو قلبك عن الاستشعار * وتقول في افعال الله تعالى عجائب لاتعرف مناسبتها ولعلها خواص لاتدرك * وقدعرف بالتجربة ان ذلك مما يؤثر وان لم يعرف مناسبته * ثم اذا آل الأمر الى خبر النبوة عن الغيب انكرت مثل هذه الخواص وطلبت المناسبة الصريحة * فهل لهذا سبب الا شرك خفي لا بل كفر جلي اذ لامحمل له سواه * وسبب هذا التكاسل كله انك لايهمك أمر آخرتك فان امر دنياك لما كان يهمك فتحطاط فيه بقول المنجم والطبيب وبالاختلاج والفال والامور البعيدة عن المناسبة غاية البعد * وتنقاد الى الاحتمالات البعيدة لان الشفيق بسوء الظن مولع * ولو تفكرت لعلمت ان هذا الاحتياط بالخطر الابدي أليق ﴿ فان قلت ﴾ ففي أي جنس من الاعمال ينبغي ان تتبع السنة ﴿ فاقول ﴾ فى كل ماوردت به السنة * والاخبار فى ذلك كثيرة * وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم ﴿ من احتجم يوم السبت والاربعاء فاصابه برص فلا يلومن الا نفسه ﴾ وقد احتجم بعض المحدثين يوم السبت وقال هذا

الحديث ضعيف فبرص وعظم ذلك عليه حتى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فشكى اليه ذلك * فقال لم أحتجمت يوم السبت * فقال لان الراوي كان ضعيفا * قال أليس كان قد نقل عني فقال تبت يارسول الله * فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشفاء فاصبح وقد زال مابه * وقال صلى الله عليه وسلم من احتجم يوم الثلثاء لسبعة عشر كان دواء السنة * وقال صلى الله عليه وسلم من نام بعد العصر فاختلس عقله فلا يلومن الا نفسه * وقال صلى الله عليه وسلم اذا انقطع شسع نعل احدكم فلا يمش في نعل واحد حتى يصلح شسعه * وقال صلى الله عليه وسلم واذا ولدت امرءة فليكن اول ماتأ كل ألرطب فان لم يكن فتمر فانه لو كان شئ افضل منه لاطعمه الله عز وجل مريم حين ولدت عيسى عليه السلام * وقال صلى الله عليه وسلم اذا اتى احدكم بالحلواء فليصب منه * واذا اتى احدكم بالطيب فليمس منه * وامثال ذلك فى العادات كثيرة ولا يخلو شئ منها عن سرّ ﴿ خاتمة في ترتيب الاوراد ﴾ وتنعطف على الامور العشرة ﴿ اعلم ﴾ ان هذه العبادات التي فصلناها ﴿ منها ﴾

ما يمكن الجمع بينها كالصوم والصلوة والقراءة ﴿ ومنها ﴾ مالا يمكن الجمع بينها كالقراءة والذكر والقيام بحقوق الناس والصلوة * فينبغي ان يكون من أهم أمورك توزيع اوقاتك على اصناف الخيرات من صباحك الى مسائك * ومن مسائك الى صباحك * وتعلم ان مقصود العبادات تأكيد الانس بذكر الله عز وجل للانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور ولن يسعد فى دار الخلود الا من قدم على الله سبحانه محبا له * ولا يكون محبا له الا من كان عارفا به مكثرا لذكره ولا يحصل المعرفة والحب الا بالفكر والذكر الدائم * ولن يدوم الذكر فى القلب الا بالمذكرات وهي العبادات المستغرقة للأوقات على التعاقب * ولاختلاف اصنافها زيادة تأثير في التذكير ومنع الملال وسقوط اثره عن القلب بالدوام الذي ينتهي الى حد الاعتياد * نعم ان كنت والها بالله عز وجل مستغرقا به لم تفتقر الى ترتيب الاوراد بل وردك واحد وهو ملازمة الذكر وما اراك تكون كذلك فان ذلك من اعز الأمور فان لم تكن والها مستهترا فعليك أن ترتب أورادك * فاحذ

الاوراد هو من وقت انتباهك من النوم الى طلوع الشمس وينبغي ان تجمع في هذا الوقت الشريف بعد الفراغ من الصلوة بين الذكر والدعاء والقراءة والتفكر فان لكل واحد أثرا آخر في تنوير القلوب * وتعرف كيفية ذلك وتفصيله من كتاب بداية الهداية وكتاب ترتيب الاوراد * وكذلك تفعل بين الطلوع والزوال وبين الزوال والغروب وبين الغروب والعشاء فانها من أشراف الاوقات لان النشاط انما يتوفر بان تميز ورد كل وقت لتكون في كل وقت عبادة اخرى تنتقل من بعضها الى بعض * هذا ان كنت من العباد (فان كنت) معلما او متعلما أو واليا فالاشتغال بذلك اولى في بياض النهار وافضل من العبادات البدنية لان أصل الدين العلم الذي به يحصل التعظيم لامر الله سبحانه والنفع الذي يصدر عن الشفقة على خلق الله تعالى * وكذلك ان كنت معيلا محترفا فالقيام بحق العيال بكسب الحلال افضل من العبادات البدنية * ولكن في جميع ذلك لاينبغي ان تخلو وتنفك عن ذكر الله تعالى بل تكون كالمستهتر بمعشوقه المدفوع الى شغل من الاشتغال

لضرورة وقته فهو يعمل ببدنه وهو غايب عن عمله حاضر بقلبه مع معشوقه * حكى عن أبي الحسن الجرجاني انه كان يعمل بالمسحاة دائما وكان يقول اعطينا اليد واللسان والقلب فاليد للعمل واللسان للخلق والقلب للحق * ولنقتصر على هذا القدر في قسم الطاعات الظاهرة ففيه الكفاية ان شاء الله

﴿ القسم الثالث فى تزكية القلب عن الاخلاق المذمومة ﴾

قال الله تعالى قد أفلح من تزكى وقال قد أفلح من زكاها * والتزكية هي التطهير * وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم الطهور شطر الايمان فافهم منه ان كمال الايمان بتزكية القلب[1] عما لا يحبه الله عز وجل وتحليته بما يحبه الله * فالتزكية شطر الايمان وكيف يشتغل بالطهارة من لا يعرف النجاسة فلنذكر الاخلاق المذمومة وهي كثيرة ولكن نحتاج ان نرد شعبها الى عشرة أصول *

---

(١) نعم ماقال بعض شعراء الفرس فيما له مناسبة بهذا البحث

دردل همه شرك روي برخاك چه سود * باجسم بليد وجامهٔ پاك چه سود

زهراست كناه توبه ترياق وي است * چون زهر بجان رسيد ترياق چه سود

﴿ الاصل الاوّل ﴾

شره الطعام وهو من الامهات لان المعدة ينبوع الشهوات اذ منها تتشعب شهوة الفرج * ثم اذا غلبت شهوة المأكول والمنكوح يتشعب منها شره المال اذ لا يتوصل الى قضاء الشهوتين الا به * ويتشعب من شهوة المال شهوة الجاه اذ يعسر كسب المال دونه * ثم عند حصول المال والجاه وطلبهما يزدحم الآفات كلها كالكبر والرياء والحسد والحقد والعداوة وغيرها ومنبع جميع ذلك البطن — فلهذا عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الجوع * فقال عليه السلام ﴿ ما من عمل احب الى الله تعالى من الجوع والعطش ﴾ وقال لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه * ﴿ وقال عليه السلام ﴾ سيد الأعمال الجوع ﴿ وقال عليه السلام ﴾ الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة ﴿ وقال عليه السلام ﴾ أفضلكم عند الله تعالى أطولكم جوعاً وتفكراً وأبغضكم الى الله تعالى كل اكول شروب نؤم ﴿ وقال عليه السلام ﴾ ماملاء ابن آدم وعاء شراً من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه وان كان لا محالة فثلث

لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه * وقال عليه السلام ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاري الشيطان بالجوع والعطش * وقال عليه السلام لعايشة رضي الله عنها اديموا قرع باب الجنة يفتح لكم * قالت كيف نديم قال عليه السلام بالجوع والظماء * وقال عليه السلام كلوا واشربوا في انصاف البطون فانه جزء من النبوة *

﴿ فصل ﴾

لعلك تشتهي ان تعلم السر في تعظيم الجوع ومناسبته لطريق الآخرة ﴿ فاعلم ﴾ ان له فوايد كثيرة ولكن يرجع اصولها الى سبع ﴿ احداها ﴾ صفاء القلب ونفاذ البصيرة فان الشبع يورث البلادة ويعمي القلب * قال صلى الله عليه وسلم من اجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه ولا يخفي ان مفتاح السعادة المعرفة ولا تنال الا بصفاء القلب فلذلك كان الجوع قرع باب الجنة ﴿ الثانية ﴾ رقة القلب حتى يدرك به لذة المناجاة ويتأثر بالذكر والعبادة * وقال الجنيد يجعل احدكم بينه وبين قلبه مخلاة من الطعام * ويريد ان يجد حلاوة المناجات * ولا يخفى عليك ان

أحوال القلب من الخشية والخوف والرقة والمناجات والانكسار بالهيبة من مفاتيح ابواب الجنة وان كان باب المعرفة فوقه والجوع قرع لهذا الباب ﴿الثالثة﴾ ذل النفس وزوال البطر والطغيان منها فلا تكسر النفس بشيء كالجوع والطغيان داع الى الغفلة عن الله تعالى وهو باب الجحيم والشقاوة ﴿والجوع﴾ اغلاق لهذا الباب * وفي اغلاق باب الشقاوة فتح باب السعادة — ولذلك لما عرضت الدنيا عليه صلى الله عليه وسلم * قال لا بل أجوع يوما واشبع يوما فاذا جعت صبرت وتضرعت * واذا شبعت شكرت ﴿الرابعة﴾ ان البلاء من أبواب الجنة لان فيه مشاهدة طعم العذاب وبه يعظم الخوف من عذاب الآخرة * ولا يقدر الانسان على ان يعذب نفسه بشيء كالجوع فانه لا يحتاج فيه الى تكلف * وترتبط بها فوائد اخرى فيكون مشاهدا بلاء الله تعالى على الدوام ﴿الخامسة﴾ وهي من كبار الفوائد كسر شهوات المعاصي والاستيلاء على النفس الامارة بالسوء وكسر سائر الشهوات التي هي منابع المعاصي * قال عليّ رضي الله عنه

﴿ ماشبعت قط الا عصيت او هممت بالمعصية ﴾ وقالت عايشة رضي الله عنها اول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع ان القوم اذا شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم الى الدنيا ﴿ السادسة ﴾ خفة البدن للتهجد والعبادة وزوال النوم المانع من العبادة * فان رأس مال السعادة العمر * والنوم ينقص العمر اذ يمنع من العبادة * واصله كثرة الاكل * قال ابو سليمان الداراني من شبع دخل عليه ست آفات ﴿ فقد ﴾ حلاوة العبادة ﴿ وتعذر ﴾ حفظ الحكمة ﴿ وحرمان ﴾ الشفقة على الخلق لانه اذا شبع ظن أن الخلق كلهم شباعا ﴿ وثقل ﴾ العبادة ﴿ وزيادة ﴾ الشهوات وان ساير المؤمنين يدورون حول المساجد وهو يدور حول المزابل ﴿ السابعة ﴾ خفة المؤنة وامكان القناعة بقليل من الدنيا وامكان ايثار الفقر فان من تخلص من شره بطنه لم يفتقر الى مال كثير فيسقط عنه اكثر هموم الدنيا فمها اراد ان يستقرض لقضاء شهوة البطن استقرض من نفسه وترك شهوته * كان اذا قيل لابراهيم ابن ادهم رحمة الله عليه في شيء انه غال * قال ارخصوه بالترك *

## فصل

لعلك تقول قد صار الشبع والاكثار في الاكل عادة فكيف اتركها ﴿فاعلم﴾ ان ذلك يسهل على من اراده بالتدريج وهو ان ينقص كل يوم من طعامه لقمة حتى ينقص رغيفا في مقدار شهر فلا يظهر اثره ويصير التقليل عادته * ثم اذا اذعنت بالتقليل فلك النظر في الوقت والقدر والجنس * اما القدر فله ثلاث درجات ﴿اعلاها﴾ وهي درجة الصديقين الاقتصار على قدر القوام وهو الذي يخاف النقصان منه على العقل أو الحيوة * وهو اختيار سهل التستري * وكان يرى ان الصلوة قاعدا لضعفه بالجوع افضل من الصلوة قائما مع قوة الاكل ﴿الثانية﴾ ان تقنع بنصف مد كل يوم وهو ثلث البطن وعلى ذلك كان عادة عمر رضي الله عنه وجماعة من الصحابة اذ كان قوتهم في الاسبوع صاعا من شعير ﴿الثالثة﴾ المد الواحد وما جاوز ذلك فهو مشاركة مع اهل العادة وميل عن طريق السالكين المسافرين الى الله تعالى * وقد يؤثر في المقادير اختلاف الاحوال والاشخاص * وعند ذلك فالاصل فيه ان يمد اليد

اذا صدق جوعه ويكف وهو بعد صادق الاشتهاء * وعلامة
صدق الجوع ان تشتهي اي خبز كان من غير أدم فاذا استثقل
الا كل بغير أدم فهو علامة الشبع ﴿ واما الوقت ﴾ ففيه أيضا
ثلاث درجات ﴿ اعلاها ﴾ ان ينطوى ثلاثة ايام فما فوقها * فقد
كان الصديق رضى الله عنه يطوى ستة ايام * وابراهيم بن ادهم
والثورى سبعا * وبعضهم انتهى الى اربعين يوما * وقيل من
طوى اربعين يوما ظهرت له لا محالة اشياء من عجايب الملكوت
ولا يمكن ذلك الا بالتدريج ﴿ واما الاوسط ﴾ بأن يطوي
يومين ﴿ والادنى ﴾ بان يأ كل في اليوم مرة واحدة فمن أ كل
مرتين لم تكن له حالة جوع اصلا فيكون قد ترك فضيلة الجوع
﴿ واما الجنس ﴾ فأعلاه خبز البر مع الادام * وأدناه خبز الشعير
بلا ادام * والمداومة على الادام مكروه جدا * قال عمر رضي الله
عنه لولده * كل مرة خبزا ولحما ومرة خبزا وسمنا ومرة خبزا
ولبنا ومرة خبزا وملحا ومرة خبزا قفارا * فهذا تنبيه على
الاخشن في اهل العادة ﴿ واما السالكون الطريق ﴾ فقد بالغوا
في ترك الادام بل في ترك الشهوات جملة حتى كان بعضهم

يشتهي الشهوة عشر سنين وعشرين سنة وهو يخالف نفسه
ويمنعها شهواتها * وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم شرار امتي
الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه اجسامهم * وانما همتهم الوان
الطعام وانواع اللباس ويتشدقون في الكلام * وقد شرحنا
طريق السلف في ترك الشهوات في كتاب كسر الشهوتين

﴿ الاصل الثاني شره الكلام ﴾

وذلك لابد من قطعه فان الجوارح كلها تؤثر اعمالها في القلب
ولكن اللسان اخص به لانه يؤدي عن القلب مافيه من
الصور فيقتضي كل كلمة صورة في القلب محاكية لها فلذلك
اذا كان كاذبا حصل في القلب صورة كاذبة واعوج به وجه
القلب واذا كان في شيء من الفضول مستغنى عنه اسود به وجه
القلب واظلم حتى تنتهي كثرة الكلام الى اماتت القلب *
ولذلك عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر اللسان
فقال ﴿ من يتوكل لي بما بين لحييه ورجليه اتوكل له بالجنة ﴾
وسئل عن اكثر ما يدخل النار * فقال عليه السلام الاجوفان
الفم والفرج * وقال عليه السلام وهل يكب الناس على مناخرهم

الا حصايد السنتهم * وقال من صمت نجا * وقال له معاذ اي الاعمال افضل فاخرج لسانه ووضع عليه يده * وقال ان اكثر خطايا ابن آدم في لسانه * وقال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت * وقال عليه السلام من كثر كلامه كثر سقطه * ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه * ومن كثرت ذنوبه فالنار اولى به — ولهذا كان الصديق رضى الله عنه يضع حجرا فى فيه ليمنع نفسه من الكلام

﴿ فصل ﴾

اعلم ان للسان عشرين آفة شرحناها في كتاب آفات اللسان ويطول ذكرها * ويكفيك العمل باية واحدة قال الله تعالى ﴿لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة اومعروف﴾ الآية ومعناه ان لا تتكلم فيما لا يعنيك وتقتصر على المهم ففيه النجاة * قال انس رضى الله عنه استشهد غلام منا يوم احد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت امه التراب عن وجهه * وقالت هنيئا لك الجنة يابني * فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه

ويمنع مالا يضره * وحدّ مالا يعني هو الذي لو تركْ لم يفت
به ثواب ولم تنتجز به ضرورة * ومن اقتصر من الكلام على
هذا قل كلامه * فليحاسب العبد نفسه عند ذكره مالا يعنيه
انه لو ذكر الله تعالى بدلا عن تلك الكلمة لكان ذلك كنزا
من كنوزالسعادة فكيف يسمح العقل بترك كنزمكنوز واخذ
مدرة هذا لو لم يكن فيه اثم* فان كان اثم فقد استبدل بترك
كل كنز واخذشعلة من النار * ومن جملة مالا يعنى حكاية
الاسفار واحوال اطعمة البلاد وعاداتهم واحوال الناس
واحوال الصناعات والتجارات وهو من جملة ماترى الناس
يخوضون فيه *

﴿ فصل ﴾

لعلك تريد ان تعرف تفصيل بعض هذه الآفات ﴿ فاعلم ﴾
ان الغالب على الالسنة من جملة العشرين آفة خمسة﴿ الكذب
والغيبة والمارات والمدح والمزاح ﴾ ﴿ الاولى ﴾ الكذب وقد
قال صلى الله عليه وسلم لا يزال العبد يكذب ويتحرى
الكذب حتى يكتب عند الله كذابا *وقال صلى الله عليه وسلم

ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك منه الناس ويل له ويل له ﴿وقيل﴾ يارسول الله ايزني المؤمن أيسرق المؤمن * قال عليه السلام قد يكون ذلك فقيل له أ يكذب * فقال لا انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله * وقال عليه السلام ألا أنبئكم باكبر الكباير ألا شراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فقعد * وقال عليه السلام الا وقول الزور * وقال عليه السلام كل خصلة يطبع الله عليها المؤمن الا الخيانة والكذب *

﴿فصل﴾

اعلم ان الكذب حرام فى كل شيء الا لضرورة حتى قالت امرأة لولدها الصغير تعالى حتى اعطيك * فقال النبي صلى الله عليه وسلم وماذا كنت تعطينه لو جاء قالت تمرة * قال اما لو لم تفعلي كتبت عليك كذبة * فليحذر الانسان الكذب حتى فى التخيل وحديث النفس * فان ذلك يثبت في النفس صورة معوجة حتى تكذب الرؤيا فلا تنكشف فى النوم اسرار الملكوت والتجربة تشهد بذلك * نعم انما يرخص في الكذب

اذا كان الصدق يفضي الى محذور آخر اشد من الكذب فيباح كما تباح الميتة اذا ادى تركها الى محذور اشد من اكلها وهو فوات الروح * قالت ام كلثوم رضي الله عنها ما رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شئ من الكذب الا في ثلاث * الرجل يقول القول يريد الاصلاح * والرجل يقول القول في الحرب * والرجل يحدث امرءته * وهذا لان اسرار الحرب لو وقف عليها العدوّ اجترأ * واسرار الزوج لو وقفت عليها المرءة نشأ منها فساد أعظم من فساد الكذب وكذلك المتخاصمان تدوم بينهما المعصية والعداوة فاذا امكن الاصلاح بكذب فذلك اولى *فهذا ما ورد فيه الخبر وما في معناه كذب الانسان ليستر مال غيره عن ظالم أو انكاره لسر غيره بل انكاره لمعصية نفسه عن غيره فان المجاهرة بالفسق واظهاره حرام وانكاره جناية نفسه على غيره لتطيب قلبه وكذلك انكاره مع زوجته ان تكون ضرتها أحبّ اليه وكل ذلك يرجع الى دفع المضرات * ولا يباح لجلب زيادة مال وجاه وفيه يكون كذب اكثر الناس * ثم اذا اضطر الى الكذب فليعدل

الى المعاريض ما امكن حتى لا يعتاد نفسه الكذب * كان ابراهيم بن ادهم اذا طلب في الدار قال لخادمته قولى له اطلبه في المسجد * وكان الشعبي يخط دايرة * ويقول لخادمته ضعى الاصبع فيها * وقولى ليس ههنا * وكان بعضهم يعتذر عند الامير ويقول منـذ فارقتك ما رفعت جنبي من الارض الا ما شاء الله تعـالى * وكان بعضهم ينكر ما قال فيقول ان الله ليعلم ماقلت من ذلك من شيء فيوهم النفى بحرف ﴿ ما ﴾ وهو يريد غير ذلك * وتباح المعاريض لغرض خفيف لقوله صلى الله عليه وسلم لايدخل الجنة عجوز ونحملك على ولد البعير وفى عيني زوجك بياض لان هذه الكلمات اوهمت خلاف ما اراد * فيباح مثل ذلك مع النساء والصبيان لتطيب قلوبهم بالمزاح — وكذلك من يمتنع عن أكل الطعام فلا ينبغى ان يكذب ويقول لا اشتهى اذا كان يشتهى بل يعدل الى المعاريض * قال النبي عليـه السلام لامرءة قالت ذلك لاتجمعي كذبا وجوعا *

## ﴿ ألآفة الثانية الغيبة ﴾

قال الله تعالى ﴿ أيحب أحدكم أن يأ كل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ﴾ وقال عليه السلام الغيبة أشد من الزنا واوحى الله تعالى الي موسى عليه السلام من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة * ومن مات مصرا عليها فهو اول من يدخل النار * وقال صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي على قوم يخمشون وجوههم باظفارهم * فقيل لى هؤلاء الذين كانوا يغتابون الناس ﴿واعلم﴾ ان حد الغيبة كما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه وان كنت صادقا سواء ذكرت نقصانا في نفسه أو عقله أو ثوبه او فعله او قوله او داره أو نسبه اودابته اوشيئا مما يتعلق به حتى قولك انه واسع الكم أو طويل الذيل * حتى ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقيل ما اعجزه فقال عليه السلام اغتبتموه واشارت عائشة رضى الله عنها بيدها الى امرءة انها قصيرة * فقال عليه السلام اغتبتها * فبهذا يعلم ان الغيبة لا تقتصر على اللسان بل لا فرق بين أن يحصل التفهيم

باليد او بالرمز او بالاشارة او بالحركة او بالمحاكاة او التعريض المفهم كقولك ان بعض اقربائنا وبعض اصدقائنا كذا كذا ﴿ واعلم ﴾ ان اخبث أنواع الغيبة غيبة القراء * يقولون مثلاً الحمد لله الذى لم يبتلينا بالدخول على السلطان لطلب الدنيا اونعوذ بالله من قلة الحياء وهم يفهمون المقصود بذلك * يقولون ما أحسن احوال فلان لولا انه بلي بمثل ما ابتلي به امثالنا وهو قلة الصبر عن الدنيا فنسئل الله تعالى ان يعافينا * وغرضهم بذلك الغيبة فيجمعون بين الغيبة والرياء واظهار التشبه باهل الصلاح في الحذر من الغيبة * وهذه خبايث يغترون بها وهم يظنون انهم تركوا الغيبة — وكذلك قد يغتاب واحد فيغفل عنه الحاضرون فيقول سبحان الله ما اعجب هذا حتى ينتبه القوم الى الاصغاء فيستعمل ذكر الله في تحقيق خبثه * ويقول قلبي مشغول بفلان تاب الله علينا وعليه وليس غرضه الدعاء بل التعريف ولو قصد الدعاء لأخفاه ولو اغتم قلبه لاجله لكتم عيبه ومعصيته — وكذلك المستمع قد يظهر تعجباً من كلام المغتاب حتى يزيد نشاطه في الغيبة * والمستمع احد المغتابين

كذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف اذا حرّك نشاطه بالتعجب * وكذلك قد يقول دع غيبة فلان وهو بقلبه غير كاره لغيبته انما غرضه ان يعرف بالتورع وذلك لايخرجه عن اثم الغيبة مالم يكرهها بقلبه ويورّطه في اثم الرياء بل يخرج من الاثم بان يكرهه قلبه ويكذب المغتاب ولا يصدقه عليه لانه فاسق يستحق التكذيب والمسلم المذكور بالغيبة يستحق احسان الظن به * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حرم من المسلم دمه وعرضه وماله وان يظن به ظن السوء * فالغيبة بالقلب حرام كما انه باللسان حرام الا ان يضطرّ الى معرفته بحيث لا يمكنه التجاهل *

## فصل

انما يرخص في الغيبة في ستة مواضع ﴿ الاول ﴾ منها المتظلم يذكر ظلم الظالم عند سلطان ليدفع ظلمه فاما عند غير سلطان وعند غير من لا يقدر على الدفع فلا ﴿ اغتيب الحجاج ﴾ عند بعض السلف * فقال ان الله لينتقم للحجاج ممن اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه ﴿ الثاني ﴾ الذى يستعان به على تغيير

المنكر يجوز ان يذكر له أيضاً ﴿ الثالث ﴾ المستفتي اذا افتقر الى ذكر السؤال كما قالت هند ان أبي سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني — وهذا كله شكاية ولكن انما يحل اذا كانت فيها فائدة ﴿ الرابع ﴾ تحذير المسلم من شر الغير اذا علم انه لو لم يذكره لقبلت شهادته كما يذكر المزكى اذ يعامل ويناكح فيتضرر به فيذكر لمن يتوقع ضرره به فقط ﴿ الخامس ﴾ ان يكون معروفا باسم فيه عيبه كالاعمش والاعرج فالعدول الى اسم آخر أولى ﴿ السادس ﴾ ان يكون مجاهرا بذلك العيب لا يكرهه ان يذكر كالمخنث وصاحب الماخور [1] قال الحسن ثلاثة لا غيبة لهم صاحب الهواء والفاسق المعلن بالفسق والامام الجابر * وهؤلاء يجمعهم انهم مجاهرون لا يكرهون الذكر * والصحيح ان ذكر الفاسق بمعصية يخفيها ويكره ذكرها لا يجوز من غير عذر *

## فصل

علاج النفس فى كفها عن الغيبة ان يتفكر في الوعيد الوارد

(١) الماخور الموضع الذي يباع فيه الخمر

فيها في قوله صلى الله عليه وسلم ان الغيبة أسرع في حسنات
العبد من النار في اليبس * وورد ان حسنات المغتاب تنقل
الى ديوان المظلوم بالغيبة فينظر فى قلة حسناته وكثرة غيبته
وانه ينتهي الى افلاسه على القرب ثم يتفكر في عيوب نفسه
فان كان فيه عيب فيشتغل بنفسه عن غيره وان كان قد
ارتكب صغيرة فيعلم ان ضرره من صغيرة نفسه اكثر من ضرره
من كبيرة غيره وان لم يكن فيه عيب فيعلم ان جهله بعيوب
نفسه اعظم عيب * ومتى يخلو الانسان من عيب ثم ان خلا
عنه فليشكر الله تعالى بدلا من الغيبة فان ثلب الناس وا كل
لحم الميتة من أعظم العيوب فليحذر منه * ثم مهما سبق لسانه
الى الغيبة فينبغي ان يستغفر الله تعالى ويذهب الى المغتاب
ويقول ظلمتك فاعف عني فيستحله فان لم يصادفه فليكثر من
الثناء عليه ومن الدعاء له ومن الحسنات حتى اذا نقل بعضها
الى ديوان المظلوم بقي له ما يكفيه فهي كفارة الغيبة

﴿ الآفة الثالثة المراء والمجادلة ﴾

قال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو محق بني له

بيت في أعلى الجنة ومن تركه وهو مبطل بنى له بيت في ربض الجنة وهذا لان الترك على المحق اشد * وقال عليه السلام لا يستكمل العبد حقيقة الايمان حتى يدع المراء وهو محق * ﴿وحد المراء﴾ هو الاعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه اما في اللفظ واما في المعنى * والباعث عليه تارة الترفع باظهار الفضل * وسببه خبث الرعونة * واما السبعية التي في الطبع المتشوفة الى تنقيص الغير وقهره * فالمراء والمجادلة تقوية لهذين الخبيثين المهلكين بل الواجب ان يصدق ما سمعه من الحق ويسكت عما سمعه من الخطاء الا اذا كان في ذكره فائدة دينية وكان يسمع منه فيذكره برفق لا بعنف *

﴿ الآفة الرابعة المزاح ﴾

والافراط فيه يكثر الضحك ويميت القلب ويورث الضغينة ويسقط المهابة والوقار * قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلسائه فيهوى بها أبعد من الثريا وقال عليه السلام لا تمار أخاك ولا تمازحه ﴿ واعلم ﴾ ان اليسير منه في بعض الاوقات لا بأس به لا سيما مع النساء والصبيان

تطييباً لقلوبهم نقل ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنه قال اني لأمزح ولا أقول الا حقا * ويعسر على غيره ضبط ذلك وقد روى انه سابق عائشة رضي الله عنها بالعَدْو * وقال عليه السلام لعجوز لا يدخل الجنة عجوز أى لا يبقى عجوزا فى الجنة [1] * وقال لصبيّ يا أباعمير ما فعل النغير * والنغير ولد العصفور كان يلعب به الصبي * وقال صلى الله عليه وسلم لصهيب وهو يأكل التمر أتأكل التمر وأنت رمد * وقال انما آكل بالشق الآخر فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم * فهذا وأمثاله من المفاكهة لا بأس بها بشرط ان لا يتخذها عادة *

﴿ الآفة الخامسة المدح ﴾

كما جرت به عادة الناس عند المحتشمين [2] من ابناء الدنيا وكما جرت به عادة القصّاص والمذكرين * فانهم يمدحون من يحضر مجالسهم من الاغنياء * وفى المدح ست آفات ﴿ أربع ﴾ على المادح ﴿ واثنتان ﴾ على الممدوح * اما المادح ﴿ فالآفة الاولى فيه ﴾

---

(١) وفي النسخة العراقية لا يدخل الجنة عجوز أي لا يبقى في الجنة عجوزا (٢) أي الاكابر والسلاطين

انه قد يفرط فيه فيذكره بما ليس فيه فيكون كذابا ﴿ الثانية ﴾ انه قد يظهر له من الحب مالا يعتقده فيكون منافقا مرائيا ﴿ الثالثة ﴾ انه يقول مالا يتحققه فيكون مجازفا كقوله انه عدل وانه ورع وغير ذلك مما لا يتحقق فيه * مدح رجل بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا * فقال عليه السلام ويحك قطعت عنق صاحبك ان كان لا بد من كون احدكم مادحا أخاه فليقل احسب فلانا ولا ازكى على الله احدا حسيبه الله ان كان يرى انه كذلك ﴿ الرابعة ﴾ ان يفرح الممدوح به وربما كان ظالما فيعصي بادخال السرور على قلبه * وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق * وقال الحسن من دعا لفاسق بالبقاء فقد أحب ان يعصى الله * فالظالم الفاسق ينبغى ان يذم لتفتر رغبته فى الظلم والفسق ﴿ وأما الممدوح ﴾ فاحدى الآفتين فيه أن يحدث فيه كبرا أو اعجابا وهما مهلكان — ولذلك قال قطعت عنق صاحبك ﴿ الثانية ﴾ أن يفرح به فيفتر عن العمل ويرضى عن نفسه * قال صلى الله عليه وسلم لو مشى رجل الى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من ان يثنى عليه فى وجهه * واما

اذا سلم المدح من هذه الآفات في المادح والممدوح فلا بأس به وربما يندب اليه * قال صلى الله عليه وسلم لو وزن ايمان ابي بكر بايمان العالمين لرجح * وقال صلى الله عليه وسلم لو لم أبعث لبُعِثتَ ياعمر * وقد اثنى علي كثير من الصحابة اذ علم ان ذلك يزيد في نشاطهم ولا يورثهم عجبا *

## فصل

حق على الممدوح ان يتأمل فى خطر الخاتمة ودقايق الرياء وآفات الاعمال * ويتذكر ما يعرفه من نفسه من القبائح الباطنة لاسيما فى أفكاره وحديث نفسه مالو عرفه المادح لكُفّ عن المدح * وينبغي أن يظهر كراهة المدح ويكره بالقلب * واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم احثُوا التراب في وجوه المداحين * وقال بعضهم لما اثنى عليه اللهم ان عبدك هذا تقرب اليّ بمقتك وانا أشهدك على مقته * فقال عليّ رضى الله عنه لما اثنى عليه ﴿ اللهم اغفر لى مالا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون واجعلنى خيرا مما يظنون ﴾

## ﴿ الاصل الثالث فى الغضب ﴾

اعلم ان الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة التى

تطلع على الافئده * ومن غلب عليه فقد نزع الى عرق الشيطان فانه مخلوق من النار * وكسر شدّة الغضب من المهمات فى الدين * قال صلى الله عليه وسلم ﴿ ليس الشديد بالسرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب ﴾ وقال عليه السلام ﴿ الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل ﴾ وقال عليه السلام ماغضب أحد قط الا اشفى على جهنم * وقال رجل يا رسول الله اىّ شيء أشد قال غضب الله قال فما ينقذني من غضب الله * قال ان لا تغضب * وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم مرني بعمل وأقلل فقال عليه الصلوة والسلام لا تغضب فاعاد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم مرارا وهو يقول لا تغضب * فكيف لا تعظم آفة الغضب وهو يحمل فى الظاهر على الضرب والشتم واطالة اللسان وفي الباطن على الحقد والحسد واظهار السوء والشماتة والعزم على افشاء السرّ وهتك الستر والفرح بمصيبة المغضوب عليه والغم بمسرته * وكل واحد من هذه الخبائث مهلك *

## ﴿ فصل ﴾

عليك في صفة الغضب وظيفتان ﴿ احداهما ﴾ كسره بالرياضة ولست أعني بكسره اماطته فانه لا يزول اصله ولا ينبغي ان يزول بل ان زال وجب تحصيله لانه آلة القتال مع الكفار والمنع من المنكرات وكثير من الخيرات وهو كـكلب الصايد انما رياضته فى تأديبه حتى ينقاد للعقل والشرع فيهيج باشارة العقل والشرع ويسكن باشارتهما ولا يخالفهما كما ينقاد الكلب للصياد — وهذا ممكن بالمجاهدة وهو اعتياد الحلم والاحتمال مع التعرض للمغضبات ﴿ الثانية ﴾ ضبط الغضب عند الهيجان بالكظم * ويعين عليه علم وعمل ﴿ أما العلم ﴾ فهو ان يعلم انه لا سبب لغضبه الا انه انكر ان يجري الشيء على مراد الله لا على مراده * وهذا غاية الجهل * والآخر ان يعلم ان غضب الله عليه أعظم من غضبه عليه وان فضل الله أكبر * وكم عصاه وخالف امره فلم يغضب عليه ان خالفه غيره فليس أمره عليه ألزم على عبده واهله ورفقته من امر الله عليه ﴿ واما العمل ﴾ فهو ان يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم اذ يعلم ان ذلك من الشيطان

فان لم يسكن جلس ان كان قائما ويضطجع ان كان قاعدا كذلك ورد الخبر باختلاف الحال انه يؤثر فى التسكين *وان لم يسكن فيتوضأ * قال عليه الصلوة والسلام * ان الشيطان خلق من النار وانما تُطفأ النار بالماء فاذا غضب احدكم فليتوضأ وقال عليه السلام ألا ان الغضب جمرة فى قلب ابن آدم الا ترون الى حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه فمن وجد من ذلك شيئا فليضرب خده بالارض * وهذه اشارة الى تمكين اعز الاعضاء من اذل المواضع لينكسر الكبر فانه السبب الاعظم في الغضب ليعلم انه عبد ذليل فلا يليق به الكبر * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليدرك بالحلم درجة القائم الصائم وانه ليكتب جبارا وما يملك الا اهل بيته * وقال صلى الله عليه وسلم ﴿من كظم غيظا ولو شاء ان يمضيه امضاه ملأ الله تعالى قلبه يوم القيامة أمنا وايمانا﴾ وقال عليه السلام مامن جرعة احب الى الله تعالى من جرعة غيظ يكظمها عبد وما كظمها عبد الا ملأ الله جوفه ايمانا *

## ﴿ الاصل الرابع في الحسد ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ﴾ وقال عليه السلام ثلاث لا ينجو منهن احد ﴿ الظن والطيرة والحسد ﴾ وسأحدثكم بالمخرج من ذلك اذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت فامض واذا حسدت فلا تبغ * وقال عليه السلام دبّ اليكم داء الامم قبلكم ﴿ الحسد والبغضاء ﴾ والبغضة هي الحالقة * وقال زكريا عليه السلام قال الله تعالى الحاسد عدو لنعمتي مسخط لقضائي غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي ﴿ واعلم ﴾ ان الحسد حرام وهو ان تحب زوال النعمة من غيرك او تحب نزول مصيبة به * ولا تحرم المنافسة وهي ان تغبطه وتشتهي لنفسك مثله ولا تحب زوالها منه * ويجوز ان تحب زوال النعمة ممن يستعين بها على الظلم والمعصية لانك لا تريد زوال النعمة وانما تريد زوال الظلم * وعلامته انه لو ترك الظلم والمعصية لم تحب زوال نعمته * وسبب الحسد اما الكبر واما العداوة واما خبث النفس اذ يبخل بنعمة الله على عباده من غير غرض فيه له *

## فصل

اعلم ان الحسد من الامراض العظيمة للقلب * ومرض القلب لا يداوى الا بمعجون العلم والعمل ﴿فاما العلاج العلمي﴾ فهو ان يعلم ان حسده يضره ولا يضر محسوده بل ينفعه * اما انه يضره فهو انه يبطل حسناته ويعرضه لسخط الله تعالى اذ يسخط قضاء الله ويشح بنعمته التى وسعها من خزائنه على عباده وهذا ضرر في دينه ﴿واما ضرره فى دنياه﴾ فهو انه لا يزال فى غم دايم وكمد لازم وذلك مراد عدوه منه فان اهم اغراض عدوه واكمل النعمة عليه حزن حاسده * فقد كان يريد المحنة لعدوه فحصلت له * والحسود لا يخلو قط من الغم والمحنة اذ لا يزال اعداؤه او واحد منهم في نعمة ﴿واما انه﴾ ينفع عدوه ولا يضره لان النعمة لا تزول بحسده وانه يضاعف حسناته اذ تنقل حسنات الحاسد * اليه لا سيما اذا طول اللسان فيه فانه مظلوم من الحاسد فقد طلب الحاسد زوال نعمة الدنيا منه فاضاف اليه نعمة الآخرة وحصل لنفسه مع عذاب الدنيا عذاب الآخرة فهو كمن رمى عدوه

بحجر فلم يصب عدوه وعاد الى عينه فاعماها * وزادت عليه شماتة عدوه ابليس فانه فاتته النعمة وفاته الرضاء بالقضاء * ولو رضي به لكان فيه ثواب لاسيما اذا حسد على العلم والورع فان محب العالم يعظم ثوابه ﴿ واما العلاج العملي ﴾ فهو ان يعرف حكم الحسد وما يتقاضاه من قول وفعل فيخالفه ويعمل بنقيضه فيثني على المحسود ويظهر الفرح بنعمته ويتواضع له وبذلك يعود المحسود صديقا له ويزائله الحسد ويتخلص عن اثمه والمه قال الله تعالى ﴿ ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم ﴾

## فصل

لعلّ نفسك لاتطاوعك على التسوية بين عدوك وصديقك بل تكره مساءة الصديق دون العدو وتحب نعمة الصديق دون العدوّ ولست مكلفا بما لاتطيق فان لم تقدر على ذلك فتتخلص من الاثم بامرين ﴿ احدهما ﴾ ان لاتظهر الحسد بلسانك وجوارحك واعمالك الاختيارية بل تخالف موجبها ﴿ والثاني ﴾ ان تكره من نفسك حبها زوال نعمة الله تعالى

عن عبد من عباده فاذا اقترنت الكراهة عن باعث الدين بحب زوال النعمة التى اقتضاه الطبع اندفع عنك الاثم وليس عليك تغيير الطبع فان ذلك لاتقدر عليه في اكثر الاحوال وعلامة الكراهية ان تكون بحيث لو قدرت على ازالة نعمته لم تقدم على الازالة مع حبك لها ولو قدرت على معونته فى دوام نعمته او فى زيادتها فعلت مع كراهيتك لذلك * فاذا كنت كذلك فلا اثم عليك فيما يتقاضاه طبعك فان الطبع انما يصير مقهورا فى حق المستهتر بالله الذي انقطع نظره عن الدنيا وعن الخلق * بل علم ان المنعم عليه ان كان فى النار فما تنفع هذه النعمة وان كان في الجنة فاي نسبة لهذه النعمة الى الجنة بل يرى كل الخلق عباد الله تعالى فيحبهم لانهم عباد لمحبوبه ويحب ان يظهر اثر نعمة محبوبه علي عباده* وهذه حالة نادرة لاتدخل تحت التكليف*

﴿ الاصل الخامس في البخل وحب المال ﴾

واعلم ان البخل من المهلكات العظيمة قال الله تعالى ﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ وقال الله تعالى ولا تحسبن

الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله ﴾ الآية وقال الله تعالى ﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل﴾ الآية وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والبخل فانه اهلك من كان قبلكم * وقال صلى الله عليه وسلم السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يلج الجنة الا سخي * والبخل شجرة تنبت في النار فلا يلج النار الا بخيل وقال عليه السلام ثلاث مهلكات ﴿ شح مطاع وهوى متبع وأعجاب المرء بنفسه ﴾ وقال عليه السلام ﴿ شرّ ما في الرجل شح هالع وجبن خالع [1] ﴾ وقال عليه السلام ان الله يمقت البخيل في حياته ويحب السخي عند موته * وقال عليه السلام السخي الفاجر احب الى الله من العابد البخيل [2] * وقال عليه السلام لايجتمع اثنان في مؤمن البخل وسوء الخلق *

## فصل

اعلم ان اصل البخل حب المال وهو مذموم ومن لا مال له لا يظهر بخله بالامساك ولكن يظهر بحب المال * ورب رجل

(١) هلع هلعاً من باب تعب أي جزع وقوله خالع الخلع نزع الشيء واخراجه (٢) وفي النسخة الدمشقية والعراقية السخيّ الجهول

سخي لكنه يحب المال فيسخى به ليذكر بالسخاء * وذلك أيضا مذموم لان حب المال يلهي عن ذكر الله عز وجل ويصرف وجه القلب الى الدنيا ويحكم علاقته فيها حتى يثقل عليه الموت الذي فيه لقاء الله تعالى قال الله عز وجل ﴿ ياأيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ﴾ وقال الله تعالى انما أموالكم واولادكم فتنة * وقال تعالى الهيكم التكاثر * وقال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا * وقيل للنبي عليه الصلوة والسلام اىّ أمتك أشرّ فقال عليه السلام الاغنياء * وقال عليه السلام من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه اخذ حتفه وهو لا يشعر وقال رجل يارسول الله اني لا احب الموت قال عليه السلام هل لك مال قال نعم * قال عليه السلام قدم مالك فان قلب الرجل مع ماله ان قدمه أحبّ ان يلحقه وان أخره أحب ان يتخلف * وقال عليه الصلوة والسلام اذا مات العبد قالت الملائكة ماقدم * وقال الناس ما خلف * وقال عليه الصلوة والسلام

تعس (١) عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش * (٢)

## فصل

اعلم ان المال ليس مذموما من كل وجه *وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح * وقال عليه الصلوة والسلام ﴿ الدنيا مزرعة الآخرة ﴾ وكيف يكون مذموما مطلقا والعبد مسافر الى الله تعالى والدنيا منزل من منازل سفره وبدنه مركبه ولا يمكنه السفر الى الله الا به ولا يبقى البدن الا بمطعم وملبس ولا وصول اليهما الا بالمال لكنّ من فهم فايدة المال وعلم انه آلة علف الدابة لسلوك الطريق لم يُعرِّج عليه ولم يأخذ منه الا قدر الزاد فان اقتصر على ذلك سعد به

(١) تعس بفتح العين أي سقط على وجهه وفي الدعاء تعساً له وتعس وانتكس فالتعس أن يخذل وجهه والنكس أن لا يستقل بعد سقطته

(٢) أي اذا وصل شوك في عضوه فلا انتقش على بناء المبني للمفعول دعاء عليه بعدم اخراجه بالمنقاش يعنى اذا وقع في البلاء فلا يترحم عليه وانما خص انتقاش الشوك بالذكر لان الانتقاش أسهل ما يتصور فى المعاونة لمن أصابه مكروه واذا نفى ذلك الاهون فما فوقه بالطريق الاولى

كما قال النبي عليه السلام لعائشة رضي الله عنها ﴿ اذا اردت اللحاق بي فاقنعي من الدنيا بزاد الراكب ولا تجددي ولا تخلعي قميصا حتى ترقعيه ﴾ وقال عليه الصلوة والسلام اللهم اجعل قوة آل محمد كفافاً وان زاد على قدر الكفاية هلك كما قال عليه الصلوة والسلام من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حتفه وهلك وهو لايشعر * وكذلك المسافر اذا أخذ مايزيد على زاد الطريق مات تحت ثقله ولم يبلغ مقصد سفره * فالزيادة على قدر الكفاية مهلكة من ثلاثة اوجه ﴿ احدها ﴾ أن يدعو الى المعاصي فانه يمكن منها ومن العصمة ان لا تقدر * وفتنة السراء اعظم من فتنة الضراء والصبر مع القدرة أشد ﴿ والثاني ﴾ ان يدعو الى التنعم بالمباحات وهو أقل الدرجات فينبت على التنعم جسده ولا يمكنه الصبر عنه وذلك لا يمكن استدامته الا بالاستعانة بالخلق والالتجاء الى الظلمة وذلك يدعو الى النفاق والكذب والرياء والعداوة والبغضاء * ويتشعب منه جملة المهلكات ــ ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ﴿ حب الدنيا رأس كل خطيئة ﴾ ﴿ والثالث ﴾ ان يلهي عن ذكر الله عز

وجل الذى هو اساس السعادة الاخروية اذ يزدحم على القلب خصومة الفلاحين ومحاسبة الشركاء والتفكر فى تدبير الحذر منهم وتدبير استنماء المال وكيفية تحصيله اولا وحفظه ثانيا واخراجه ثالثا * وكل ذلك مما يسوّد القلب ويزيل صفاءه ويلهى عن الذكر كما قال الله تعالى ﴿ الهيكم التكاثر ﴾ الى آخر السورة *

## ﴿ فصل ﴾

لعلك تشتهى ان تعرف مقدار الكفاية وتقول ما من غني الا ويدعي أن مافي يده دون مقدار الكفاية ﴿ فاعلم ﴾ ان الضرورة انما تدعو الى المطعم والملبس فقط * فان تركت التجمل فى الملبس فيكفيك فى السنة ديناران لشتائك وصيفك فتتخذ بهما ثوبا خشنا يدفع عنك الحرّ والبرد * وان تركت التنعم فى مطعمك والشبع من الطعام فى جميع احوالك فيكفيك في كل يوم مدٌّ فيكون في السنة خمس ماية رطل ويكفيك لادامك ان لم توسع فيه واقتصرت على اليسير منه في بعض الاوقات ثلاثةُ دنانير على التقريب في السنة عند رخاء الاسعار

فاذا يبلغ كفايتك خمس دنانير وخمس مائة رطل وهو القدر الذي تقدره اذا فرضنا نفقة العزب * فان كنت معيلا فخذ لكل واحد منهم مثل ذلك * فاذا كنت كسوبا وكسبت في اليوم مايكفيك ليومك فانصرف واشتغل بعبادتك فان طلبت الزيادة صرت من اهل الدنيا * وان لم تكن كسوبا وكنت مشغولا بالعلم والعبادة واقتنيت ضيعة يدخل منها هذا القدر دائما * فارجو ان لاتصير بذلك من اهل الدنيا لاسيما في هذه الاعصار وقد تغيرت القلوب واستولى عليها الشحّ وانصرفت الهمم عن تفقد ذوي الحاجات فاقتناء هذا القدر اولى من السؤال وهذا بشرط ان يكون بودّك ان تتخلص من التعرض الى الجوع والبرد لتطرّح الضيعة وتتركها ولاتكون كارها للموت ولامحباً للضيعة * ولتكن الضيعة وهي مدخل طعامك كالخلاء الذي هو موضع فراغك فانما تريده للضرورة وبودك لو تخلصت منه لتخرج عن النهي في قوله صلى الله عليه وسلم لاتتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا * فانك اذا قصدت الفراغة للاستعانة بها على الدين كنت متزودا مسافرا لامعرّجا على

الضيعة * وربما لا يحتمل بعض الاشخاص القناعة بالقدر الذي ذكرته الا بشدة ومشقة * ولا حرج في الدين في ازدياد الضعف على هذا القدر[1] اذ لا يصير من ابناء الدنيا ولا يخرج من حزب ابناء الآخرة والمسافرين الى الله تعالى مادام يقصد بذلك دفع الالم الشاغل عن الذكر والعبادة دون التلذذ والتنعم في الدنيا * ثم مافضل من الطعام صرفه الى البائس والأرامل[2] ولا يبقى بعد هذه الرخصة داعية الى الزيادة الا للتنعم او للتصدق او للاستظهار لو اصاب المال آفة ﴿اما التنعم﴾ فاعراض عن الله تعالى واشتغال بالدنيا ﴿واما التصدق﴾ فترك المال افضل منه * قال عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا لتبر فتركك لها ابر وابر ﴿واما الاستظهار﴾ لخوف آفة فذلك لا مرد له وهو سوء الظن لا آخر له بل ينبغي ان تدفع ذلك بحسن الظن بتدبير الله عز وجل وهو ان تتصور ان تصيب المال

---

(١) وفي النسخة الكردية فأرى انه على الضعف من هذا القدر لا تصير من أبناء الدنيا ولا تخرج الخ

(٢) وفي النسخة الدمشقية الى اللباس والادام والارامل

آفة من حيث لا يتوقع فيتصور ان ينفتح للرزق أيضاً باب لا يحتسب * ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وان فرض على الندور خلافه فلا ينبغي ان يعتقد العبد أن سلامته طول عمره عن البلاء محتوم بل البلاء هو الذي يصقل القلب ويزكيه ويخلصه من الخبائث كلها * ولهذا كان موكلا بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل فاتكل على فضل الله ﴿ وأعلم ﴾ انك لا يصيبك الا ما فيه خيرك وخيرتك فان الله مدبر الملك والملكوت اعلم بمصالحك *

﴿ فصل ﴾

هذا الذي ذكرته تقريب يمكن الزيادة عليه والنقصان منه بالاجتهاد في بعض الاشخاص وفي بعض الاحوال ولكن اعتقد قطعاً ان المال كالدواء النافع منه قدر مخصوص * والافراط فيه قاتل والقرب من الافراط ممرض ان لم يقتل فعليك بالتقليل والحذر من الافراط والرفاهية — فذلك خطر عظيم * وليس في التقليل الا مشقة قليلة في ايام قلايل وذو الحزم لا يثقل عليه ان يجوّع نفسه لوليمة الفردوس لعلمه ان اللذة على قدر الجوع

﴿ فصل ﴾

لعلك ترغب في معرفة حد البخل اذ الشخص الواحد قد تشك في انه بخيل ام لا ويختلف الناس فيه ﴿ فاعلم ﴾ ان حد البخل منع مايوجبه الشرع او المروة ولا تظن ان من سلم الى زوجته وقريبه مافرضه القاضي * وضايق وراء ذلك في لقمة فليس ببخيل * وان من رد الخبز واللحم الى الخباز والقصاب لنقصان قدر منه يسير ليس ببخيل وان كان له ذلك في الشرع فان معنى الشرع في هذه الامور قطع خصومة البخلاء بتقدير مقدار يطيقه البخيل — ولذلك قال الله تعالى ﴿ان يسئلكموها فيحفكم تبخلوا ﴾ بل لا بد من مراعاة المروة ودفع قبح الاحدوثة وذلك يختلف باختلاف الاشخاص وقدر المال * ومن له مال وامكنه أن يقطع هجو شاعر وذمه عن نفسه بقدر يسير فلم يفعله فهو بخيل وان لم يكن ذلك واجبا عليه اذ قال صلى الله عليه وسلم ﴿ ماوقى المرء به عرضه فهو له صدقة ﴾ والتحقيق فيه ان المال خلق لفائدة لاجلها يمسك وفي بذله ايضا فايدة فمهما ظهر له ان فايدة البذل اعظم من فايدة الامساك ثم شق عليه البذل

فهو بخيل محب للمال * والمال لا ينبغي ان يحب لذاته بل لفائدته فيصرف الى اقوى فائدة وحفظ المروة افضل واقوى من التنعم بالاكل الكثير مثلا * وقد يحمله البخل وحب المال على ان يجهل اقوى الفائدتين واوليهما وذلك غاية البخل * فان علم وعسر عليه البذل فهو بخيل ايضا وان بذل تكلفا * بل انما يبرأ عن البخل بان لا يثقل عليه بذل المال فيما ينبغي ان يبذل فيه عقلا وشرعا * واما درجة السخاء فلا تنال الا ببذل مايزيد علي واجب الشرع والمروة جميعا *

﴿ فصل ﴾

لعلك تريد ان تفهم علاج البخل ﴿ فاعلم ﴾ ان دواءه معجون مركب من العلم والعمل ﴿ اما العلم ﴾ فهو ان تعلم مافي البخل من الهلاك في دار الآخرة والمذمة في الدنيا وتعلم ان المال لا يتبعه ان بقي الى قبره * وانما المال لله تعالى مكنه منه ليصرفه الى اهم اموره * وتعلم ان امساك المال ان كان للتنعم في الشهوات فحسن الاحدوثة وثواب الآخرة أعظم وألذ منه * فقضاء الشهوة سجية البهايم * وهذه سجية العقلاء * وان كان يمسكه ليتركه لولده

فكانه يترك ولده بخير ويقدم على ربه بشر — وهذا عين الجهل كيف وولده ان كان صالحا فالله تعالى يكفيه وان كان فاسقا فيستعين به على المعصية ويكون هو سبب تمكنه منها فيتضرر هو ويتنعم غيره﴿ واما العمل ﴾فهو ان يحمل نفسه على البذل تكلفا ولا يزال يفعل ذلك حتى يصير له عادة ومن نوافذ حيلة فيه ان يخدعه بحسن الاسم وتوقع المكافاة حتى يرغب في البذل *ثم بعد ذلك يتدرج ايضا الى قمع هذه الصفات *

﴿ الاصل السادس الرعونة وحب الجاه ﴾

قال الله عز وجل ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوًّا في الارض ولا فسادا ﴾ الآية وقال عليه السلام ﴿حب المال والجاه ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل ﴾ وقال عليه الصلاة والسلام ﴿ ماذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا فيهامن حب المال والجاه في دين الرجل المسلم﴾ وقال عليه الصلاة والسلام في مدح الخمول رب أشعث اغبر ذي طمرين لا يوبه به لو اقسم على الله لا برّه *وقال عليه الصلاة والسلام ان اهل الجنة كل أشعث اغبر ذي طمرين لا يوبه له

الذين اذا استاذنوا على الامراء لم يؤذن لهم * واذا خطبوا النساء لم ينحكوا-واذا قالوا لم ينصت لهم حوائج احدهم تتجلجل في صدره لو قسم نوره يوم القيامة على الناس لوسعهم وقال سليمان بن حنظلة بينما نحن حول ابي بن كعب نمشي خلفه اذ رآه عمر فعلاه بالدّرة * فقال انظر يا امير المؤمنين ماتصنع * فقال ان هذا مذلة للتابع وفتنة للمتبوع * وقال الحسن ان خفق النعال خلف الرجل قلّ مايثبت معه قلوب الحمقاء وقال أبو ايوب والله ما صدق الله عبد الا سره ان لا يشعر بمكانه فقد عرفت بهذا مذمة الشهرة والجاه الا ان يشهر الله عبدا فى الدين من غير طلب منه كما يشهّر الانبياء والخلفاء الراشدين والعلماء والاولياء *

## ﴿ فصل ﴾

حقيقة الجاه هي ملك القلوب لتتسخر لذى الجاه على حسب مراده وتطلق اللسان بالثناء عليه وتسعى فى حاجته وكما ان معنى المال ملك الدراهم ليتوصل بها الى الاغراض كذلك معنى الجاه ملك القلوب لكن الجاه أحب لان التوصل به

الى المال أيسر من التوصل بالمال الى الجاه ولانه محفوظ عن
ان يسرق ويغصب او تعرض له الآفة ولانه يسرى وينمو
من غير تكلف * فان من ملك قلبه باعتقاد التعظيم فلا يزال
يثني ويقتنص قلوب ساير الناس لصاحبه * وفيه سر آخر
وهو ان الجاه معناه العلو والكبرياء والعز وهي من الصفات
الالهية والالهية محبوبة للانسان بالطبع بل هو الذ الاشياء
عنده وذلك لسرّ خفي في مناسبة الروح للامور الالهية وعنه
العبارة بقوله تعالى ﴿ قل الروح من امر ربي ﴾ فهو امر رباني
شغفه من حيث الطبع للاستبداد والانفراد بالوجود وهو
حقيقة الالهية اذ ليس مع الله موجود بل الموجودات كلها
كالظل من نور القدرة فلها رتبة التبعية لا رتبة المعية * فليس
في الوجود مع الله غيره * وكان الانسان يشتهي ذلك بل في كل
نفس ان يقول أنا ربكم الاعلى لكن اظهره فرعون واخفاه
غيره ولكن ان فاته الانفراد بالوجود فيشتهي ان لا يفوته
الاستعلاء والاستيلاء على الموجودات كلها ليتصرف فيها
على حسب مراده وهو الالهية لكن تعذر على الانسان ذلك

في السموات والكواكب والبحار والجبال* فاشتهي الاستيلاء على جميعها بالعلم لان العلم نوع استيلاء ايضا كما ان من عجز عن وضع الاشياء العجيبة فيشتهي ان يعرف كيفية الوضع وكذلك يشتهي ان يعرف عجايب البحر وما تحت الجبال ويتصور ان يتسخر له الاعيان التي على وجه الارض من الحيوان والمعادن والنبات* فيحب ان يتملكها ويتمو لها ويتصور ان يتسخر له الانسان فيحب ان يتسخره بواسطة قلبه* ويملك قلبه بالقاء التعظيم فيه ويحصّل التعظيم بان يعتقد فيه كمال الخصال فان الاجلال يتبع اعتقاد الكمال — فلهذا يحب الانسان ان يتسع جاهه وينتشر صيته حتى الى البلاد التي يعلم قطعا انه لا يطاؤها ولا يرى اهلها لان كل ذلك يناسب صفات الربوبية* وكلما صار أعقل كانت هذه الصفة عليه اغلب وشهواته البهيمة فيه أضعف*

﴿ فصل ﴾

لعلك تقول فاذا كان كذلك فلم كان طلب الرفعة مذموما وهو من نتائج العقل وخواص الروح المناسبة للامور الربانية ﴿فاعلم﴾

ان الرفعة الحقيقية طلبها محمود غير مذموم اذ مطلوب الكل هو القرب من الله تعالى — وذلك هو الرفعة والكمال اذ هو عز لا ذل فيه وغنى لا فقر معه * وبقاء لا فناء بعده * ولذة لا كدورة لها وطلب ذلك محمود * وانما المذموم طلب الكمال الوهمي دون الحقيقي والكمال الحقيقي يرجع الى العلم والحرية والقدرة وهو ان لا يكون مقيداً بغيره ولا يتصور للعبد حقيقة القدرة فان قدرته انما تكون بالمال والجاه وذلك كمال وهمي فانه امر عارض لا بقاء له ولا خير فيما لا بقاء له بل قيل

﴿ اشد الغم عندي في سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا ﴾

كيف وهذه القدرة العارضة مع سرعة انقضائها بالموت وبآفاتها قبله لا تصفو عن الكدورات فمن توهمها كمالا فقد زل * بل الكمال في الباقيات الصالحات التي تنال بها القرب من الله سبحانه * ولا تزول بالموت بل تتضاعف تضاعفا غير محدود — وذلك هو المعرفة الحقيقية بذات الله تعالى وصفاته وافعاله وهو العلم بكل الموجودات اذ ليس في الوجود الا الله تعالى وافعاله * لكن قد ينظر فيها الناظر لا من حيث انها افعال الله تعالى كالذى

ينظر في التشريح لغرض الطب او ينظر في هيئة العالم لمعرفة الاستدلال باحكام النجوم * فهذا لاقدر له * ومن الكمال الحقيقي الحرية وهو انقطاع علاقتك عن جميع علايق الدنيا بل عن كل ما يفارقك بالموت والاقتصار في الالتفات الى لازمك الذي لابد لك منه وهو الله تعالى كما اوحى الله الى داود ياد او دانا بدّك اللازم فالزم بدك * فالعلم والحرية من الباقيات الصالحات وهما كمالان حقيقيان والمال والبنون زينة الحياة الدنيا وهما كمالان وهميان * والمنكوسون هم الذين عكسوا الحقيقة فاعرضوا عن طلب الكمال الحقيقي واشتغلوا بطلب الكمال الوهمي وهم الذين يحترقون عند الموت بنيران الحسرة اذ يشاهدون انهم خسروا الدنيا والآخرة * واما الاخرة فلانهم يطلبونها ولم يحصّلوا أسبابها من المعرفة والحرية * واما الدنيا فلأنها ودعتهم وانقلبت الى اعدائهم وهم ورثتهم ولا تظنن ان الايمان والعلم يفارقانك بالموت * فالموت لايهدم محل العلم أصلا وليس الموت عدما حتى تظن انك اذا عدمت عدمت صفاتك بل معنى الموت قطع علاقة الروح

من البدن الى ان تعاد اليه * واذا تجرد عن البدن فهو على ما كان عليه قبل الموت من العلم والجهل * وفهم هذا طويل وتحته اسرار لايحتمل هذا الكتاب كشفها *

﴿ فصل ﴾

اذا عرفت حقيقة الجاه وماهيته وانه كمال وهمي فقد عرفت ان طريق العلاج في قمع حبه من القلب * اذا علمت ان اهل الارض لو سجدوا لك مثلا لما بقي الا الى مدة قريبة لا الساجد ولا المسجود له * كيف ويشح الدهر عليك بان يسلم لك الملك في محلتك فضلا عن قريتك او بلدتك * فكيف ترضى ان تترك ملك الأبد والجاه الطويل العريض عند الله تعالى وعند ملائكته بجاهك الحقير المنغص عند جماعة من الحمقى لاينفعونك ولا يضرونك ولا يملكون لك موتا ولا حياة ولا نشوراً ولا رزقا ولا اجلا * نعم ملك القلوب كملك الاعيان وانت محتاج منه الى قدر يسير لتحرس نفسك عن الظلم والعدوان وعما يشوش عليك سلامتك وفراغك التى تستعين بها على دينك * فطلبك لهذا القدر مباح بشرط القناعة

بقدر الضرورة كما في المال * وبشرط ان لا تكتسبه بالمرايات بالعبادات فذلك حرام كما سيأتي * وان لا تكتسبه بالتلبيس بان تظهر من نفسك ما انت خال عنه فلا فرق بين من يملك القلوب بالتلبيس وبين من يملك الاموال * فاذا حصلت الجاه بطريقه واقتصرت على قدر التحرز من الآفات فترجى لك السلامة الا انك في خطر عظيم اكثر من خطر المال لان قليل الجاه يدعو الى كثيره فانه الذمن المال — ولذلك لا يسلم الدين مجانا غالبا الا لخامل مجهود لا يعرف كما فهمت ذلك من الاخبار *

﴿ فصل ﴾

من البواعث على طلب الجاه حب المدح فان الانسان يتلذذ به من ثلاثة أوجه ﴿ أحدها ﴾ انه يشعر صاحبه بكمال نفسه والشعور بالكمال لذيذ لأن الكمال من الصفات الالهية ﴿ والثاني ﴾ أنه يشعر بملك قلب المادح وقيام الجاه عنده وكونه مسخرا له ﴿ الثالث ﴾ أنه يشعر صاحبه بان المادح يصغى الى مدحه فينتشر بسببه جاهه * فكذلك اذا صدر المدح من بصير

بصفات الكمال واسع الجاه والقدرة في نفسه وكان على ملأ من الناس تضاعفت لذة المدح * وتزول اللذة الاولى بان يصدر عن غير اهل البصيرة فانه لايشعر بالكمال * وتزول الثانية بان يصدر عن خسيس لاقدرة له لان ملك قلبه لا يعتد به * وتزول الثالثة بان يمدح في الخلوة لا في الملأ الا من حيث يتوقع انه ايضا ربما يمدح في الملأ ﴿ واما الذم ﴾ فانه مكروه لنقيض هذه الاسباب ﴿ وأكثر الخلق ﴾ اهلكهم حب المدح وكراهية الذم ويحملهم ذلك على المرايات وفنون المعصية ﴿ وعلاج ﴾ ذلك ان يتفكر في اللذة الاولى فان مدح بكثرة المال والجاه فيعلم انه كمال وهمي وهو سبب فوات كمال حقيقي فهو جدير بان يحزن لاجله لا ان يفرح به وان مدح بكمال العلم والورع * فينبغي ان يكون فرحه بوجود تلك الصفات ويشكره لله تعالى عليها لا يشكر غيره هذا ان كان متصفا به ﴿ واما ﴾ ان كان غير متصف به ففرحه به حماقة كفرح من يثني عليه غيره ويقول ما أطيب العطر الذي في احشائك او امعائك وهو يعلم ما فيها من الاقذار والانتان

وهذا حال من يفرح من المدح بالورع والزهد والعلم وهو يعلم من باطن نفسه انه خال عنه ﴿ وأما اللذة الثانية والثالثة ﴾ وهو لذة الجاه عند المادح وغيره * فعلاجه ماذكرناه فى حب الجاه

﴿ الاصل السابع حب الدنيا ﴾

واعلم ان حب الدنيا رأس كل خطيئة * وليس الدنيا عبارة عن المال والجاه فقط بل هما حظان من حظوظ الدنيا * وشعبتان من شعبها وشعب الدنيا كثيرة * ودنياك عبارة عن حالتك قبل الموت * وآخرتك عبارة عن حالتك بعد الموت * وكل مالك فيه حظ قبل الموت فهو من دنياك الا العلم والمعرفة والحرية * وما يبقى معك بعد الموت فانها أيضاً لذيذة عند أهل البصاير * ولكنها ليست من الدنيا وان كانت في الدنيا ولهذه الحظوظ الدنيوية تعاون وتعلق بما فيه الحظ وتعلق باعمالك المتعلقة باصلاحها فهى ترجع الى أعيان موجودة والى حظك فيها والى شغلك فى اصلاحها ﴿ أما الأعيان ﴾ فهى الأرض وماعليها قال الله تعالى ﴿ إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها ﴾ الآية ومطلوب الآدمي من الأرض ﴿ أماعينها ﴾

فللمسكن والمحرث ﴿ وأما نباتها ﴾ فللتداوي والاقتيات ﴿ واما معادنها ﴾ فللنقود والاواني والآلات ﴿ واما حيواناتها ﴾ فللمركب والمأكل ﴿ واما الآدميون ﴾ منها فللمنكح والاستحسان وقد جمع الله سبحانه ذلك في قوله ﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين ﴾ الآية ﴿ وأما حظك منها ﴾ فقد عبر القرآن الكريم عنه بالهوى فقال الله تعالى ﴿ ونهى النفس عن الهوى ﴾ وقال تعالى تفصيلا له ﴿ انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والاولاد ﴾ الآية وذلك يندرج فيه جميع المهلكات الباطنة من الغل والكبر والحسد والرياء والنفاق والتفاخر والتكاثر وحب الدنيا وحب الثناء * وهى الدنيا الباطنة ﴿ وأما الاعيان ﴾ هى الدنيا الظاهرة ﴿ وأما شغلك فى اصلاحها ﴾ فهى جملة الحرف والصناعات التي الخلق مشغولون بها * وقد نسوا فيها انفسهم ومبدءهم ومعادهم لاستغراقهم باشغالهم بها * وانما شاغلهم العلاقتان فان علاقة القلب بحب حظوظها * وعلاقة البدن بشغل اصلاحها فهذه هي حقيقة الدنيا التى حبها رأس كل خطيئة * وانما خلقت

للتزود منها الى الآخرة ولكن كثرة أشغالها وفنون شهواتها أنستِ الحمقى سفرهم ومقصدهم فقصروا عليها همتهم فكانوا كالحاج فى البادية يشتغل بتعهد الناقة وعلفها وتسمينها فيتخلف عن الرفقة حتى يفوته الحج وتهلكه سباع البادية *

*(فصل)*

هذه الدنيا المذمومة المهلكة هي بعينها مزرعة الآخرة فى حق من عرفها اذ يعرف انها منزل من منازل السائرين الى الله عز وجل وهي كرباط بني على قارعة الطريق * أعد فيها العلف والزاد وأسباب السفر * فمن تزود منها لآخرته واقتصر منها على قدر الضرورة التي ذكرناها في المطعم والملبس والمنكح وساير الضرورات فقد حرث وبذر * وسيحصد في الآخرة مازرع * ومن عرج عليها واشتغل بلذاتها هلك ومثل الخلق فيها كمثل قوم ركبوا سفينة فانتهت بهم الى جزيرة فامرهم الملاح بالخروج لقضاء الحاجة وخوفهم المقام واستعجال السفينة فتفرقوا فيها * فبادر بعضهم وقضى حاجته ورجع الى السفينة فوجد مكانا خاليا واسعا * ووقف بعضهم فنظر في ازهار

الجزيرة وانوارها وظرايف احجارها وعجايب غياضها ونغمات
طيورها * فرجع الى السفينة فلم يجد الامكانا ضيقا حرجا
وأكب بعضهم على تلك الاصداف والاحجار وأعجبه حسنها فلم
تسمح نفسه الا بان يستصحب شيئا منها فلم يجد في السفينة الا
مكانا ضيقا وزادته الحجارة ثقلا وضيقا فلم يقدر على رميها ولم
يجد لها مكانا فحملها على عنقه وهو ينوء باعبائها * وتولج
بعضهم الغياض ونسي المركب واشتغل بالتفرج فى تلك الازهار
والتناول من تلك الثمار وهو فى تفرجه غير خال من خوف
السباع والحذر من السقطات والنكبات * فلما رجع الى السفينة
فلم يصادفها فبقي على الساحل فافترسته السباع ومزقته الهوام
فهذه صورة أهل الدنيا بالاضافة الي الدنيا والآخرة فتأملها
واستخرج وجه الموازنة فيها ان كنت ذا بصيرة *

﴿ فصل ﴾

من عرف نفسه وعرف ربه وعرف زينة الدنيا وعرف الآخرة
شاهد بنور البصيرة وجه عداوة الدنيا للآخرة اذ ينكشف له
قطعا ان لاسعادة فى الآخرة الا لمن قدم على الله سبحانه

عارفا به محبا له * فان المحبة لاتناله الا بدوام الذكر * وان المعرفة لاتنال الا بدوام الطلب والفكر * ولا يتفرغ لهما الا من أعرض عن اشغال الدنيا * ولا تستولى المعرفة والحب على القلب مالم يفرغ من حب غير الله تعالى ففراغ القلب عن غير الله ضرورة اشتغاله بحب الله تعالى ومعرفته * ولن يتصور ذلك الا لمعرض عن الدنيا قانع منها بقدر الزاد والضرورة * فان كنت من اهل البصيرة فقد صرت من اهل الذوق والمشاهدة * وان لم تكن كذلك فكن من اهل التقليد والايمان وانظر الي تحذير الله سبحانه * اياك والكتاب والسنة وقد قال عز وجل ﴿من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها﴾ الاية وقال تعالى ﴿ذلك بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة﴾ الاية وقال عز اسمه ﴿فأما من طغى وآثر الحيوة الدنيا﴾ الآية ولعل ثلث القرآن في ذم الدنيا وذم اهلها * وقد قال صلى الله عليه وسلم ﴿الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله تعالى منها﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ياعجبا كل العجب للمصدق بدار الآخرة وهو يسعى لدار الغرور﴾

وقال عليه السلام ﴿ الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظرٌ كيف تعملون ﴾ وقال عليه السلام ان الله عزوجل لم يخلق خلقا أبغض اليه من الدنيا وانه لم ينظر اليها منذ خلقها * وقال عليه السلام من أصبح والدنيا اكبر همه فليس من الله في شيء والزم قلبه أربع خصال هماً لا ينقطع عنه ابدا وشغلا لا يتفرغ عنه ابدا وفقرا لا يبلغ غناه أبدا وأملا لا يبلغ منتهاه أبدا * وقال ابو هريرة قال صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة الا أريك الدنيا جميعها قلت نعم * فأخذ بيدى الى مزبلة فيها رؤس أناس وعذرات وخرق وعظام * فقال عليه السلام يا أبا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص كحرصكم وتأمل آمالكم ثم هي اليوم عظام بلا جلد ثم ستصير رمادا وهذه العذرات ألوان اطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها من بطونهم فاصبحت والناس يتحامونها * وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم فأصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التى كانوا ينتجعون[1] عليها أطراف

(١) اي يطلبون ويكتسبون * وانتجع طلب الكلأ في موضعه

البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك * وقال صلى الله عليه وسلم ليجيئنّ اقوام يوم القيامة واعمالهم كجبال تهامه فيؤمر بهم الى النار * قالوا يارسول الله مصلين [1] قال نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون هنة [2] من الليل فاذا عُرِض لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه * وقال عيسى عليه السلام لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في اناء واحد وقال نبينا صلى الله عليه وسلم احذروا الدنيا فانها اسحر من هاروت وماروت * وقال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين كما رضي اهل الدنيا بدنيّ الدي[illegible] سلامة الدنيا * وقال عيسي عليه السلام للحواريين لأكل خبز الشعير بالملح الجريش [3] ولبس المسوح [4] والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة وروي ان عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا فرآها في صورة عجوز شوهاء عليها من كل زينة * فقال لها كم نكحت فقالت

---

(١) وفى النسخة الدمشقية أو مصلين (٢) اي ساعة لطيفة
(٣) الملح الغير الطيب (٤) الثوب الخلق الخشن المرقع

اني لا احصيهم * فقـال يطلقونك او ماتوا عنك فقالت بل قتلت كلهم * فقال عيسى عليه السلام عجباً لازواجك الباقين كيف لا يعتبرون بازواجك الماضين *

## فصل

اعلم ان من ظن انه يلابس الدنيا ببدنه و يخلو عنها بقلبه فهو مغرور * وقال النبي صلى الله عليه وسلم مثل صاحب الدنيا كمثل الماشي في الماء هل يستطيع الذي يمشي في الماء الا يبتل قدماه وكتب عليّ رضوان الله عليه الى سلمان الفارسي رضى الله عنه مثل الدنيا مثل الحية يلين مسها ويقتل سمها * فاعرض عما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها * وضع عنك همومها لما أيقنت من فراقها * وكن اسرّ ماتكون بها احذر ماتكون منها فان صاحبها كلما اطمأن منها الي سرور اشخصه عنه مكروه * وقال عيسى عليه السلام مثل الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شرباً ازداد عطشاً حتى يقتله ﴿ واعلم ﴾ ان من اطمأن الى الدنيا وهو يتيقن انه راحل عنها هو في غاية الحماقة * بل مثل الدنيا مثل دار هيأها صاحبها وزينها لضيافة الواردين والصادرين *

فدخل واحد داره فقدم اليه طبقاً من ذهب عليه بخور وريحان ليشمها ويتركه لمن يلحقه لا ليتملكه فجهل رسمه فظن انه وهب ذلك له * فلما تعلق به قلبه استرجع منه فضجر وتوجع ومن كان عالما برسمه انتفع به وشكره ورده بطيبة قلبه وانشراح صدره فكذلك سنة الله في الدنيا فانها دار ضيافته على المجتازين لا على المقيمين ليتزودوا منها ما ينتفعون به كما ينتفع بالعارية ثم يتركونها لمن يلحق بعدهم بطيبة نفس من غير تعلق القلب بها لا كمن يتعلق القلب بها *

## ﴿ الاصل الثامن في الكبر ﴾

قال الله سبحانه ﴿ كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار ﴾ وقال تعالى فبئس مثوى المتكبرين * وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى العظمة ازارى والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته * قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر * وقال عليه السلام يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة في صور الذر يطؤهم الناس لهوانهم على الله عز وجل * وقال صلى الله عليه وسلم لبلال ان

في جهنم واديا يقال له ﴿ هبهب ﴾ حق على الله سبحانه ان يسكنه كل جبار فاياك يابلال ان تكون ممن يسكنه * وقال عليه السلام اللهم انى اعوذ بك من نفخة الكبر * وقال عليه السلام لا ينظر الله تعالى الى من جر ثوبه خيلاء * وقال عليه السلام من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقى الله وهو عليه غضبان وقال عليه السلام في فضيلة التواضع مازاد الله عبدا بعفو الا عزا * وما تواضع احد لله الا رفعه الله * وقال عليه السلام طوبى لمن تواضع في غير مسكنة * واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام انما اقبل صلوة من تواضع لعظمتى ولم يتعظم على خلقي وألزم قلبه خوفى وقطع النهار بذكرى وكف نفسه عن الشهوات من أجلى * وقال نبينا صلى الله عليه وسلم اذا تواضع العبد لله رفعه الله الى السماء السابعة * وقال عليه السلام ان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا رحمكم الله * وقال عليه السلام انه ليعجبني ان يحمل الرجل الشيء في يده فيكون مهنة لاهله يدفع به الكبر عن نفسه *

## فصل

حقيقة الكبر ان يرى نفسه فوق غيره في صفات الكمال فيحصل فيه نفخة وهزة من هذه الرذيلة والعقيدة — ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اعوذ بك من نفخة الكبر — ولذلك استأذن بعضهم عمر رضى الله عنه ليعظ الناس بعد الصبح فقال لا اخشى ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا* ثم هذه النفخة يصدر منها أفعال على الظاهر كالترفع فى المجالس والتقدم في الطريق والنظر بعين التحقير والغضب اذا لم يبدأ بالسلام وقصّر فى حوايجه وتعظيمه ويحمله على ان يأنف اذ اوعظ* ويعنّف اذا وعظ وعلّم* ويجحد الحق اذا ناظر وينظر الى العامة كانه ينظر الى الحمير * وانما عُظِّم الكبر حتى لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة منه لان تحته ثلاثة انواع من الخبائث العظيمة ﴿ اولها ﴾ انه منازعة الله تعالى في خصوص صفته اذ الكبرياء رداؤه كما قال الله فان العظمة لا تليق الا به * ومن أين تليق العظمة بالعبد الذليل الذي لا يملك من امر نفسه شيئا فضلا عن امر غيره ﴿ الثانية ﴾ ان يحمله على جحد الحق وازدراء

الخلق قال صلى الله عليه وسلم في بيان الكبر * الكبر من سفه الحق * وغمص الناس والانفة من الحق تغلق باب السعادة وكذا استحقار الخلق *وقال بعضهم ان الله سبحانه خبأ ثلاثا في ثلاث خبأ رضاه في طاعته فلا تحقرن شيئا منها لعل رضاه الله فيه وخبأ سخطه في معصيته فلا تحقرن شيئا منها صغيرة فلعل سخط الله تعالى فيها وخبأ ولايته في عباده فلا تحقرن احدا منهم فلعله وليّ الله تعالى ﴿ الثالثة ﴾ انه يحول بينه وبين جميع الاخلاق المحمودة لان المتكبر لا يقدر ان يحب للناس ما يحب لنفسه ولا يقدر على التواضع وعلى ترك الانفة والحسد والغضب ولا يقدر على كظم الغيظ وعلى اللطف في النصح وعلى ترك الرياء * وبالجملة فلا يبقى خلق مذموم الا ويضطر المتكبر الى ارتكابه *ولا خلق محمود الا ويضطر الى تركه

## ﴿ فصل ﴾

العلاج الجملي لقمع رذيلة الكبر ان يعرف الانسان نفسه وان اوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة*وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة ويفهم قوله تعالى ﴿قتل الانسان ما اكفره من أي شيء

خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره﴾
فليعلم انه خلق من كتم العدم وانه لم يك شيأً مذكورا فلا شيء
اقل من العدم * ثم خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من
مضغة ليس له سمع ولا بصر ولا حيوة ولا قوة وخلق له ذلك كله
وهو بعد غاية النقصان يستولى عليه الامراض والعلل ويتضاد
فيه الطبايع فيهدم بعضها بعضا فيمرض كرها ويجوع كرها
ويعطش كرها ويريد ان يعلم الشيء فيجهله ويريد ان ينسى
الشيء فيذكره ويكره الشيء فينفعه ويشتهى الشيء فيضره
لا يأمن فى لحظة من أن يختلس روحه او عقله او صحته او
عضو من اعضائه * ثم آخره الموت والتعرض للعقاب والحساب
فان كان من اهل النار فالخنزير خير منه فمن اين يليق به الكبر
وهو عبد مملوك ذليل لا يقدر على شيء * قال الحسن البصري
رحمة الله عليه لبعض من يتبختر فى مشيته ماهذه المشية لمن
في بطنه خراء * فكيف يليق الكبر بمن يغسل العذرة بيده مرتين
فى كل يوم وهو حامل لها على الدوام *

﴿ فصل ﴾

علاج الكبر على التفصيل بالنظر الى مابه التكبر وهو اربع خصال ﴿ الاولى ﴾ العلم قال صلى الله عليه وسلم ﴿آفة العلم الخيلاء﴾ وقال عليه السلام لا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يفي علمكم بجهلكم * وقل ما يخلو العالم من آفة الكبر * فانه يرى نفسه فوق الناس بالعلم الذي هو اشرف فضيلة عند الله عز وجل ﴿ فيتكبر ﴾ تارة بالدين بان يرى نفسه عند الله عز وجل افضل من غيره * وتارة في الدنيا بان يرى حقه واجبا على الناس ويتعجب منهم ان لم يتواضعوا له — وهذا بان يسمى جاهلا اولى لان العلم الحقيقيّ مايعرف به ربه ونفسه وخطر خاتمته وحجة الله عز وجل عليه * ويلاحظ الخاتمة فلا يرى جاهلا الا ويقول انه عصى الله تعالى بجهل وانا عصيته بعلم فحجة الله تعالى عليّ آكد * قال ابو الدرداء رضي الله عنه من ازداد علما ازداد تواضعا قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ وقال عليه السلام يكون قوم يقرؤن القرآن فلا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن أقرأ

منا ومن أعلم منا * ثم التفت وقال ﴿ اولئك منكم ايها الامة ﴾ اولئك هم وقود النار* ومن هذا اشتد حذر السلف حتى انه صلى حذيفة مرة رحمه الله بقوم فلما سلم قال لتلتمسُنّ اماما غيرى أو لتصلُنّ وحدانا اني رأيت في نفسي انه ليس في القوم افضل مني *وينبغي ان يتذكر الانسان انه كم من مسلم نظر الى عمر رضي الله عنه قبل اسلامه واستحقره ثم كانت خاتمة عمر كما كانت وذلك المسلم لعله ارتد بعده فكان المتكبر من اهل النار والمتكبَّر عليه من اهل الجنة* ومامن عالم الا ويتصوران يختم له بالسوء ويختم للجاهل بالسعادة*فكيف يكون الكبر مع معرفة ذلك* وقد قال صلى الله عليه وسلم يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق اقتابه[1] فتدور به كما يدور الحمار بالرحا فيطيف به اهل النار فيقولون مالك فيقول كنت آمرا بالخير ولا آتيه وانهي عن الشر وآتيه* فاي عالم يسلم عن* ذلك فلم لا يشغله خوفه عن التكبر * وقد قال الله تعالى في بلعم بن باعورا وهو من اكابر العلماء ﴿فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث﴾

(١) اى يخرج من بطنه امعائه*

الآية لأنه اخلد الى الشهوات *وقال بعلماء اليهود ﴿ كمثل الحمار يحمل اسفارا ﴾فلينظر في الاخبار التى وردت في علماء السوء حتى يغلب خوفه كبره *وانما يبقى الكبر مع هذا لمن اشتغل بعلوم غير نافعة فى الدين كالجدل واللغة وغيرهما اولمن اشتغل بالعلم وهو خبيث الباطن فازداد خبثه بسببه ﴿ السبب الثاني ﴾ الورع والعبادة ولا يخلو المتعبد فى باطنه عن كبر وقد ينتهي الحماقة ببعضهم الى ان يحمل مصايب الناس ومسراتهم على كرامته فمن اذاه ومات أو مرض يقول قد رأيتم مافعل الله سبحانه به * وربما يقول عند الايذاء سترون مايجرى عليه وليس يدري الاحمق ان جماعة من الكفار ضربوا الانبياء وآذوهم* ثم متّعوا فى الدنيا فلم ينتقم منهم بل ربما اسلم بعضهم فسعد في الدنيا والآخرة فكأنه يرى نفسه افضل من الانبياء وموذيه اخس من الكفار *وحق العابد اذا نظر الى عالم ان يتواضع له لجهله وان نظر الى فاسق ان يقول لعل فيه خلقا باطنا يستر معاصيه الظاهرة ولعل في باطني حسدا اورياء او خبثا خفيا مقتني الله سبحانه عليه فلايقبل اعمالي الظاهرة وان

الله سبحانه ينظر الى القلوب لا الى الصور * ومن الخبث الباطن الكبر اذ روي ان رجلا من بني اسرائيل يقال له خليع بني اسرائيل لكثرة فساده جلس الى عابد بني اسرائيل وقال لعل الله تعالى يرحمني ببركته * فقال العابد في نفسه كيف يجلس معي مثل هذا الفاسق * وقال له قم عني فاوحى الله سبحانه الى نبيّ زمانه مُرْهُما ليستأنفا العمل فقد غفرت للخليع واحبطت عمل العابد * وروي ان رجلا وطئ رقبة عابد من بني اسرائيل وهو ساجد * فقال له ارفع فوالله لا يغفر الله لك فاوحى الله سبحانه اليه ايها المتألى عليّ بل لا يغفر الله لك فالاكياس [1] يحذرون من ذلك ويقولون ما كان يقول له عطاء السلمي مع شدة ورعه كان اذا هبت ريح عاصف او صاعقة يقول ما يصيب الناس ذلك الا بسببي ولو مات عطاء لتخلصوا وقال بعضهم في عرفات انا ارجو الرحمة لجميعهم لولا كوني فيهم فانظر كم بين من يخلص العمل والورع ثم يخاف على نفسه وبين من يتكلف اعمالا ظاهرة لعلها لا تخلو عن الرياء والآفات

---

(١) جمع كيس وهو ضد الحمق ويقال الغلبة بالكياسة

ثم يمن[1] على الله بعمله ﴿السبب الثالث الكبر بالنسب﴾ وعلاجه ان ينظر في نسبه فان اباه نطفة مذرة وجده التراب ولا اقذر من النطفة ولا اذل من التراب * ثم المفتخر بالنسب يفتخر بخصال غيره ولو نطق آباؤه لقالوا من انت في نفسك ما انت الا دودة من بول من له خصلة حسنة — ولذلك قيل ﴿لئن فخرت بآباء ذوي نسب * لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا﴾ وكيف يتكبر بنسب ذوي الدنيا ولعلهم صاروا حممة في النار يودون لو كانوا خنازيرا وكلابا يتخلصون مما هم فيه * وكيف يتكبر بنسب اهل الدين وهم في انفسهم ما كانوا يتكبرون وكان شرفهم بالدين * ومن الدين التواضع وكان احدهم يقول ليتني كنت تبنة وليتني كنت طايرا * كلهم قد شغلهم خوف العاقبة عن الكبر مع عظم علمهم وعملهم * فكيف يتكبرون بنسبهم من هو عاطل عن خصالهم ﴿ السبب الرابع الكبر بالمال والجمال والاتباع ﴾ والكبر بهم جهل فانها امور خارجة عن الذات اعنى المال والاتباع وكيف يتكبر بخصلة تمتد اليها يد السارق والغاصب

(١) وفي النسخة العراقية ثم يتمنى *

وكيف يفتخر بالجمال وحُمّى شهر تفسده والجدرىُّ يزيله ولو تفكر الجميل في اقذار باطنه لأَدهشه ذلك عن تزويق ظاهره ولو لم يتعهد الجميلُ بدنَه اسبوعا بالغسل والتنظيف لصار اقذر من الجيفة من تغيّر النكهة والصُّنان ورايحة العذرة وكراهية الوسخ والمخاط والرمص * فمن اين للمزبلة ان تفتخر بجماله والانسان بالحقيقة مزبلة فانه منبع الاقذار والنجاسات *

﴿ الاصل التاسع العجب ﴾

قال الله تعالى ﴿ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم﴾ الآية وقال عز وجل وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا * وقال ولا تزكوا انفسكم هو أعلم بمن اتقى * وقال عليه السلام ثلاث مهلكات ﴿ شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه ﴾ وقال ابن مسعود رضى الله عنه الهلاك فى اثنين ﴿القنوط والعجب ﴾ وانما جمع بينهما لان القانط لا يطلب السعادة لقنوطه والمعجب لا يطلبها لظنه انه قد ظفر بها * وقال صلى الله عليه وسلم لو لم تذنبوا لخفت عليكم ماهو اعظم من ذلك العجب العجب * وقيل لعايشة رضي الله عنها متى يكون الرجل مسيئا فقالت اذا ظن انه محسن

﴿ ونظر رجل ﴾ الى بشر بن منصور وهو يطيل الصلاة ويحسن العبادة فلما فرغ قال لا يغرنك ما رأيت مني فان ابليس عبد الله تعالى وصلى آلاف سنين ثم صار الى ماصار اليه*

﴿ فصل ﴾

حقيقة العجب استعظام النفس وخصالها التى هي من النعم والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم والأمن من زوالها فان اضاف اليه ان رأى لنفسه عند الله حقا ومكانا سمي ذلك ادلالا *وفي الخبر ان صلاة المدل لا ترتفع فوق رأسه وعلامة ادلاله ان يتعجب من رد دعائه ويتعجب من استقامة حال من يؤذيه* والعجب هو سبب الكبر ولكن الكبر يستدعي متكبرا عليه والعجب مقصور على الانفراد ﴿ اما ﴾ من رأى نعمة الله تعالى على نفسه بعمل او علم او غيره وهو خايف على زواله وفرح بنعم الله تعالى عليه من حيث انها من الله فليس بمعجب* بل العجب ان يأمن وينسى الاضافة الى المنعم

﴿ فصل ﴾

العجب جهل محض فعلاجه العلم المحض فانه ان اعجب بقوة

وجمال او أمر مما ليس يتعلق باختياره فهو جهل ايضاً اذ ليس ذلك اليه فينبغي ان يعجب بمن اعطاه ذلك من غير استحقاق * وينبغي ان يتفكر فى زوال ذلك المخوف على القرب بادنى مرض وضعف ﴿ وان اعجب ﴾ بعلمه وعمله وما يدخل تحت اختياره فينبغي ان يتفكر فى تلك الاعمال بماذا تيسرت له وانها لا يتيسر الا بعضو وقدرة وارادة ومعرفة وان جميع ذلك من خلق الله عز وجل * واذا خلق الله العضو والقدرة وسلط الدواعي وصرّف الصوارف كان حصول الفعل ضروريا * وليس للمضطر ان يتعجب بما يحصل منه اضطرارا وهو مضطر الى اختياره فانه يفعل ان شاء ولكن ان يشاء الله شاء اولم يشأ مهما خلقت فيه المشية * قال الله سبحانه وتعالى ﴿ وما تشاؤن الا ان يشاء الله ﴾ فمفتاح العمل انحزام المشية وانصراف الدواعي الصارفة مع كمال القدرة والاعضاء * وكل ذلك بيد الله تعالى ارأيت لو كان بيد ملك مفتاح خزانة فاعطاك اياه فاخذت منها اموالا أتعجب بجوده اذا اعطاك المفتاح بغير استحقاق او بكمالك في اخذه واي كمال فى الاخذ بعد التمكن *

﴿ فصل ﴾

من العجايب ان يعجب العاقل بعلمه وعقله حتى يتعجب ان افقره الله تعالى وأغنى بعض الجهال ويقول كيف وسع النعمة على الجاهل وحرّمني *فيقال له كيف رزقك العلم والعقل وحرّمها الجاهل* فهذه عطية منه أفتجعلها سببا لاستحقاق عطية اخرى بل لو جمع لك بين العقل والغنى وحرم الجاهل عنهما جميعا كان ذلك اولى بالتعجب وما تعجب العاقل منه الا كتعجب من اعطاه الملك فرسا واعطى غيره غلاما ويقول كيف يعطي الغلام لفلان ولا فرس له ويحرمني وانا صاحب الفرس وانما صار صاحب الفرس بعطائه فيجعل عطاءه سببا لاستحقاق عطاء آخر وهو عين الجهل بل العاقل يكون ابدا تعجبه من فضل الله تعالى وجوده من حيث اعطاه العلم والعقل ووفقه للعبادة من غير تقدم استحقاق منه وحرم غيره ذلك وسلط عليه دواعي الفساد واضطره اليه بصرف دواعي الخير عنه وذلك بغير جريمة سابقة منه * واذا شاهد ذلك تحقيقا غلب عليه الخوف اذ قد يقول قد انعم الله

عليّ في الدنيا من غير وسيلة وخصني به دون غيري * ومن يفعل مثل هذا بغير سبب فيوشك ان يعذب ويسلب النعم ايضا بغير جناية وسبب فماذا اصنع ان كان ما أفاضه عليّ من النعم مكرا او استدراجا فتحه كما قال الله تعالى ﴿ فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أوتوا اخذنا هم بغتة ﴾ وكما قال تعالى ﴿ سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ﴾

﴿ الاصل العاشر في الرياء ﴾

قال الله تعالى ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن ﴾ وقال تعالى ﴿ انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ﴾ وقال تعالى ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك ﴾ الآية اراد به الاخلاص * وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ ان أخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر ﴾ قيل وما هو قال عليه السلام الرياء يقول الله عز وجل يوم القيامة اذا جازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء * وقال عليه السلام في حديث طويل يقال للغازي والعالم والمنفق اذا

قال فعلت يقال كيت وكيت اردتَ ان يقال فلان عالم او
شجاع اوجواداو قارئ فيذهب به الى النار * وقال صلى الله
عليه وسلم استعيذوا بالله من جب الحزن قيل وما هو قال عليه
السلام واد في جهنم أعد للقراء المرائين وقد قال تعالى ﴿ من
عمل لي عملا أشرك فيه غيري فهو له كله وأنا منه بريء وانا
اغنى الاغنياء عن الشرك ﴾ وقال عليه السلام لا يقبل الله عملا
فيه مقدار ذرة من الرياء * وقال عليه السلام ان أدنى الرياء الشرك *
وقال عيسى عليه السلام اذا كان يوم صوم احدكم فَليدهِن
رأسه ولحيته ويمسح شفتيه لكيلا يرى الناس انه صائم * واذا
أعطى بيمينه فَليُخفِ عن شماله * واذا صلى فليرخ ستر بابه فان
الله تعالى يقسم الثناء كما يقسم الرزق * ولهذا قال عمر رضي الله
عنه لرجل طأطأ رقبته ياصاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس
الخشوع في الرقاب وانما الخشوع في القلوب * وقال نبينا صلى
الله عليه وسلم ان المرائي ينادى يوم القيامة باربعة اسماء
﴿ يا مرائي ياغاوي يافاجر ياخاسر ﴾ اذهب فخذ اجرك ممن
عملت له فلا اجر لك عندنا * وقال قتادة رحمة الله عليه اذا

رائى العبد يقول الله تعالى انظروا كيف يستهزئ بي * وقال الحسن رحمة الله عليه صحبت اقواما ان كان احدهم لتُعرضُ له الحكمة لو نطق بها نفعته ونفعت اصحابه وما يمنعه منها الا الشهرة *

﴿ فصل ﴾

حقيقة الرياء طلب المنزلة في قلوب الناس بالعبادات واعمال الخير وما يرايا به ستة اصناف ﴿الاول﴾ الرياء من جهة البدن وهو اظهار النحول والصفار ليظن به السهر والصيام * واظهار الحزن ليظن به انه شديد الاهتمام بأمر الدين واظهار شعث الشعر ليظن به انه لشدة استغراقه بالدين ليس يتفرّغ لنفسه واظهار ذُبُولِ (١) الشفتين ليستدل به على صومه * وخفض الصوت ليستدل به على ضعفه من شدة المجاهدة ﴿الثاني﴾ الرياء بالهيئة كحلق الشارب واطراق الرأس في المشي والهدو في الحركة وابقاء أثر السجود على الوجه * وتغميض العينين ليظن به انه في الوجد والمكاشفة او غائصٌ في الفكر ﴿ الثالث ﴾ الرياء

(١) ذبل الشيء ذبولا ذهبت ندوته والذبلاء * أليابسة الشفة

في الثياب كلبس الصوف والثوب الخشن وتقصيره الى قريب من الساق وتقصير الكمين وترك الثوب مخرّقا ووسخا ليُظنّ انه مستغرق الوقت عن الفراغ له * ولبس المرقعة والسجادة ليُظنّ انه من الصوفية مع افلاسه عن حقايق التصوف * ولبس الدراعة والطيلسان (١) وتوسيع الاكمام ليظن انه عالم والتقنّع فوق العمامة بازار * ولبس الجوارب ليُظَنّ انه متقشف (٢) لشدة ورعه من غبار الطريق * ثم منهم من يطلب المنزلة في قلوب اهل الصلاح فيلازمَ الثوب الخَلِق ولو لبس ثوبا جديدا لكان عنده كالذبح اذ يخاف ان يقول الناس قد بداله من الزهد * ومنهم من يطلب المنزلة من السلاطين والتجار * ولو لبس خلقان الثياب لازدروه * ولو لبس فاخر الثياب لم يعتقدوا زهده * فيطلبَ المرقعة المصبوغة والفوطة الرقيقة والاصواف الرفيعة فيكون ثيابهم في القيمة والنفاسة

---

( ١ ) الدراعة القميص والطيلسان فارسي معرب لباس العجم

( ٢ ) القشف محركة قذرالجلد ورثاثةالهيئةوسوء الحالوالمقشف من لايبالي بما تلطخ بجسده انتهى مصححه محي الدين صبري

كثياب الأغنياء في اللون والهيئة كثياب الصلحاء ولو كُلّفوا ان يلبسوا الخلق لكان عندهم كالذبح خيفة عن السقوط عن اعين الاغنياء *ولو كلفوا لبس الخزو القصبي والديبقي وما يباح لبسه قيمته دون قيمة ثيابهم لاشتد عليهم خوفا عن سقوط منزلتهم عن القلوب الصلحاء* اذ يقولون بداله من الزهد ﴿الرابع﴾ الرياء بالقول كرياء اهل الوعظ والتذكير وتحسين الالفاظ وتسجيعها والنطق بالحكمة والاخبار وكلام السلف مع ترقيق الصوت واظهار الحزن مع الخلوّ عن حقيقه الصدق والاخلاص في الباطن بل ليُظَنّ به ذلك وكادعاء حفظ الحديث ولقاء الشيوخ والمبادرة الى الحديث انه صحيح أو سقيم ليظن به غزارة العلم وكتحريك الشفتين بالذكر والامر بالمعروف بمشهد الناس مع خلوّ القلب عن التفجع بالمعصية وكاظهار الغضب عن المنكرات والاسف عن المعاصي مع خلوّ القلب عن التألم به ﴿الخامس﴾ الرياء بالعمل كتطويل القيام وتحسين الركوع والسجود واطراق الرأس وقلة الالتفات والتصدّق والصوم والحج والاخبات

في المشي مع ارخاء الجفون مع ان الله تعالى عالم ان باطنه لو كان خالياً لما فعل شيئاً من ذلك بل تساهل في الصلوة وتسرّع في المشي * وقد يفعل ذلك في المشي فاذا شعر باطلاع غيره عليه عاد الى السكينة كي يظن به الخشوع ﴿السادس﴾ الرياء بكثرة التلامذة والاصحاب وكثرة ذكر الشيوخ ليظن انه لقي شيوخا كثيرة وكمن يحب ان يزوره العلماء والسلاطين ليقال انه ممن يتبرك به فهذه مجامع مايرائى به في الدين وكل ذلك حرام بل هو من الكبائر * واما طلب المنزلة في قلوب الناس بافعال ليست من العبادات وأعمال الدين فليست بحرام مالم يكن فيه تلبيس كما ذكرناه في طلب الجاه *فاهل الدنيا قد يطلبون الجاه بكثرة المال والغلمان وحسن الثياب الفاخرة وحفظ الاشعار وعلم الطب والحساب والنحو واللغة وغير ذلك من الاعمال والاحوال ولم يحرم ذلك مالم ينته الى الايذاء بالتكبر والى اخلاق اخرى مذمومة وانما استقصينا أقسام الرياء لانه اغلب الاخلاق الذميمة على النفوس فمن لا يعرف الشر ومواقعه لا يمكنه ان يتقيه*

﴿ فصل ﴾

الرياء على درجات خبيثة ﴿احداها﴾ ان لا يكون بالامور الدينية والعبادات كالذي يلبس عند الخروج ثيابا حسنة خلاف ما يلبسه في الخلوة [١] وكالذى ينفق في الضيافات وعلى الاغنياء اموالا ليعتقد انه سخي لا ليعتقد انه ورع صالح * فذلك ليس بحرام فان تملك القلوب كتملك الاموال * نعم القليل منه صالح نافع والكثير منه يلهى عن ذكر الله كالكثير من المال ومهما انصرفت الهمة الى سعة الجاه فيجرّ ذلك الى الغفلة والمعاصى فيكون محذورا بذلك لا لنفسه * واما اظهار الشمايل التى ذكرناها ليعتقد الناسُ فيه الدينَ والورعَ حرام لشيئين ﴿ احدهما ﴾ انه تلبيس اذا أراد ان يعتقد الناس انه مخلص مطيع لله محبٌّ وهو بهذه النية فاسق ممقوت عند الله * ولو سلم الرجل دراهم الى جماعة يخيل اليهم انه يجود عليهم بها * وانما هى ديون لازمة عصى لتلبيسه وان لم يطلب به ان يعتقد صلاحه لان ملك القلوب بالتلبيس حرام ﴿ الثاني ﴾ انه اذا

---

(١) وفي النسخة العراقية منها ان يلبس في الملأ غير ما يلبسه في الخلوة

قصد بعبادة الله خلق الله فهو مستهزء * ومن وقف بين يدي
ملك في معرض الخدمة وليس غرضه ذلك بل غرضه ملاحظة
عبد من عبيد الملك او جارية من جواريه فانظر ماذا يستحقه
من النكال لاستهزائه بالملك فكأنه اذا قصد العبادَ بالعبادة
فقد اعتقد ان عباد الله أقدر على نفعه وضره من الله تعالى
اذ عظمة العباد في قلبه دعته الى ان يتجمل عندهم بعبادة الله
ولهذا سمى الرياء الشرك الاصغر ثم يزداد الاثم بزيادة فساد القصد
والنية ومن المرائين من لا يطلب الا مجرد الجاه * ومنهم من يطلب
ان يودع الودايع ويوقف عنده الاوقاف ومال الايتام ليختزل
منها وذلك أخبث لا محالة * ومنهم من يرائي ليقصد اليه النساء
والصبيان ليتمكن من الفجور أو ليكثر عنده المال ليصرفه الى
الخمر والملاهي * وهذا هو الاعظم اذ جعل عبادة الله تعالى
وسيلة الى مخالفته والعياذ بالله *

﴿ فصل ﴾

كما يعظم الرياء ويتغلظ اثمه بسبب اختلاف الغرض الباعث
عليه فيعظم أيضا بما به المراياة وبقوة قصد الرياء * امابه المراياة

فهي على ثلاثة درجات اغلظها ان يرائى بأصل الايمان كالمنافق يظهر انه مسلم وليس بمسلم بقلبه * وكالملحد ومعتقد الاباحة يظهر انه مستديم الايمان وقد انسل منه باطنه ﴿ الثانيـة ﴾ الرياء بأصل العبادات كمن يصلي ويخـرج الزكاة بين يدي الناس والله يعـلم من باطنـه انه لو خلا بنفسه لم يفعل ذلك ﴿ الثالثة ﴾ وهي ادناها ان لا يرائي بالفرايض ويرائى بالنوافل كالذي يكثر النافلة ويحسن هيئة الفريضة ويخرج الزكاة من أجود ماله او يتهجد او يصوم يوم عرفة وعاشوراء والله يعلم من باطنه انه لو خلا بنفسه لم يفعل شيئا من ذلك * وهذا أيضا حرام وان كان لا ينتهى شـدة العقوبة فيـه الى حـد الرياء بالاصول * وأما تغليظه بدرجات القصد فهو انه قـد يتجرد قصد الرياء حتى يصلي مثـلا على غير طهارة لاجل الناس او يصوم ولو خلا بنفسه لأفطر وقد يضاف اليه قصد العبـادة أيضاً وله ثلاثة أحوال ﴿ أحداها ﴾ ان تكون نية العبادة باعثة مستقلة لو خلا بنفسه ولكن زاده رؤية غيره ومشاهدته نشاطا وخف عليه العمل بسببه فارجو ان لا يحبط ذلك القدر عمله

بل تصح عبادته ويثاب عليها ويعاقب على قصد الرياء او ينقص من ثوابه ﴿ الثانية ﴾ ان يكون قصد العبادة ضعيفا بحيث لو انفرد عن الناس ما استقل بالحمل على العبادة فهذا لا تصح عبادته والقصد الضعيف لا ينفي عنه شدة المقت ﴿ الثالثة ﴾ ان يتساويا القصدان بحيث لا يستقلُّ كلٌّ واحد بالحمل لو انفرد أولا ينبعث للفعل باحدهما بل بمجموعهما * فهذا قد اصلح شيئا وأفسد مثله فالغالب انه لا يسلم رأسا برأس * ويحتمل ان يقال اذا تساوى القصدان * فاحدهما كفارة للآخر * وقوله تعالى ﴿ انا أغنى الاغنياء عن الشرك ﴾ يدل على انه لا يقبله ولا يثيبه عليه * اما انه يعاقبه عليه ففيه نظر فالاغلب عندي والعلم عند الله انه لا يخلو عن اثم وعقاب *

﴿ فصل ﴾

اعلم ان بعض الرياء جليٌّ * وبعضه اخفى من دبيب النمل ﴿ أما الجليُّ ﴾ فما يبعث على العمل حتى لولاه لم يرغب في العمل واخفى منه ان لا يستقل بالحمل عليه * ولكن يخفف العمل ويزيد في نشاطه كالذي يتهجد كل ليلة واذا كان عنده ضيف زاد نشاطه

واخفى منه ان لا يزيد نشاطه ولكن لو اطلع غيره على تهجده قبل فراغه او بعده فرح به ووجد في نفسه هزة * وذلك يدل على ان الرياء كان مستكنا في باطن القلب استكنان النار تحت الرماد حتى ترشح منه السرور عند الاطلاع وقد كان غافلا عنه قبله واخفى منه ان لا يسر بالاطلاع لكن يتوقع ان يبدأ بالسلام ويوقر ويتعجب ممن يسيء اليه ولا يسامحه في المعاملة ولا يحترمه وذلك يدل على انه يمن على الناس بعمله فكانه يتوقع احترامهم وتوقيرهم بعبادته مع اخفائه عنهم * وأمثال هذه الخفايا لا يخلو عنها الا الصديقون * وجميع ذلك اثم ويخاف منه احباط العمل * نعم لا بأس ان يفرح باطلاع غيره عليه اذا كان فرحه بالله تعالى من حيث أظهر منه الجميل وستر منه القبيح مع انه قصد سترهما جميعا فيفرح بلطف صنع الله تعالى وكذلك يفرح لانه يبشره بانه حيث أحسن صنعه به في الدنيا فكذلك يصنع به في الآخرة * او يفرح ليقتدي به من يراه أو يطيع الله بحمده له عليه * وعلامة هذا ان يفرح أيضا اذا اطلع على غيره ممن يرجى قدوته ومن اجل خفاء ابواب الرياء وشدة استيلائه

على الباطن احترز أولو الحزم فاخفوا عبادتهم وجاهدوا أنفسهم وقد قال علي رضي الله عنه ان الله عز وجل يقول للقراء يوم القيامة الم يكن يرخص عليكم في السعر . اولم تكونوا تبدؤن بالسلام . الم تكن تقضى لكم الحوايج لا اجر لكم فقد استوفيتم اجوركم * فاجتهد ان أردت الخلاص ان يكون الناس عندك كالبهايم والصبيان فلا تفرق في عبادتك بين وجودهم وعدمهم وعلمهم بها أو غفلتهم عنها * وتقنع بعلم الله تعالى وحده وتطلب الاجر منه فانه لا يقبل الا الخالص كي لا تحرم عن فائدته في أحوج أوقاتك اليه *

﴿ فصل ﴾

لعلك تقول ما اقدر على انفكاك الرياء الخفي كما وصفته وان قدرت على الرياء الجلي فهل تنعقد عبادتي مع ذلك ﴿ فاعلم ﴾ ان وارد الرياء لا يخلو اما ان يرد مع اول العمل او في دوامه او بعد الفراغ منه اما ما يقارن الابتداء فيبطله ويمنع انعقاده ان صار باعثا مؤثرا في الحمل على العمل بل اول العقد يجب ان يكون خالصا وانما يبطل بالرياء الباعث على اصل العمل

واما اذا لم يحمل الا على المبادرة فى اول الوقت مثلا فأظن
والعلم عند الله تعالى ان اصل الصلاة يصح وانما تفوته فضيلة
المبادرة ويعصى بقصد المراياة به ولـكن يسقط الفرض عنه
واما مايرد في دوام الصلاة ان ابطل باعث الصلاة فتبطل الصلاة
مثاله ان يحضر في اثناء الصـلاة أو طاره أو يتذكر نسيان شيء
ولو خلا لقطع الصلاة لـكنه اتمّ حياء من الناس * فهذا لا يسقط
الفرض عنه لان النية قد انقطعت وانقطع باعث العبادة * واما
اذا لم تنقطع نيتـه لـكن صار مغلوبا مغمورا كما لو حضر قوم
فغلب على قلبه الفرح باطلاعهم وانغمر باعث العبادة فغالب
الظن انه ان انقضى ركن ولم يعاوده الباعث الاصلي فسدت
صلاته لانا نستصحب نية البداية بشرط ان لا يطرء مالو قارن
ابتداءها لمنع وان لم ينغمر باعث العبادة ولـكن حصل مجرد
سرور ولم يؤثر فى العمل بل فى تحسين الصلاة فقط فغالب
الظن ان الصـلاة لا تفسد ويتأدّى الفرض * واما ما يطرء
بعد الصلاة من ذكر وسرور ومراياة فلا ينعطف على مامضى
ولـكن يعصى به ويأثم ويكون عقابه بقدر قصده واظهاره

ومهما ظهرت له داعية ذكر العبادة اما بالتصريح واما بالتعريض فذلك يدل على ان الرياء كان خفيا في باطنه *

﴿ فصل ﴾

اذا عرفت حقيقة الرياء وكثرة مداخلته فعليك بالتشمر في معالجته * وعلاجه في دفع الاسباب الباعثة عليه ﴿وهي ثلاث﴾ حب المدح وخوف الذم والطمع ﴿أما حب المدح﴾ كمن يهجم على صف القتال ليقال انه شجاع * او يظهر العبادات ليقال انه ورع * وعلاجه ما تقدم في علاج حب الجاه وهو ان تعلم انه كمال وهمي لا حقيقة له * وعلاجه في الرياء خاصة ان يقرر على نفسه ما فيه من الضرر فان العسل وان كان لذيذا فاذا علم ان فيه سما سهل تركه فليقرر على نفسه انه يقال له في يوم فقره بسبب ريائه ﴿يا فاجر يا غاوي﴾ استهزأت بالله عز وجل وراقبت العباد وتحببت اليهم [1] واشتريت حمدهم بذم الله تعالى وطلبت رضاءهم بسخطه * أما كان احد اهون عليك من الله تعالى فلو لم يكن الا هذا الخزي والخجلة لكان كافيا في المنع

(١) وفي النسخة العراقية وتحببت اليهم *

عنه كيف وقد انضم اليه العقوبة واحباط العبادة وانه ربما
يترجح به كفة السيئات بعد ان قارنت كفة الحسنات
فيكون سبب هلاكه وليقرر على نفسه ان رضى الناس غاية
لاتدرك ومن طلب رضى الناس بسخط الله تعالى اسخطهم
الله عليه فكيف يترك رضى الله بما لا يطمع في حصوله ﴿ واما
الباعث الثاني﴾ وهو الخوف من ذمهم فيقرر على نفسه ان ذمهم
لن يضره ان كان محمودا عند الله عز وجل ولم يتعرض لذم الله
ومقته خوفا من ذم الخلق* ويكفيه ان الناس لو علموا ما في
باطنه من قصد الرياء لمقتوه ويأبى الله الا ان يكشف سره
حتى يعرف نفاقه فيمقته الناس ايضا بعد ان يمقته الله عز وجل
ولو اخلص واعرض بقلبه عنهم وجرد نظره الى الله تعالى
لكشف لهم اخلاصه له واحبوه ﴿واما باعث﴾ الطمع فيدفعه
بان يعلم ان ذلك امر موهوم وفوات رضى الله تعالى ناجز
ويعلم ان الله تعالى هو المسخر للقلوب وان من طمع في الخلق
لم يخل عن الذل والمهانة والمنة* ومن اعرض عن الطمع في الخلق
كفاه الله تعالى وسخر له القلوب* فاذا أحضر في قلبه نعيم

الآخرة والدرجات الرفيعة وعلم ان ذلك يفوت بالرياء اعرض قلبه عن الخلق واجتمع همه وفاضت عليه انوار الاخلاص وأمده الله سبحانه بمعونته وتوفيقه *

﴿ فصل ﴾

لعلك تقول اني قرّرت هذا كله على نفسى * ونفر عن الرياء قلبي ولكن ربما هجم عليّ وارد الرياء بغتة في بعض العبادات عند اطلاع الخلق فما العلاج عنه عند هجومه ﴿ فاعلم ﴾ ان اصل هـذا العلاج ان تخفي عبادتك كما تخفي فواحشك ففيه السلامة * روي ان بعض اصحاب ابى حفص الحداد ذمّ الدنيا واهلها فقال له اظهرت ماكان سبيلك ان تخفيه لا تجالسنا بعد هذا * واخفاء العبادة انما يشق فى البداية فاذا صار عادة ألف الطبع لذة المناجات في الخلوة * ومهما هجم وارد الرياء فعلاجه ان تجدّد على قلبك مارسخ فيه من قبل من المعرفة بالتعرض لمقت الله عز وجل مع عجز الناس عن منفعتك ومضرّتك حتى تنبعث منه كراهية لداعية الرياء * ثم الشهوة تدعو الى اجابة الرياء بتحسين العمل والفرح به * والكراهية تدعو الى

رده والاعراض عنه وتكون اليد للاقوى * فان قويت الكراهية حتى منعتك من الركون اليه واستصحبت حالتك التي كنت عليها فلم تزد ولم تنقص ولم تتكلف اظهار الفعل وايثاره فقد اندفع عنك الاثم ولم تكلف اكثر من ذلك * واما دفع الخواطر ودفع الطبع عن الميل الى اقوال الناس فلا يدخل تحت التكليف وانما منتهى التكليف الكراهية والاباء عن اجابة الداعية

﴿ فصل ﴾

يجوز اظهار الطاعات لاجل اقتداء الناس وترغيبهم اذا صحت النية ولم يكن معه شهوة خفية * وعلامته ان يقدر أن الناس لو اقتدوا باحد اقرانه وكُفِيَ مؤنة الترغيب وأخبر بان أجره في الاسرار كاجره في الاظهار فلا يرغب في الاظهار * فان كان ميله الى ان يكون هو المقتدى به اكثر ففيه داعية الرياء لانه ان كان يطلب سعادة الناس وخلاصهم فقد حصل ذلك بغيره ولم يفته الا اظهار نفسه — وكذلك يجوز كتمان المعاصي والذنوب ولكن يشرط ان يكون غرضه ان لا يُعتقد فيه الورع بل لا يعتقد فيه الفسق ولا بأس بفرحه باستتار معاصيه وحزنه

بانكشافها اما فرحا بستر الله عليه واما فرحا بموافقة امر الله
تعالى فانه تعالى يحب كتمان المعاصي وينهى عن المجاهرة بها
واما لانه يكره ان يذم فيتألم به اذ التألم بذم الناس ليس
بحرام بل يوجبه الطبع * وانما الحرام الفرح بمدح الناس اياه
بالعبادة فان ذلك كاجر يأخذه على العبادة * واما لانه يخاف
ان يقصد بسوء اذا عرفت معصيته * واما لانه يستحي من
ظهورها والحياء غير الرياء ولكن قد يمتزج به * واما ترك
الطاعة خوفا من الرياء فلا وجه له * قال الفضيل الرياء ترك
العمل خوفا من الرياء* اما العمل لاجل الناس فهو شرك بل
ينبغي ان يعمل ويخلص الا اذا كان العمل في ما يتعلق بالخلق
كالقضاء والامامة والوعظ *فاذا علم من نفسه انه بعد الخوض
فيه لا يملك نفسه بل يميل الى دواعي الهوى فيجب عليه
الاعراض والهرب كذلك فعل جماعة من السلف * واما
الصلوة والصدقة فلا يتركها الا اذا لم تحضره أصلا نية العبادة
بل لو تجرد نية الرياء فلا يصح عمله فليتركه* اما من اعتاد فعله
فحضر جماعة فيخاف على نفسه الرياء فلا ينبغي ان يتركه بل

ينبغي ان يستمر على عبادته ويجتهد في دفع باعث الرياء *

﴿ خاتمة في مجامع الاخلاق ومواقع الغرور فيها ﴾

اعلم ان الاخلاق المذمومة كثيرة ولكن ترجع اصولها الى ماذكرناه * ولا يكفيك تزكية النفس عن بعضها حتى تتزكى عن جميعها ولو تركت واحدا منها غالبا عليك فذلك يدعوك الى البقيـة لان بعض هـذه يرتبط بالبعض ويتقاضى بعض الاخلاق الذميمة بعضا ولا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم والسلامة المطلقة لا تنال بدفع بعض الامراض بل انما تنال بالصحة المطلقة كما أنّ الحسن لايحصل بحسن بعض الاعضاء مالم يحسن جميع الاطراف والنجاة في حسن الخلق * قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ أثقل مايوضع في الميزان خلق حسن ﴾ وقد قال النبي عليـه السلام ﴿ بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ﴾ وقيل له ما الدين قال عليه السلام ﴿ الخُلق الحسن ﴾ وقال عليه السلام حسن الخلق خلق الله تعالى * وقال عليه السلام أفضل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا * وقد كثرت الاقاويل في حقيقته وبيان حده * والاكثرون تعرضوا لبعض ثمراته ولم يحيطوا

بجميع تفصيله والذى يطلعك على حقيقته ان تعلم ان الخلق والخلق عبارتان فيراد بالخلق الصورة الظاهرة وبالخلق الصورة الباطنة وذلك لان الانسان مركب من جسد يدرك بالبصر * ومن روح ونفس يدرك بالبصيرة لا بالبصر * ولكل واحد منهما هيئة إما قبيحة وإما حسنة * والنفس المدركة بالبصيرة اعظم قدرا ولذلك اضافه الله عز وجل الى نفسه واضاف البدن الى الطين فقال ﴿ اني خالق بشرا من طين فاذا سوّيته ونفخت فيه من روحي ﴾ ووصف الروح بأنه أمر ربانى فقال ﴿ قل الروح من أمر ربي ﴾ واعني بالرّوح والنفس ههنا معنى واحدا وهو الجوهر العارف المدرك من الانسان بالهام الله تعالى كما قال ﴿ ونفس وماسواها فالهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾ وكما ان للحسن الظاهر اركانا كالعين والانف والفم والخد ولا يوصف الظاهر بالحسن مالم يحسن جميعها * فكذلك الصورة الباطنة لها أركان لا بد من حسن جميعها حتى يحسن الخلق وهي أربعة معان * قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة * وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث فاذا استوت

هذه الاركان الاربعة واعتدلت وتناسقت حصل حسن الخلق
﴿ أما قوّة العلم ﴾ فاعتدالها وحسنها أن تصير بحيث يدرك بها
الفرق بين الصدق والكذب في الاقوال وبين الحق والباطل
فى الاعتقادات وبين الجميل والقبيح فى الاعمال * فاذا انحصلت
هذه القوة كذلك حصلت منها ثمرة الحكمة وهي رأس
الفضايل قال الله عز وجل ﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتى
خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب ﴾ واما قوة الغضب
فاعتدالها ان يحصل انقباضها وانبساطها على موجب اشارة
الحكمة والشرع — وكذلك قوة الشهوة * وأما قوة العدل فهى
فى ضبط قوة الغضب * وقوة الشهوة تحت اشارة الدين
والعقل فالعقل منزلته منزلة الناصح * وقوة العدل هى القدرة
ومنزلتها منزلة المنفذ الممضى لاشارة العقل والغضب والشهوة
وهما اللذان تنفذ بهما الاشارة وهما كالكلب والفرس للصياد *
فان حسن بعض هذه دون بعض كان كما لو حسن بعض
أعضاء الوجه فلا يطلق اسم الحسن له الا اذا حسن الجميع واعتدل
فاذا حسنت واعتدلت انشعب منه جميع الاخلاق * وأما قوة

الغضب فيعبر عن اعتدالها بالشجاعة والله تعالى يحب الشجاعة وان مالت الى طرف الزيادة سميت تهورا وان مالت الى النقصان تسمى جبنا ويتشعب من اعتدالها خلق الكرم والنجدة والشهامة والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتُّؤَدَة (١) وأما افراطها فيحصل منه خلق التهور والصلف (٢) والبذخ والاستشاطة (٣) والكبر والعجب * وأما تفريطها فيحصل منه الجبن والمهانة والذلة والخساسة وعدم الغيرة وضعف الحمية على الاهل وصغر النفس * وأما الشهوة فيعبر عن اعتدالها بالعفة وعن افراطها بالشره وعن تفريطها وضعفها بالخمود فيصدر من العفة السخاء والحياء والصبر والسماحة والقناعة والورع والمساعدة والظرف وقلة الطمع * ويصدر عن افراطها الحرص والشره والوقاحة والتبذير والتقتير (٤) والرياء والهتكة والمجانة والملق والحسد والشماتة والتذلل للاغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك

---

(١) والتؤدة بفتح الهمزة وسكونها الرزانة والتأني (٢) التكلم بما يكرهه صاحبك والتمدح بما ليس عندك (٣) واستشاط عليه التهب غضباً (٤) الوقاحة بالفتح قلة الحياء * وقتر من باب قتل أى ضيق على عياله

﴿وأما قوة العقل﴾ فيصدر من اعتدالها حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الرأي واصابة الظن والتفطن لدقايق الأعمال وخفايا آفات النفس * وأما افراطها فيحصل منه الجربزة والدهاء والمكر والخداع * ويحصل من تفريطها وضعفها البله والحمق والغمارة[1] والبلادة والانخداع — فهذه هي روابط الاخلاق * وانما معنى حسن الخلق في الجميع وسط بين الافراط والتفريط فخير الامور أوساطها * وكلا طرفي قصد الامور ذميم ولذلك قال عز وجل ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ﴾ وقال تعالى ﴿ والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ﴾ وقال تعالى ﴿ اشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ ومهما مال واحد من هذه الجملة الى الافراط والتفريط فبعد لم يكمل حسن الخلق *

## فصل

طريق اصلاح هذه الاخلاق كلها المجاهدة والرياضة * ومعنى المجاهدة ان يكلف الصفة المفرطة الغالبة خلاف مقتضاها

(١) الغمر الحقد وزنا ومعنى * ورجل غمر لم يجرّب الامور

فتعمل بنقيض موجبها* فان غلب البخل فلا تزال تتكلف البذل
بالمجهود وتداوم عليه مرة بعد اخرى حتى يسهل عليك البذل
في محله فان غلب التبذير فلا تزال تتكلف الامساك حتى يصير
عادة فيسهل عليك الامساك في محله * وكذلك في خلق الكبر
وساير الاخلاق * وقد ذكرناه في كتاب رياضة النفوس على
التفصيل * وينبغي ان تعلم ان من يبذل تكلفا فليس بسخيّ *
وان من يتواضع تكلفا فهو ثقيل على نفسه وهو عاطل عن خلق
التواضع بل الخلق عبارة عن هيئة للنفس يصدر عنها الفعل
بسهولة من غير رويّة وتكلف لكن التكلف هو طريق تحصيل
الخلق فانه لا يزال يتكلف أوّلا حتى يصير ذلك طبعا وعادة
فيفهم من هذا ان البخيل قد يبذل وأن السخيّ قد يمسك * فلا
تنظر الي الفعل بل الى الهيئة الراسخة التي تصدر منها الافعال
بيُسْرٍ من غير تكلف ﴿ واعلم ﴾ ان تفاوت الناس في الحسن
الباطن كتفاوتهم في الحسن الظاهر ولن يسلم الحسن المطلق
الا على الندور * وانما سلم ذلك لرسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى أثنى الله سبحانه عليه فقال ﴿ وانك لعلى خلق

عظيم ﴾ وليست النجاة موقوفة على الكمال البالغ لكن على ان يكون الميل الى الحسن أكثر * فان القبيح المطلق في الظاهر ممقوت * والحسن المطلق معشوق وما بينهما درجات فالقريب من الحسن المطلق اسعد في الدنيا من القريب الى القبيح المطلق * وكذلك يتفاوت سعادة الآخرة بحسب تفاوت حسن الصورة الباطنة *

﴿ فصل ﴾

اعلم انك قد تظن بنفسك حسن الخلق وانت عاطل عنه فاياك ان تغتر * وينبغي ان تحكم فيه غيرك فتسئل عنه صديقا بصيرا لا يداهنك * وبالجملة اذا نسبك غيرك الى سوء الخلق اوشك ان تكون كذلك لان اكثر الاخلاق يتعلق بالغير فينبغي ان تظهر لهم * ومن مواقع الغرور فيه مثلا ان تغضب فتظن انك تغضب لله تعالى * وتظهر العبادة وتظن انك تظهر للاقتداء او تكف عن الأكل او عن طلب الدنيا او تكظم الغيظ * وانما يهون عليك ذلك ان تعرف به فيكون الرياء الباعث على الجميع * وكذلك يكثر مواقع الغرور

فيه على ماذكرناه في كتاب الغرور * فان هذا الكتاب
لا يحتمل استقصائه *

## ﴿ فصل ﴾

ينبغى ان تتفقد هذه الاخلاق من قلبك وتبدأ بالأهم
فالاهم فتقبِل على أغلب هذه الصفات فتكسرُها على التدريج
وأظن ان الاغلب عليك حب الدنيا * وساير المعاصى والاخلاق
المذمومة تتبعها * ولا يمكنك الخلاص من حب الدنيا الا بان
تطلب خلوة خالية وتتفكر فى سبب اقبالك على الدنيا واعراضك
عن الآخرة * فلا تجد له سببا الا محض الجهل والغفلة * فان
أقصى عمرك في الدنيا مائة سنة * فهب ان مملكة وجه الارض
تسلم لك من المشرق الى المغرب فىماية سنه أليس يفوتك
بها المملكة فى مدة لاآخر لها وهى مملكة الآخرة * فان كان
لا يدخل فى خيالك طول الابد * فقدّر الدنيا كلها مملوة ذُرة
فقدّر طايرا يأخذ في كل الف الف سنة حبة واحدة فتفني
الذرة ولم ينقص من الابد شيء لان الباقي أيضاً لانهاية له
كما كان قبل ذلك * وانت ترى نفسك ترضى بتعب الاسفار إمّا

فى تجارة او طلب رياسة * وهـذا التعب الناجز لاجل شيء
موهوم ربما يدركك الموت قبله وربما لا يصفو لك ان ظفرت
به وانما ترضى بذلك لانك تستحقر التعب سنة مثلا بالاضافة
الى بقية العمر * وجملة عمرك بالاضافة الى الابد اقل من سنة
بالاضافة الى عمرك بل لا اضافة بينهما * فتفكر فيه لينكشف لك
جهلك على القرب * ولعلك تقول انما أفعل ذلك على توقع
العفو فان الله تعالى كريم رحيم * فأقول و لم لا تترك الحراثة
والتجارة وطلب المال على توقع العثور على كنز فى خراب فان
الله كريم لا ينقص من ملكه شيء لو عرّفك في منامك كنزا
من الكنوز حتى تأخذه ﴿فان قلت﴾ ذلك نادر وان كان داخلا
في قدرة الله تعالى ﴿فاعلم﴾ أن توقع العفو مع خراب الاعمال
والاخلاق كتوقع كنز فى خراب بل أبعد منه وأندر * وقد
نبهك الله تعالى عليه وقال ﴿وأن ليس للانسان الا ماسعى﴾
وقال الله تعالى ﴿أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
كالمفسدين فى الارض﴾ الآية ورغّبك عن طلب المال فقال
الله تعالى ﴿وما من دابة في الارض الا على الله رزقها﴾ فما

بالك تكذب بكرمه في الدنيا ولا تتكل عليه * ثم تخدع نفسك
بالكرم في الآخرة وأنت تعلم أن رب الدنيا والآخرة واحد

## فصل

لعلك تقول عواقب أمور الدنيا قد انكشف لي بالعيان واطمأن
قلبي اليها * وأما أمر الآخرة فلم أشاهده ولست أجد تصديق
الحقيقي في قلبي * فلذلك فترت رغبتي في ترك الدنيا نقداً بما هو
موعود نسيئة ولست أثق به ﴿فأقول﴾ لو كنت من أرباب
البصائر لانكشف لك أمر الآخرة صريحاً كما انكشف أمر
الدنيا * واذا لم تكن من أهله فتفكر من أقاويل أرباب البصائر
فان الناس في أمر الآخرة أربعة أصناف ﴿صنف﴾ أثبتوا الجنة
والنار كما ورد به القرآن * وقد سمعت أنواع نعيمها وأنكال
جحيمها ﴿وصنف﴾ لم يثبتوا اللذات والآلام الحسية بل أثبتوهما
على سبيل التخيل كما في المنام حتى يكون كل واحد في جنة
أو نار يراها وحده * وزعموا أن تأثير ذلك فيه كتأثير الحقيقة
لان تألم النائم كتألم اليقظان وانما يخلص عنه بالتنبه * وذلك
في الآخرة دائم لا انقطاع له ﴿وصنف﴾ ثالث أثبتوا آلاما

عقلية ولذات عقلية * وزعموا أن ذلك أعظم من الحسية* ومثلوا
ذلك باستشعار لذة الملك واستشعار زوالها * فان زوال الملك
يوثر آلاما كثيرة بدنية على مايظفر به عدوه ويأخذ مملكته
ويستسخره مع ان ظفر العدو لا يولم البدن* وهؤلاء هم أصناف
النظار أعنى الاصناف الثلاثة وهم الانبياء والاولياء والحكماء
وكلهم اتفقوا على اثبات سعادة مؤبدة وشقاوة مؤبدة *
فان السعادة لا تنال إلا بترك الدنيا والاقبال على الله عزّ
وجلّ * ولو مرضت ولم تكن من أهل البصيرة في طب
ورأيت أفاضل الاطباء قد اتفقوا على شيء لم تتوقف في
اتّباعهم ﴿ وصنف رابع ﴾ ليسوا من النظار فى الامور
الالهية بل من الاطباء والمنجمين اقتصر نظرهم على الطبايع
الاربع ومزاجها * ورأوا قِوام الروح موقوفا عليها ولم يتفطنوا
لحقيقة الروح الالهيّ الحقيقى الذي هو العارف بالله تعالى بل
لم يدركوا الا الروح الجسماني الذي هو بخار أنضجته حرارة
القلب ينتشر في العروق الضوارب الى جميع البدن فيقوم به
الحس والحركة وهى الروح التى توجد للبهائم أيضاً ﴿ فأما الروح

الخاص الانساني) المنسوب الى الله سبحانه حيث قال (ونفخت فيه من روحي) فلم يتفطنوا لها فظنوا أن الموت عدم * وأنه يرجع الى فساد المزاج وأنت في حق هؤلاء بين أمرين * إما أن تجوّز غلطهم أو تعلم قطعا صحة قولهم فان جوزت خطاءهم لزمك الاعراض عن الدنيا بمجرد الاحتمال فانك لو كنت صادق الجوع وظفرت بطعام وهممت بأكله فاخبرك صبي أن فيه سماً وأن حية ولغت فيه قاسيت الجوع وتركت الاكل لانك تقول ان كان كاذبا فليس تفوتني الا لذة الاكل * وان كان صادقا ففيه الهلاك * وبمثل هذا الاحتمال لا يمكن الهجوم عليه فليت شعري مع احتمال الخلود في النار كيف يستجر[1] العاقل الهجوم عليه فكيف لا يكون كاليقين التام في الحذر منه حتى تنبه الشاعر عليه مع ركاكة عقله فقال *

زعم المنجم والطبيب كلاهما * لا تحشر الاموات قلت اليكما
ان صح قولكما فلست بخاسر * ان صح قولي فالخسار عليكما

فان قلت اني أعلم ضرورة صدق هؤلاء فان الموت عدم وأنه

(١) وفى النسخة الدمشقية كيف تستحقر العاقل الخ

لا عقاب ولا ثواب فان الانبياء والاولياء مغرورون أو ملبّسون وانما الذي انكشفت له حقيقة الحق هو هذا الطبيب الجاهل وزعمت انى أعلم ذلك كما أعلم أن الاثنين أكثر من الواحد حتى لا يخالجنى فيه ريب * فيدل هذا على فساد المزاج وركاكة العقل والبعد عن قبول العلاج * ولكن مع هذا يقال لك ان كنت تطلب الراحة فى الدنيا فقد يتقاضاك عقلك أيضا مجاهدة الشهوات وكسرها * فان الراحة فى الحرية والخلاص عن كسر الشهوات لا في اتباعها * فانها اذا سلطت على النفس فهى آلام ناجزة تحمل النفس على احتمال كل ذلّ ومشقة وما المستريح في الدنيا الا تاركها والزاهد فيها * وأما طالبها فلا يزال منها فى عناء * فالمعطل أيضا ان عقل قليلا ترك الدنيا لكثرة عنائها وسرعة فنائها وخسة شركائها * فان لم تكن في أمر الآخرة على تخمين ولا من مشاهدة آفات الدنيا على يقين فما أنت الا من الحمقى المغرورين ولتعلمُنّ نبأه بعد حين ولذلك قال الله تعالى * ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون *

﴿ القسم الرابع في الاخلاق المحمودة وهي أيضا عشرة أصول ﴾

﴿ الاصل الاول ﴾

التوبة فانها مبدأ طريق السالكين ومفتاح سعادة المريدين قال الله تعالى ﴿ ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ وقال الله تعالى ﴿ وتوبوا الى الله جميعا ﴾ وقال النبي عليه السلام ﴿ التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ﴾ وقال عليه السلام اَللهُ أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في أرض فلاة دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فانفلتت فطلبها حتى اشتد عليه الجوع والعطش أو ما شاء الله عز وجل قال ارجع الى مكان الذي كنت فيه فانام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده وعليها زاده وشرابه * فالله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن من هذا براحلته وزاده *

﴿ فصل ﴾

حقيقة التوبة الرجوع عن طريق البعد الى طريق القرب

ولكن لها ركن ومبدأ وكمال ﴿أما مبدءها﴾ فهو الايمان ومعناه سطوع نور المعرفة على القلب حتى يتضح فيه أن الذنوب سموم مهلكة فيشتعل منه نار الخوف والندم وينبعث من هذه النار صدق الرغبة في التلافي والحذر * اما في الحال فبترك الذنوب * واما في الاستقبال فبالعزم على الترك * واما في الماضي فبالتلافي على حسب الامكان وبذلك يحصل الكمال

## فصل

اذا عرفت حقيقة التوبة انكشف لك انها واجبة على كل أحد وفي كل حال ولذلك قال الله تعالى ﴿وتوبوا الى الله جميعا﴾ فخاطب الجميع مطلقا * أما وجوبها فلان معناها معرفة كون الذنوب مهلكة والانبعاث لتركها وهو جزء من الايمان أعني هذه المعرفة فكيف لا تجب * وأما وجوبها على كل واحد فهو أن الانسان مركب من صفات بهيمية وسبعية وشيطانية وربوبية حتى يصدر من البهيمية الشهوة والشره والفجور * ومن السبعية الغضب والحسد والعداوة والبغضاء * ومن الشيطانية المكر والحيلة والخداع * ومن الربوبية الكبر والعز وحب

المدح والاستيلاء * وأصول هذه الاخلاق هذه الاربع * وقد عجنت في طينة الانسان عجنا محكما لا يكاد يتخلص منها * وانما ينجو من ظلماتها بنور الايمان المستفاد من العقل والشرع فأول ما يخلق في الآدمى البهيمية فيغلب عليه الشره والشهوة في الصبا * ثم يخلق فيه السبعية فيغلب عليه المعاداة والمنافسة * ثم يخلق فيه الشيطانية فيغلب عليه المكر والخداع اذ تدعوه السبعية والبهيمية الى ان يستعمل كياسته في حيل قضاء الشهوة وتنفيذ الغضب * ثم يظهر فيه بعد ذلك صفات الربوبية وهو الكبر والاستيلاء وطلب العلو * ثم بعد ذلك يخلق العقل الذي يظهر فيه نور الايمان وهو من حزب الله وجنود الملائكة وتلك الصفات من جنود الشيطان * وجنود العقل يكمل عند الاربعين ويبدو أصله عند البلوغ * وأما سائر جنود الشيطان يكون قد سبق الى القلب قبل البلوغ واستولى عليه وألفته النفس واسترسلت في الشهوات متابعة لها الى أن يرد نور العقل فيقوم القتال والتطارد بينهما في معركة القلب * فان ضعف جند العقل ونور الايمان لم يقو على ازعاج

جنود الشيطان فتبقى جنود الشيطان مستقرة آخراً كما سبق الى النزول أولا * وقد سلم للشيطان مملكة القلب وهذا القتال ضروري في فطرة الآدمى إذلا يتسع له خلقة الولد لما لا يتسع له خلقه الاب * وانما حكي لك حال آدم صلوات الله عليه لتتنبه به أن ذلك كان مكتوبا عليه وهو مكتوب على جميع أولاده في القضاء الازلي الذي لا يقبل التبديل * فاذاً لا يستغنى أحد عن التوبة *

## فصل

وأما وجوبها في كل حال فلان الانسان لا يخلو فى جميع أحواله عن ذنب فى جوارحه أو في قلبه ولا يخلو عن خلق من الاخلاق الذميمة مما يجب تزكية القلب عنه فانه مبعد عن الله والاشتغال بأماطته توبة لانه رجوع عن طريق البعد الى طريق القرب فان خلا عن جميع ذلك فلا يخلو عن غفلة عن الله وذلك أيضا طريق البعد * ويلزمه الرجوع عنه بالذكر ولذلك قال الله تعالى ﴿ واذكر ربك اذا نسيت ﴾ وان كان حاضراً على الدوام * وأنى يتصور ذلك فلا يخلو عن ملازمة

مقام نازل عن المقامات الرفيعة وراءه * وعليه أن يترقى منه الى مافوقه ومهما ترقى منه استغفر عن مقامه الذي خلفه لانه تقصير بالاضافة الى ما أدركه وذلك لانهاية له * فلذلك قال عليه السلام وانه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله تعالى في اليوم والليلة سبعين مرة * وكل ذلك كان توبة منه الا أن توبة العوام عن الذنوب الظاهرة * وتوبة الصالحين عن الاخلاق الذميمة الباطنة وتوبة المتقين عن مواقع الريبة * وتوبة المحبين عن الغفلة المنسية للذكر * وتوبة العارفين عن الوقوف على مقام يتصور أن يكون وراءه مقام * والمقامات في القرب من الله لا نهاية لها فتوبة العارف لانهاية لها أيضا *

## ﴿ فصل ﴾

التوبة اذا اجتمعت شرائطها فهي مقبولة لامحالة ولا يخفى عليك ذلك ان فهمت معنى القبول * فمعنى القبول أن يحصل في قلبك استعداد القبول لتجلي أنوار المعرفة في القلب * وانما قلبك كالمرآة يحجبه عن التجلى كدورات الشهوة والرغبة فيها ويرتفع من كل ذنب ظلمة اليه * ومن كل حسنة نور اليه * فالحسنات تصقل

النفس * ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ اتّبع السيئة الحسنة تمحها﴾ ونسبة التوبة الى القلب نسبة الصابون الى الثوب ولا بد أن يزول منه الوسخ اذا استعمل فيه على وجهه *ومن تاب فانما يشك في قبول التوبة لانه ليس يستيقن تمام شروطها كما ان من شرب المسهل لا يستيقن حصول الاسهال به لانه لا يدري وجود تمام الشرائط في أدويتها ولو تصور أن يعلم ذلك لتصوّر أن يعلم القبول في حق الشخص المعين * ولكن هذا الشك في الاعيان لا يشككنا فى أن التوبة فى نفسها بطريق القبول لا محالة *

﴿ فصل ﴾

علاج التوبة حل عقدة الاصرار فانه لا مانع منها سوى الاصرار * ولا حامل عليه سوى الغفلة والشهوة * وذلك مرض فى القلب * وعلاجه كعلاج أمراض البدن لكن هذا المرض أكثر من مرض الابدان لثلاثة أسباب ﴿ أحدها ﴾ انه من مرض لا يعرف صاحبه أنه مريض وهو كبرص على وجه من لا مرآة له فانه لا يعالجه لانه لا يعرفه ولو أخبره غيره

ربما لم يصدقه ﴿الثاني﴾ أن عاقبة هذا المرض لم يشاهدها الانسان ولم يجربها * فلذلك تراه يتكل على عفو الله ويجتهد فى علاج مرض البدن غاية الجهد ﴿الثالث﴾ وهو الداء العضال فقد الاطباء * فان الطبيب هو العالم العامل * وقد مرض العلماء في هذه الاعصار مرضا عسر عليهم علاج أنفسهم لان الداء المهلك هو حب الدنيا وقد غلب ذلك على العلماء واضطروا الى الكف عن تحذير الخلق من الدنيا كيلا تنكشف فضيحتهم فافتضحوا لما اصطلحوا على الاقبال على الدنيا والتجاذب لها والتكالب عليها * فبهذا السبب عم الداء وانقطع الدواء * واشتغل الاطباء بفنون الاغواء فليتهم اذا لم يصلحوا لم يفسدوا * وليتهم سكتوا وما نطقوا بل صار كل واحد كانه صخرة فى فم الوادي لاهي تشرب ولا تترك الماء ليشربه غيرها * وجملة القول فى علاجه أن تنظر فى سبب الاصرار وهو يرجع الى خمسة أبواب ﴿أولها﴾ أن العقاب الموعود ليس بنقد والطبع يستهين بما لا يوجد محققا

---

نعم ما قال بعض الشعراء فيما له مناسبة بهذا البحث

يامعشر القراء ياملح البلد * ما يصلح الملح اذا الملح فسد

في الحال* وعلاجه أن تتفكر لتعلم أن كل ما هو آت قريب وأن البعيد ماليس بآت *وأن الموت أقرب الى كل أحد من شراك نعله فما يدريه لعله فى آخر أيامه أوفى آخر سنة من عمره ثم يتفكر انه كيف يتعب فى الاسفار فيركب الاخطار خوفا من الفقر في الاستقبال ﴿ الثانى ﴾ ان اللذات والشهوات أخذت بمخنقه في الحال فليس يقدر على قلعها *وعلاجه ان يتفكر انه لو ذكر له طبيب نصرانى بان شرب الماء البارد يضره ويسوقه الى الموت وهو ألذ الاشياء عنده كيف يتركه * فليعلم ان الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم أصدق من الطبيب النصرانى*والخلود فى النار أشد من الموت بالمرض وليقرر على نفسه انه اذا كان يشق عليه ترك اللذات أياما قلائل فكيف لا يشق عليه ملابسة النار والحرمان عن الفردوس ونعيمه أبد الدهر ﴿ الثالث ﴾ انه يسوّف بالتوبة يوما فيوما وعلاجه ان يتفكر ويعلم ان بناء خطر السعادة والشقاوة على ماليس اليه جهل فمن أين يعلم انه يبقى الى ان يتوب *وان أكثر صياح أهل النار من التسويف لانهم سوّفوا حتى

فاجأهم مرض ساقهم الى الموت كيف وانما يسوف لانه يعجز
عن قمع الشهوات فى الحال فان كان ينتظر يوماً يسهل فيه قمع
الشهوات فهذا يوم لم يخلق أصلا * بل مثاله مثال إمرئ يريد ان
يقلع شجرة عجز عنها لضعفه وقوة رسوخ الشجرة فيوخر
الى السنة القابلة وهو يعلم ان الشجرة تزداد كل يوم رسوخاً
وقوته تزداد كل يوم قصورا ونقصانا وذلك غاية الجهل
﴿ الرابع ﴾ أن يعد نفسه بالكرم والعفو وذلك غاية الحمق
اوردها الشيطان فى معرض الدين * قال النبي صلى الله عليه
وسلم ﴿ الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من
أتبع نفسه هواها وتمنى على الله تعالى ﴾ ﴿ الخامس ﴾ ان يكون
والعياذ بالله شاكا فى أمر الآخرة * وقد ذكرنا علاجه فى
خاتمة الاخلاق الذميمة *

﴿ فصل ﴾

التوبة من الذنوب كلها مهمة واجبة وعن الكبائر اهم
والاصرار على الصغيرة أيضاً كبيرة فلا صغيرة مع أصرار
ولا كبيرة مع رجوع واستغفار * وتواتر الصغاير عظيم التأثير

في تسويد القلب وهو كتواتر قطرات الماء على الحجر فانه يحدث فيه حفرة لا محالة مع لين الماء وصلابة الحجر * وتعظم الصغيرة باسباب ﴿ احدها ﴾ ان يستصغرها العبد ويستهين بها فلا يغتم بسببها * قال بعضهم الذنب الذى لا يغفر قول العبد ليت كل شيء عملته مثل هذا ﴿ الثاني ﴾ السرور بها والتبجح بسببها واعتقاد التمكن منها نعمة حتى ان المذنب ليفتخر فيقول ماراأيتني كيف شتمته وكيف مزقت عرضه وكيف خدعته في المعاملة وذلك عظيم التأثير في تسويد القلب ﴿ الثالث ﴾ ان يتهاون بستر الله عليه ويظن ان ذلك لكرامة عند الله تعالى ولا يدري انه ممقوت * وقد أمهل ليزداد اثما فيكون في الدرك الاسفل من النار ﴿ الرابع ﴾ ان يجاهر بالذنب ويظهره او يذكره بعد فعله * وفي الخبر كل الناس معافي الا المجاهرون ﴿ الخامس ﴾ أن يصدر الصغيرة عن عالم يقتدى به فذلك عظيم لانه يبقى بعد موته * فطوبى لمن مات وماتت معه ذنوبه * ومن سنّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة * وروي ان بعض علماء بني اسرائيل تاب

عن ذنوبه وبدعته فاوحى الله الى نبيّ زمانه ان ذنبك لو كان فيما بيني وبينك لغفرته لك ولكن كيف بمن أضللت من عبادى فادخلتهم النار * وعلى الجملة فلا باعث على التوبة الا الخوف الصادر عن البصيرة والمعرفة * فلنذكر فضيلة الخوف *

﴿ الاصل الثاني في الخوف ﴾

وقد جمع الله تعالى للخائفين الهدى والرحمة والعلم والرضوان وناهيك بذلك فضلا فقال تعالى ﴿ هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون ﴾ وقال ﴿ انما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ وقال الله تعالى ﴿ رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ رأس الحكمة مخافة الله ﴾ وقال عليه السلام ﴿ من خاف الله تعالى خافه كلُ شيء ومن خاف غير الله تعالى خوّفه الله من كل شيء ﴾ وقال عليه السلام قال الله تعالى وعزتى وجلالى لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين فاذا أمننى في الدنيا أخفته يوم القيامة * واذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة *

﴿ فصل ﴾

﴿ اعلم ﴾ أن حقيقة الخوف هو تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال * وقد يكون ذلك الخوف من جريان ذنوب * وقد يكون الخوف من الله تعالى بمعرفة صفاته التي توجب الخوف لامحالة — وهذا أكمل وأتم لان من عرف الله خافه بالضرورة * ولذلك قال الله تعالى ﴿ انما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ وقد أوحي الله تعالى الى داود عليه السلام ﴿ خفني كما تخاف السبع الضاري ﴾ ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ أنا أخوفكم لله تعالى ﴾ واعلم أن الواقع فى مخالب السبع انما لا يخافه اذا لم يعرف السبع * فان من علم أن من صفة السبع أنه يهلكه ولا يبالى فان تركه لم يكن لرقته عليه وشفقته فانه أحقر عنده من أن يشفق عليه فلا بد من أن يخاف ولله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم * ولكن من عرف انه لو أهلك الاولين والآخرين لم يبال ولم ينقص شيء من ملكه ﴿ قل فمن يملك لكم من الله شيئاً ان أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الارض جميعا ﴾ وكم

أهلك من عباده في الدنيا * وعرضهم لانواع العذاب ولم تأخذه رقة ولا شفقة فان ذلك محال عليه فلا بد وان يخاف * فمعرفة الجلال والعزة والاستغناء يورث الهيبة بالضرورة * وهذا أكمل انواع الخوف وافضلها *

## ﴿ فصل ﴾

علاج الخوف وتحصيله على رتبتين ﴿احديهما﴾ معرفة الله تعالى فانها توجب الخوف بالضرورة فان الواقع في مخالب السبع لايحتاج الى علاج ليخاف ان كان يعرف السبع *ومن عرف جلال الله تعالى واستغناءه وانه خلق الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا وانه تمت كلمته بالسعادة والشقاوة في حق كل احد صدقا وعدلا وان ذلك لا يتصور تغييره ولا يصرفه *عن تنفيذ قضائه الازلي صارفٌ وهو لا يدري ما الذي سبق به القضاء في حقه *ولا يدري ما الذي يختم له به واحتمل عنده ان يكون مقضياً له بشقاوة الابد فهذا لا يتصور ان لا يخاف ﴿ واما من عجز عن حقيقة المعرفة ﴾ فعلاجه النظر الى الخائفين ومشاهدة احوالهم او سماع ذلك * فان اخوف

خلق الله الانبياء والاولياء والعلماء واهل البصيرة * وأعظم الخلق أمنا الغافلون الاغبياء الذين لا يمتد نظرهم لا الى السابقة ولا الى الخاتمة ولا الى معرفة جلال الله تعالى — وهذا كما ان الصبي لا يخاف الحية مالم ينظر الى ابيه يخافها ويهرب منها ويرتعد فرايصه اذا رآها فينظر اليه فيقلده ويستشعر خوفه وان لم يعرف بالحقيقة صفة الحية * وقد قال صلى الله عليه وسلم ما جاءني جبرائيل عليه السلام قط الا وهو يرتعد فرائصه فرقاً (١) من النار * وقيل لما ظهر على ابليس ما ظهر طفق جبرئيل وميكائيل يبكيان * ناوحى الله سبحانه اليهما مالكما تبكيان * قالا يارب ما نأمن مكرك * فقال الله تعالى هكذا كونا لا تأمنا مكري * ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون * وقيل لما خلق الله تعالى النار طارت افئدة الملائكة عن اماكنها فلما خلق بني آدم عادت وكان ازيز (٢) قلب ابراهيم

(١) فرق فرقا من باب تعب خاف (٢) أزت القدر تئز وتؤز أزاً وأزيزاً وأزازاً بالفتح وائتزت وتأزت اشتد غليانها أو هو غليان ليس بالشديد والنار أوقدها والازز محركة امتلاء المجلس

عليه السلام يسمع في الصلاة من منيرة ميل * وبقي داود عليه السلام اربعين يوماً ساجداً لا يرفع رأسه حتى نبت الرعى [1] من دموعه * وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لطائر ليتنى مثلك ياطائر ولم اخلق * وقال ابو ذر رضي الله عنه وددت لو اني شجرة تعضد [2] وقالت عائشة رضي الله عنها وددت لو اني نسياً منسياً * وقد حكينا احوال الخائفين فى كتاب الخوف فليتأمل القاصر عن ذروة المعرفة احوال الانبياء والاولياء والعارفين * ليعلم انه احق بالخوف منهم * واذا تأمل ذلك بالحقيقة غلبه خوفه *

﴿ فصل ﴾

الخوف سوط يسوق العبد الى السعادة ولاينبغي ان يفرط بحيث يورث القنوط فذلك مذموم [3] * بل اذا غلب ينبغي ان يمزّج الرجاء به * نعم ينبغي ان يغلب الخوف الرجاء مادام العبد مقارناً للذنوب ﴿ فاما المطيع ﴾ المتجرد لله تعالى فينبغي ان

---

(١) ألرعى بالكسر الكلأ جمعه أرعاء (٢) أى تقطع وعضده قطعه
(٣) يانفس لاتقنطي من زلة عظمت * ان الكبائر فى الغفران كاللمم

يعتدل خوفه ورجاؤه مثل عمر رضي الله عنه حيث قال لو
نودي ليدخلن الجنة جميع الخلق الا رجل واحد لخفت ان
أكون أنا ذلك الرجل* ولو نودي ليدخلن النار جميع الخلق الا
رجل واحد لرجوت ان اكون انا ذلك الرجل* واما اذا قرب
الموت فالرجاء وحسن الظن بربه اولى به * قال صلى الله عليه
وسلم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بربه ﴿ والرجاء ﴾
يخالف التمني فان من لا يتعاهد الارض ولا يبث البذر ثم ينتظر
الزرع فهو متمنى مغرور فليس براج * انما الراجي من تعهد
الارض وسقاها* وبث البذر وحصل كل سبب يتعلق باختياره
ثم بقى يرجو ان يدفع الله الصواعق والقواطع وان يمكّنه
من الحصاد بعد الانبات* ولذلك قال عز وجل ﴿ ان الذين امنوا
والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة
الله والله غفور رحيم ﴾ وبالجملة فثمرة الرجاء الترغيب فى
الطلب* وثمرة الخوف الترغيب فى الهرب * ومن رجا شيئاً
طلبه ومن خاف شيئا هرب منه* واقل درجات الخوف ما
يحمل على ترك الذنوب وعلى الاعراض عن الدنيا* وما لا

يحمل على ذلك فهو حديث نفس وخواطر لاوزن لها تشبه رقة النساء ولا ثمرة لها * بل الخوف اذا تم أثمر الزهد فى الدنيا * فلنذكر الزهد ومعناه *

## ﴿ الاصل الثالث فى الزهد ﴾

قال الله تعالى ولا تمدن عينيك الى مامتعنا به ازواجاً منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى * وقال من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه * ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى الآخرة من نصيب وقال الله تعالى فى حق قارون * فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا ياليت لنا مثل ماأوتي قارون انه لذو حظ عظيم * وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً * فبين ان الزهد من ثمرات العلم * وقال صلى الله عليه وسلم من اصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه امره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له * ومن اصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهى راغمة

ولما سئل صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام * ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا وعن معنى الشرح قال عليه السلام * إن النور اذا دخل القلب انشرح الصدر وانفسح * قيل وهل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله * وقال عليه السلام استحيوا من الله حق الحياء * وقيل انا نستحي قال عليه السلام تبنون مالا تسكنون وتجمعون مالا تأكلون * وقال عليه السلام من زهد فى الدنيا ادخل الله الحكمة قلبه وانطق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها واخرجه منها سالما الى دار السلام * وقال عليه السلام لا يستكمل العبد حقيقة الايمان حتى يكون ان لا يعرف احب اليه من ان يعرف وحتى يكون قلة الشيء احب اليه من كثرته * وقال عليه السلام اذا اراد الله بعبد خيراً زهده فى الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره بعيوب نفسه * وقال عليه السلام ﴿ازهد في الدنيا يحبك الله تعالى وازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس﴾ وقال عليه السلام من اراد ان يؤتيه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا

## ﴿ فصل ﴾

للزهد في الدنيا حقيقة واصل وثمرة [1] ﴿ اما حقيقته ﴾ فهو عزوف النفس [2] عن الدنيا وانزواؤها [3] عنها طوعاً مع القدرة عليها * وأصلها العلم والنور الذى يشرق في القلب حتى ينشرح به الصدر ويتضح به أن الآخرة خير وأبقى وان نسبة الدنيا الى الآخرة أقل من نسبة خزفة الى جوهرة ﴿ وثمرتها ﴾ القناعة من الدنيا بقدر الضرورة وهو قدر زاد الراكب * فالاصل نور المعرفة فيثمر حال الانزواء * ويظهر على الجوارح بالكف الا عن قدر الضرورة فى زاد الطريق ﴿ والضروري ﴾ من زاد الطريق مسكن وملبس ومطعم وأثاث ﴿ أما المطعم ﴾ فله طول وعرض ﴿ أما طوله ﴾ فبالاضافة الى الزمان ﴿ وأقصر درجاته ﴾ الاقتصار على دفع الجوع فى الحال * فاذا دفعه غدوة لم يدخر شيئاً لعشائه

---

(١) الزهد في اللغة ترك الميل الى الشيء * وفى اصطلاح أهل الحقيقة هو بغض الدنيا والاعراض عنها * وقيل هو ترك راحة الدنيا طلباً لراحة الآخرة انتهى كتبه مصححه محي الدين الكردي

(٢) عزفت نفسي عنه تعزف عزوفا زهدت فيه وانصرفت عنه

(٣) والانزواء بالفارسى كوشه نشستن وازخلق فارغ بودن

﴿ وأوسطه ﴾ أن يدّخر لشهر الى أربعين يوما فقط ﴿ وأدناه ﴾ أن يدّخر لسنة * فان جاوز ذلك خرج عن جميع أبواب الزهد الا أن لا يكون له كسب ولا يأخذ من الايدى كداود الطائي فانه ملك عشرين ديناراً فامسكها وقنع بها عشرين سنة * فذلك لا يبطل مقام الزهد ودرجته فى الآخرة الا عند من يشرط التوكل فى الزهد ﴿ وأما عرضه ﴾ فاقله نصف رطل وأوسطه رطل وأعلاه مد * والزيادة عليه تبطل رتبة الزهد * وأما الجنس فأقله مايقوت ولو النخالة * وأوسطه خبز الشعير * وأعلاه خبز البرّ غير منخول فان نخل فهو تنعم لا زهد * فاما الادام فاقله الخل والبقل والملح * وأوسطه الادهان وأعلاه اللحم * وذلك فى الاسبوع مرة أو مرتين * فاذا دام لم يكن صاحبه زاهدا * قالت عائشة رضي الله عنها كان يأتي أربعون ليلة وما يوقد فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مصباح ولا نار * وقيل ماشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة ثلاثة أيام من خبز البر ﴿ وأما الملبس ﴾ فأقله ما يستر العورة ويدفع الحرّ والبرد * وأعلاه قميص

وسراويل ومنديل من الجنس الخشن * ويكون بحيث لو غسل ثوبه لم يجد غيره * فان كان صاحب القميصين لم يكن زاهدا * قال أبو ذر [1] أخرجت عائشة رضى الله عنها كساء ملبداً وازاراً غليظاً * فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين * وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خميصة [2] لها علم * فلما سلم قال شغلني النظر الى هذه اذهبوا بها الى ابي جهم الحديث * وكان شراك نعله قد اخلق فابدل بسير جديد [3] * فلما سلم عن صلوته * قال اعيدوا الشراك الخلق فاني نظرت اليه في الصلاة * وكان عليه السلام قد احتذى نعلين جديدين فاعجبه حسنهما فخر ساجدا * فقال عليه السلام اعجبني حسنهما فتواضعت لربي خشية ان يمقتني ثم خرج بهما فدفعهما الى اول مسكين رآه * وقد عُدّ على قميص عمر رضى الله عنه اثنتا عشرة رقعة بعضها من أدم * واشترى على رضوان الله عليه في خلافته ثوباً بثلاثة دراهم وقطع كميه

---

( ١ ) وفي النسخة الكردية قال أبو بردة الخ ( ٢ ) الخميصة هي ثوب خز أو صوف معلم (٣) والسير بالفتح الذى يقد من الجلد *

من الرّسغين * وقال الحمد لله الذي هذا من رياشه * وقال بعضهم قوّمت ثوب سفيان ونعله بدرهم ودانقين وقال علي رضوان الله عليه ان الله عز وجل أخذ على أئمة الهدى ان يكونوا في مثل ادنى احوال الناس ليقتدى بهم الغنى ولا يزري بالفقير فقره ﴿ واما المسكن ﴾ فادناه ان تقنع بزاوية في مسجد او رباط كاهل الصُفَّة * واعلاه ان يطلب لنفسه موضعاً خاصا وهي حُجرة اما بشراء او اجارة بشرط ان لا يزيد سعته على قدر الحاجة ولا يرفع بناؤه ولا يهتم بتجصيصه * وفي الاثر ان من يرفع بناءه فوق ستة اذرع ناداه منادٍ الى أين يا أفسق الفاسقين * ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة * وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرّ بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خصّاً[1] فقال ان الامر اعجل من ذلك واتّخذ نوح عليه السلام بيتا من خص * فقيل له لو شئت لاتّخذته من الطين * فقال هذا كثير لمن يموت * وقال صلى الله عليه وسلم من بنى فوق

(١) الخص بالضم البيت من القصب

ما يكفيه كلف ان يحمله يوم القيمة *وقال عليه السلام كل بناء وبال على صاحبه يوم القيمة الاما أكنّ من حرّ وبرد ﴿واما﴾ اثاث البيت ففيه ايضا درجات * وادناها حال عيسى بن مريم عليه السلام اذ لم يكن معه الا مشط وكوز * فرأى انسانا يمشط باصابعه فرمى المشط * ورأى آخر يشرب بيده فرمى الكوز ﴿ واوسطه ﴾ ان يستعمل الجنس الخشن واحداً في كل غرض *ويجتهد ان يستعمل واحداً في اغراض * وقال عمر رضي الله عنه لعمير بن سعيد وهو امير حمص ماممك من الدنيا * فقال معي عصاي أتوكأ عليها وأقتل بها حية ان لقيتها ومعي جرابي أحمل فيها طعامي * ومعي قصعتي آكل فيها وأغسل رأسي وثوبي * ومعي مطهرتي احمل فيها شرابي ووضوئي *فما كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما معي فقال صدقت * وقال الحسن ادركت سبعين من الاخيار ما لاحدهم الا ثوبه وما وضع احدهم بينه وبين الارض ثوبا * وكان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه وسادة من ادم حشوُها ليف وعباءة خشنة * فهذه سيرة الزهاد في الدنيا *فمن حرم هذه

الرتبة فلا اقل من ان يتحسّر على فواتها ويجتهد ان يكون قربه منهم اكثر من قربه من المتنعمين في الدنيا *

## (١) ﴿ فصل ﴾

الزهد على درجات ﴿ احداها ﴾ ان يزهد ونفسه مايلة الى الدنيا ولكن يجاهدها * وهذا متزهد وليس بزاهد ولكن بداية الزهد التزهد ﴿ الثانية ﴾ ان تنفر نفسه عن الدنيا ولا تميل اليها لعلمه بان الجمع بينها وبين نعيم الآخرة غير ممكن فتسمح نفسه بتركها كما تسمح نفس من يبذل درهما ليشتري جوهرة وان كان الدرهم محبوبا عنده وهذا زهد ﴿ الثالثة ﴾ ان لا تميل نفسه الى الدنيا ولا تنفر عنها بل يكون وجودها وعدمها عنده بمثابة واحدة * ويكون المال عنده كالماء وخزانة الله تعالى كالبحر فلا يلتفت قلبه اليه رغبة ونفورا * وهذا هو الاكمل لان الذى يبغض شيئا فهو مشغول به كالذى يحبه ولذلك ذُمّ الدنيا عند رابعة العدوية * فقالت لولا قدرها في قلوبكم ماذممتموها * وحمل الى عايشة رضى الله عنهاماية الف درهم فلم تنفر عنها ولكن فرقتها فى يومها * فقالت خادمتها لو

اشتريت بدرهم لحماً تفطرين عليه * فقالت لو ذكرتني لفعلت
فهذا هو الغنى وهو اكمل من الزهد * ولكنه مظنة غرور الحمق
اذ كل مغرور يستشعر في نفسه ان لا علاقة لقلبه مع الدنيا
وعلامة ذلك ان لا يدرك الفرق بين ان يسرق جميع ماله او
يسرق مال غيره * فما دام يدرك التفرقة فهو مشغول به *

﴿ فصل ﴾

كمال الزهد هو الزهد في الزهد بان لا يعتد به ولا يراه منصباً
فان من ترك الدنيا وظن انه ترك شيئاً فقد عَظَّم الدنيا اذ
الدنيا عند ذوي البصاير لا شيء * وصاحبها كمن منعه عن دار
المَلِك كلبٌ على بابه فالقى اليه لقمة خبز وشغله بها ودخل دار
الملك وجلس على سرير الملك فان الشيطان كلب على باب
الله تعالى * والدنيا كلها اقل من لقمة بالاضافة الى الملك
اذ اللقمة لها نسبة الى الملك اذ يفني بامثالها والآخرة لا يتصور
ان تفنى بامثال الدنيا لانها لا نهاية لها *

﴿ فصل ﴾

الزهد باعتبار الباعث عليه على ثلاث درجات ﴿ احدها ﴾ ان

يكون باعثة الخوف من النار وهذا زهد الخائفين ﴿ الثانية ﴾ وهي أعلى منه ان يكون باعثة الرغبة في نعيم الآخرة * وهذا زهد الراجين * والعبادة على الرجاء افضل منها على الخوف لان الرجاء يقتضي المحبة ﴿ الثالثة ﴾ وهي أعلاها ان يكون الباعث عليه الترفع عن الالتفات الى ماسوى الحق تنزيها للنفس عنه واستحقاراً لما سوى الله * وهذا زهد العارفين وهو الزهد المحقق وما قبله معاملة اذ ينزل صاحبها عن شيء عاجلا ليعتاض عنه اضعافه آجلا *

## فصل

الزهد باعتبار ما فيه من الزهد على درجات ﴿ وكماله ﴾ الزهد في كل ماسوى الله تعالى في الدنيا والآخرة ﴿ ودونه ﴾ الزهد فى الدنيا خاصة دون الآخرة ﴿ ثم يدخل ﴾ فيه كل مافيه حظ وتمتع فى الدنيا من مال وجاه وتنعم ودون ذلك ان يزهد فى المال دون الجاه أو في بعض الاشياء دون البعض * وذلك ضعيف لان الجاه ألذ وأشهى من المال فالزهد فيه اهم *

﴿ فصل ﴾

الزهد ان تنزوي عن الدنيا طوعا مع القدرة عليها *أما ان انزوتِ الدنيا عنك وانت راغبٌ فيها* فذلك فقر وليس بزهد ولـكن للفقر ايضا فضل على الغنى لانه منع عن التمتع بالدنيا وهذا هو أفضل ممن مكن من الدنيا والتمتع بها حتى الفها واطمأن اليها ولم يتجاف قلبه عنها فيعظم الالم والحسرة عند الموت وتكون الدنيا كانها جنة الغني* وتكون كانها سجن الفقير اذ يشتهي الخلاص من آلامها والفقر من اسباب السعادة* قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يحمى عبده عن الدنيا وهو يحبه كما يحمى احدكم مريضه عن الطعام والشراب * وقال عليه السلام يدخل فقراء امتي الجنة قبل اغنياءها بخمسماية عام وقال عليه السلام خير هذه الامة فقراؤها *وقال عليه السلام اذا رأيتَ الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين *واذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته* وقال موسى عليه السلام يارب من احباؤك من خلقك حتى أحبهم لاجلك * فقال كل فقير ﴿واعلم﴾ ان الفقير ان كان قانعا بما أعطي غير شديد الحرص

على الطلب فدرجته قريب من درجة الزاهد* قال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدى للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال صلى الله عليه وسلم الفقراء الصبراء هم جلساء الله تبارك وتعالى * وقال عليه السلام احب العباد الى الله تعالى الفقير القانع* واوحى الله تعالى الى اسماعيل صلوات الله عليه وسلامه اطلبني عند المنكسرة قلوبهم * قال ومن هم قال الفقراء الصادقون *وعلى الجملة انما يعظم ثواب الفقير عند القناعة والصبر والرضى والصبر على الفقر مبدء الزهد* ولا تتم هذه المقامات الا بالصبر فلنذكره*

## ﴿ الاصل الرابع فى الصبر ﴾

قال الله تعالى واصبروا ان الله مع الصابرين * وجمع للصابرين بين امور لم يجمعها لغيرهم * فقال عز من قائل اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون* وقال تعالى ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون * وقال تعالى وجعلنا منهم أئمة يهدون بامرنا لما صبروا * وقال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب * وذكر الله

سبحانه في القرآن الصبر في نيف وسبعين موضعاً * وقال صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان * وقال عليه السلام من اقل ما أوتيتم ﴿اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطى حظه منهما لم يبال بما فاته من قيام الليل وصيام النهار﴾ وقال عليه السلام الصبر كنز من كنوز الجنة * وسئل النبي عليه السلام مرة عن الايمان فقال هو الصبر * وقال عيسى عليه السلام انكم لا تدركون ما تحبون الا بصبركم على ما تكرهون *

﴿ فصل ﴾

حقيقة الصبر ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى وهو من خاصية الآدميّ الذى هو كالمركّب من شعب ملكيّة وبهيمية لان البهيمية لم يسلط عليها الا دواعي الشهوة والملائكة لم يسلّط عليهم الشهوة بل جرّدوا للشوق الى مطالعة جمال الحضرة الربوبية والابتهاج بدرجة القرب منها فهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون * فليس فيهم داعية الشهوة فلم يتصور الصبر لملك ولا بهيمة بل الانسان سُلّط عليه جندان يتطاردان ﴿احدهما﴾ من حزب الله وملائكته وهو العقل وبواعثه

﴿ والثاني ﴾ من جنود الشيطان وهى الشهوات ودواعيها بعد البلوغ يظهر بواعث الدين والعقل اذ يحمل على النظر الى العواقب وتبتدئ بقتال جند الشيطان فان ثبت باعث الدين في مقابلة باعث الهوى حتى غلبه فقد حصل مقام الصبر اذ لا يتصور الصبر الا عند تمارض الباعثين على التناقض وذلك كالصبر على شرب الدواء البشيع اذ يدعو اليه داعى العقل ويمنع منه داعي الشهوة * وكل من غلبته شهوته لم يعزم عليه ومن غلب عقله شهوته فصبر على مرارته لينال الشفاء * وشطر الايمان انما يتم بالصبر * ولذلك قال النبي عليه السلام الصبر نصف الايمان لان الايمان يطلق على المعارف والاعمال جميعاً وسائر الاعمال في طرفي الكف والاقدام والتزكية والتحلية لا يتم الا بالصبر لان جملة اعمال الايمان على خلاف باعث الشهوة فلا يتم الا بثبات باعث الدين في مقابلته * ولذلك قال عليه السلام الصوم نصف الصبر لان الصبر تارة في مقابلة داعي الشهوة وتارة في مقابلة داعي الغضب * والصوم هو كسر لداعية الشهوة *

﴿ فصل ﴾

الصبر له ثلاث درجات بحسب ضعفه وقوته ﴿الدرجة العليا﴾ ان تقمع داعية الهوى بالكلية حتى لا يبقى لها قوة للمنازعة ويتوصل اليها بدوام الصبر وطول المجاهدة وذلك من الذين قيل لهم ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا واياهم ينادي المنادي يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية ﴿ الدرجة السفلي ﴾ ان تقوى داعية الهوى وتسقط منازعة باعث الدين ويغلب الهوى ويسلم القلب لجند الشيطان وذلك من الذين قيل فيهم ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين *وعلامته شيئان ﴿ احدهما ﴾ ان يقول انا اشتاق الى التوبة ولكن تعذرت عليّ فلست اطمع فيها فهذا هو القانط وهو الهالك ﴿ الثاني ﴾ ان لا يبقى فيه شوق الى التوبة ولكن يقول الله كريم رحيم وهو مستغنى عن توبتي فلا تضيق الجنة الواسعة والمغفرة الشاملة عنيّ * وهذا المسكين قد صار عقله اسير شهوته ولا يستعمله الا في استنباط حيل قضاء الشهوة فصار عقله كالمسلم الا سير بين

الكفار يستسخرونه في رعاية الخنازير وحفظ الخمور وحملها على العنق والظهر الى بيوتهم * فانظر كيف يكون حال العبد اذا اخذ أعز أولاد الملك وسلمه الى أخس اعدائه حتى استرقه واستسخره ففي مثل حاله يكون قدوم هذا الغافل المنهمك على الله تعالى نعوذ بالله منه ﴿الدرجة الوسطى﴾ ان لا يفتر على المحاربة ولكن يكون الحرب بينهما سجالا تارة له اليد وتارة عليه اليد* وهذا من المجاهدين الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا الآية *وعلامة هذا ان يترك من الشهوات ماهو اضعف ويعجز عما هو اغلب *وربما يغلبها في بعض الاوقات دون بعض وهو في جميع الاحوال متحسر على عجزه ومستمر المعاودة الى مجاهدته وقتاله * وذلك هو الجهاد الاكبر * ومهما اتقى وصدّق بالحسنى فسنيسّره لليسرى * وبالجملة فقد قصر عن البهيمة انسي لم يقاوم بقوة عقله شهوته وقد ايد بالعقل وحرم عنه البهيمة* ولذلك قال الله تعالى اولئك كالانعام بل هم أضل سبيلا

﴿فصل﴾

اعلم ان الحاجة الى الصبر عامة في جميع الاحوال لان جميع

مايلقى العبد في هذه الحيوة لا يخلو عن نوعين * فانه اما ان يوافق هواه او يخالفه * فان وافق هواه كالصحة والسلامة والثروة والجاه وكثرة العشيرة فما احوجه الى الصبر معها فانه ان لم يضبط نفسه طغي واسترسل في التنعم واتباع الهوى ونسي المبتدى والمنتهى * ولذلك قالت الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين بلينا بفتنة الضراء فصبرنا * وبلينا بفتنة السراء فلم نصبر * ولذلك قيل يصبر على البلاء كل مؤمن ولا يصبر على العافية الا صديق * ومعنى الصبر فيها ان لا يركن اليها ويعلم ان كل ذلك وديعة عنده ويسترجع على القرب وان لا ينهمك في الغفلة والتنعم ويؤدي حق شكر النعمة * وذلك مما يطول شرحه ﴿ النوع الثاني ﴾ مايخالف الهوى وذلك اربعة اقسام ﴿ القسم الاول الطاعات ﴾ والنفس تنفر عن بعضها بمجرد الكسل كالصلوة * وعن بعضها بالبخل كالزكوة * وعن بعضها بهما جميعا كالحج والجهاد والصبر على الطاعة من الشدايد ويحتاج المطيع الى الصبر في ثلاثة احوال ﴿ احديها ﴾ اول العبادة بتصحيح الاخلاص والصبر عن شوايب الريا ومكايد

الشيطان ومكايد النفس وغرورها ﴿الثانية﴾ حالة العمل كيلا يتكاسل عن تحقيق أدائه بفروضه وسننه * ويوقع على شرط الادب مع حضور القلب ونفي الوسواس ﴿ الثالثة ﴾ بعد الفراغ وهو ان يصبر عن ذكره وافشائه للتظاهر به رياء وسمعة * وكل ذلك من الصبر الشديد على النفس ﴿ القسم الثانى المعاصى﴾ وقد قال صلى الله عليه وسلم ﴿ المجاهد من جاهد هواه والمهاجر من هجر السوء ﴾ والصبر عن المعاصى اشد لاسيما عن معصية صارت عادة مألوفة اذ يتظاهر فيه على بواعث الدين جندان ﴿ جند الهوى وجند العادة﴾ فان انضم الى ذلك سهولة فعله وخفة المؤنة فيه لم يصبر عنها الا الصديق * وذلك كمعاصى اللسان فانها هينة سهلة * وذلك كالغيبة والكذب والمراء والثناء على النفس ويحتاج فى دفع ذلك الى اشد انواع الصبر ﴿القسم الثالث ﴾ مالا يرتبط باختيار العبد ولكن له اختيار فى دفعه وتداركه كالاذى الذي يناله من غيره بيد او لسان * فالصبر على ذلك بترك المكافاة تارة يجب وتارة يستحب * قال بعض الصحابة ما كنا نعد ايمان

الرجل ايمانا اذا لم يصبر على الاذى *قال الله عز وجل ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون* وقال الله تعالى ودع اذاهم وتوكل على الله* وقال تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين ﴿القسم الرابع﴾ مالا يدخل اوله وآخره تحت الاختيار كالمصايب بموت الاعزة وهلاك الاموال والمرض وذهاب بعض الاعضاء وساير انواع البلاء والصبر عليه من اعلى المقامات قال ابن عباس رضى الله عنه الصبر في القرآن على ثلاث مقامات* صبر على اداء الفرائض وله ثلثماية درجة *وصبر على محارم الله تعالى وله ستماية درجة* وصبر على المصيبة عند الصدمة الاولى وله تسعماية درجة* وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى اذا ابتليت عبدي ببلاء فصبر ولم يشتك الى عواده[1] ابدلته لحماً خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه* فان ابرأته ابدلته ولا ذنب له وان توفيته فالى رحمتي* وقال النبي عليه السلام قال الله تعالى اذا وجهت الى عبد من عبيدى مصيبة في بدنه او

---

(١). وفي النسخة الكردية ولم يشكني

فى ماله او ولده ثم استقبل بذلك بصبر جميل استحييتُ منه يوم القيامة ان انصب له ميزانا او انشرله ديوانا * وقال عليه السلام انتظار الفرج بالصبر عبادة * وقال عليه السلام من اجلال الله تعالى ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك * ولا تذكر مصيبتك فقد عرفت انك لا تستغنى عن الصبر فى جميع اوقاتك وبه يظهر انه شطر الايمان * وشطره الآخر فيما يتعلق بالاعمال وهو الشكر * فقد قال صلى الله عليه وسلم الايمان ﴿ نصفان نصف صبر ونصف شكر ﴾ وهذا باعتبار النظر الى الاعمال والتعبير بالايمان عنها

﴿ الاصل الخامس الشكر ﴾

وقد قال الله تعالى ﴿ وقليل من عبادى الشكور ﴾ وقال لئن شكرتم لازيدنكم * وقال واشكروا لي ولا تكفرون * وقال وسيجزى الله الشاكرين * وقال ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم * وقال النبي صلى الله عليه وسلم للطاعم الشاكر منزلة الصايم الصابر عند الله * وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكي فى تهجده فقالت عايشة رضى الله عنها

ومايبكيك * وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال عليه السلام افلا اكون عبدا شكورا * وقال ينادى يوم القيمة ليقم الحامدون * فيقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة * فقيل ومن الحامدون * قال الذين يشكرون الله على كل حال * وقال الحمد رداء الرحمن *

﴿ فصل ﴾

اعلم ان الشكر من المقامات العالية وهو أعلى من الصبر والخوف والزهد وجميع المقامات التى سبق ذكرها لانها ليست مقصودة فى انفسها * وانما تراد لغيرها * فالصبر يراد منه قهر الهوى والخوف سوط يسوق الخايف الى المقامات المقصودة المحمودة * والزهد هرب من العلايق الشاغلة عن الله تعالى * واما الشكر فمقصود فى نفسه ولذلك لا ينقطع في الجنة وليس فيها توبة ولا خوف ولا صبر ولا زهد * والشكر دايم فى الجنة — ولذلك قال الله تعالى وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين * وتعرف ذلك بان تعرف حقيقة الشكر وانه ينتظم من علم وحال وعمل * اما العلم فالعلم بالنعمة والمنعم بان النعم كلها من الله تعالى وهو المنفرد

بجميعها * والوسايط كلهم مسخرون مقهورون * وهذه المعرفة
وراء التقديس والتوحيد فانهما داخلان فيه بل الرتبة الاولى
في معارف الايمان التقديس * ثم اذا عرفت ذاتا مقدسة وعرفت
انه لا مقدس الا واحد فهو التوحيد * ثم اذا علمت ان كل ما في
العالم فهو موجود من ذلك الواحد والكل نعمة منه خاصة
فهو الحمد * والى هذا الترتيب الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم
من قال ﴿سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله
فله عشرون حسنة ومن قال الحمد لله فله ثلثون حسنة ﴾ وهذا
لان التقديس والتوحيد داخلان فى الحمد وزيادة * وهذه
الدرجات بازاء هذه المعارف * واما حركة اللسان ففضلها بحسب
صدورها عن المعرفة او تجديدها للاعتقاد فى القلب * فان الفم
آلة لازالة الغفلة لينمحي اثرها ﴿ واعلم ﴾ انك اذا اعتقدت ان
لغير الله دخلا فى النعمة الواصلة اليك لم يصح حمدك ولم تتم
معرفتك وشكرك * وكنت كمن يخلع عليه الملكُ وهو يرى
ان لعناية الوزير دخلا فى خلعة الملك او فى ايصالها اليه اوفى
تيسيرها * وكل ذلك اشتراك في النعمة ويتوزع فرحك فى

النعمة عليها * نعم لو رأيت الخلعة الواصلة اليك بتوقيع الملك
بقلمه فذلك لا يقصر من شكرك لانك تعلم ان القلم مسخر
له لا دخل له في النعمة بنفسه * ولذلك لا يلتفت قلبك الى الفرح
بالقلم والشكر له * ولذلك قد لا يلتفت الى الخازن والوكيل اذ
يعلم انهما مضطران الي العطاء بعد الامر مسخران لا مدخل
لهما بانفسهما في النعمة * فكذلك من انفتحت بصيرته علم ان
الشمس والقمر والنجوم مسخرات بامر الله تعالى كالقلم
والكاغذ والحبر في التوقيع * وان قلوب الخلق خزائن الله تعالى
ومفاتيحها بيد الله عز وجل فيفتحها بان يسلط عليها دواعي
جازمة حتى يعتقد ان خيرها في البذل مثلا * وعند ذلك لا يستطيع
ترك البذل فيكون مضطرا الى الاختيار لما سلط عليه من
دواعي الاختيار فانه لا يعطيك احد شيئا الا لغرض نفسه
ليستفيد به في الآجل ثوابا او في العاجل ثناء وذكرا او غير
ذلك * ومالم يعلم ان منفعته في منفعتك فلا يعطيك * فاذا ليس هو
منعما عليك اذ يسعى لنفسه * انما المنعم عليك من سخره وسلط
هذه الدواعي عليه * وقرر في نفسه ان غرضه منوط بالاداء

والانعام *فان عرفت الامور كذلك كنت موحدا وتصور منك الشكر بل هذه المعرفة هي عين الشكر* قال موسى عليه السلام في مناجاته الهي خلقت آدم بيدك وفعلت وفعلت فكيف شكرك * قال علم ان ذلك مني فكان معرفة ذلك شكرا * ﴿الركن الثاني﴾ الحال المستثمرة من المعرفه وهي الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والاجلال * ومن يرسل اليه بعض الملوك فرسا فيتصور ان يفرح به من ثلاثة اوجه ﴿احدها﴾ من حيث انه ينتفع بالفرس اومن حيث يستدل به على عناية الملك بشأنه وانه سينعم عليه بما هو اعظم منه او من حيث ان الفرس يكون مركبا له حتى يسافر الى حضرة الملك ويخدمه* والاول ليس من الشكر في شئ فانه فرح بالنعمة لا بالمنعم ﴿والثاني﴾ داخل في الشكر شيئا لكنه ضعيف بالاضافة الى الثالث *فكمال الشكر ان يكون الفرح بما يفتح الله تعالى من نعمه لا النعمة من حيث هي نعمة بل بها من حيث انها وسيلة اليه اذ بنعمته تتم الصالحات * وعلامة هذا ان لا يفرح بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله تعالى بل يغتم بها ويفرح

عما زوى الله تعالى عنه من شغل الدنيا وفضولها * وهذا
اكمل الشكر * فمن لم يستطع فعليه بالثاني ﴿ واما الاول ﴾
ففرح بالنعمة لا بالمنعم وليس ذلك من الشكر في شئ ﴿ الركن
الثالث ﴾ العمل وذلك بان يستعمل نعمه في محابه لا في
معاصيه * وهذا لا يقوم به الا من يعرف حكمة الله تعالى
في جميع خلقه وانه لماذا خلق كل شئ * وشرح ذلك
يطول * وقد ذكرنا منه طرفا في الاحياء * وجملته ان تعلم
مثلا ان عينه نعمة منه * فشكرها ان يستعملها في مطالعة
كتاب الله وكتب العلم ومطالعة السموات والارض
ليعتبر بها ويعظم خالقها وان يستر كل عورة يراها من المسلمين
ويستعمل اذنه في سماع الذكر وما ينفعه في الآخرة ويعرض
عن الاصغاء الى الهجو والفضول * ويستعمل اللسان في ذكر
الله تعالى والحمد له في اظهار الشكر منه دون الشكوى * ومن
سئل عن حاله فشكى فهو عاص لانه شكى ملك الملوك الى
عبد ذليل لا يقدر على شئ فان شكر فهو مطيع * واما شكر
القلب فاستعماله في الفكر والذكر والمعرفة واضمار الخير للخلق

وحسن النية * وكذلك فى اليد والرجل وساير الاعضاء والاموال وغير ذلك مما لا ينحصر *

## ﴿فصل﴾

اعلم أنه انما يتمكن فى كمال الشكر من شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه يرى في كل شيء حكمته وسره ومحبوب الله فيه* ومن لم ينكشف له ذلك فعليه باتباع السنة وحدود الشرع فتحتها اسرار الشكر* وليعلم انه لو نظر الى غير محرم مثلا فقد كفر نعمة العين ونعمة الشمس وكل نعمة لا يتم النظر اليها الا بها فان الابصار انما يتم بالعين ونور الشمس والشمس انما تتم بالسموات فكانه كفر أنعم الله تعالى فى السموات والارض* وقس على هذا كل معصية فانها انما تتمكن باسباب تستدعي وجود جميعها خالق السموات والارض* ولهذا غور عميق اشرنا اليه في كتاب الشكر من كتاب الاحياء ويكفيك ههنا مثال واحد وهو ان الله تعالى خلق الدراهم والدنانير لتكون حاكمة في الاحوال كلها يقدر بها القيم ولولاها لتعذرت المعاملات اذ لا يدري كيف يشتري الثياب بالزعفران

والدواب بالاطعمة فانها لا مناسبة بينهما * وانما يشتركان
في روح المالية * ومعيار مقدار ارواحهما هو النقدان فمن
كنزهما كان كمن حبس حاكما من حكام المسلمين حتى تعطلت
الاحكام *ومن اتخذ منهما آنية كان كمن استعمل حاكما من
حكام المسلمين في الحياكة والفلاحة التي يقدر عليها كل احد
حتى يتعطل الحكم وذلك اشد من الحبس *ومن اربى فيهما
وجعلهما مقصد تجارته بالمصارفة بين جيدهما ورديهما كان
كمن شغل الحاكم عن الحكم فاتخذه سخرة لنفسه ليحتطب
له ويكنس له ويكتسب له القوت * وكل ذلك ظلم وتغيير
لحكم الله عز وجل في خلقه وعباده ومعادات الله تعالى في
محابه *ومن لا ينكشف له بنور البصيرة هذه الاسرار عرف
على لسان الشرع صورته دون معناه *وقيل له ﴿الذين يكنزون
الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب
اليم﴾ الى قوله تعالى يكنزون * وقيل من شرب في اناء من
ذهب او فضة فكانما يجرجر في بطنه نار جهنم * وقيل الذين
يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان

من المس الآيه * فالصالحون يقفون على الحدود ولا يعرفون أسرارها * والعارفون اذا اطلعوا على الاسرار بانفسهم وشاهدوا شواهد الشرع ازدادوا نوراً على نور * والعميان الجاهلون يحرمون الوقوف على الحدود والعثور على الاسرار جميعا فلاهم كعبيد أتقياء ولا كاحرار كرام * وهم الذين قال فيهم ولكن حق القول مني الآيه * وقال تعالى ﴿أفمن يعلم انما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى﴾ الآيه * وقال ﴿ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا﴾ الى قوله ﴿فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾ وآيات الله حكمته في خلقه * وقد ألقيت الى الخلق على لسان الانبياء صلوات الله عليهم كما فصلت في جملة الشريعة من أولها الى آخرها * وما من حد من حدود الشرع الا وفيه سر وخاصية وحكمة يعرفها من يعرفها وينكرها من يجهلها * وشرح ذلك طويل فليطلب من كتاب الشكر * ولا يتصور تمام الشكر الا ممن قام لله تعالى وحده مخلصا لا رغبة فيه لغيره * فلنذكر الاخلاص والصدق *

## ﴿ الاصل السادس الاخلاص والصدق ﴾

اعلم ان للاخلاص حقيقة وأصلا وكمالا * فهذه ثلاثة أركان *
وأصله النية اذ فيها الاخلاص * وحقيقته نفي الشوب عن النية
وكماله الصدق ﴿ الركن الاول النية ﴾ وقد قال الله تعالى
﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ﴾
ومعنى النية ارادة وجهه * وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ انما
الاعمال بالنيات ﴾ الحديث وقال ان الملائكة ترفع صحيفة عمل
العبد فيقول الله تعالى ألقوها فانه لم يرد بها وجهي * واكتبوا
له كذا وكذا * فيقول الملائكة انه لم يعمل منها شيئا
فيقول الله عز وجل انه نواه انه نواه * وقال صلى الله عليه
وسلم الناس أربعة * رجل أتاه الله علما ومالا فهو يعمل بعلمه
في ماله * فيقول رجل لو أتاني الله ما أتاه لعملت كما يعمل فهما
في الاجر سواء * ورجل أتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو
يخبط بجهله في ماله * فيقول رجل لو أتاني الله تعالى ما أتاه
لعملت كما يعمل فهما في الوزر سواء * فقال عليه السلام من
غزى ولا ينوي الا عقالا فله مانوى * ويقال ان رجلا في

بني اسرائيل مرّ بكثبان رمل في أيام قحط *فقال في نفسه لو كان لي هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس فأوحى الله تعالى الي نبيهم * قل له ان الله تعالى قد قبل صدقتك وشكر حسن نيتك وأعطاك ثواب مالو كان طعاما فتصدقت به * وقال عليه السلام اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار فقيل مابال المقتول *فقال أراد قتل صاحبه * وقال عليه السلام من تزوج امرأة على صداق وهو لاينوي اداءه فهو زان ومن أدان دينا وهو لاينوي قضاه فهو سارق *

﴿ فصل ﴾

حقيقة النية هي الارادة الباعثة للقدرة المنبعثة عن المعرفة وبيانه ان جميع أعمالك لاتصح الا بقدرة وارادة وعلم* والعلم يهيج الارادة * والارادة باعثة للقدرة*والقدرة خادمة الارادة بتحريك الاعضاء* مثاله انه خلق فيك شهوة الطعام الا انها قد تكون فيك راكدة كأنها نائمة *واذا وقع بصرك على طعام حصلت المعرفة بالطعام فانتهضت الشهوة للطعام فامتدت اليه اليد وانما امتدت اليد بالقوة التي فيها المطيعة لاشارة الشهوة

وانتهضت الشهوة بحصول المعرفة المستفادة من طليعة الحس وكما خلق فيك شهوة الى الاشياء الحاضرة خلق فيك أيضا ميل الى اللذات الآجلة ينتهض ذلك الميل باشارة المعرفة الحاصلة من العقل ﴿والقدرة﴾ أيضا تخدم هذا الميل بتحريك الاعضاء * فالنية عبارة عن الميل الجازم الباعث للقدرة والذى يغزو قد يكون الباعث له ميل الى المال فذلك نيته * وقد يكون الباعث ميل الى ثواب الآخرة فذلك نيته * فاذا النية عبارة عن الارادة الباعثة * ومعنى اخلاصها تصفية الباعث عن الشوب

﴿فصل﴾

اذا حصل العمل بباعث النية فالنية والعمل بهما تمام العبادة فالنية أحد جزئى العبادة لكنها خير الجزئين لان الاعمال بالجوارح ليست مرادة الا لتأثيرها في القلب ليميل الى الخير وينفر عن الشر فيتفرغ للفكر والذكر الموصولين له الى الانس والمعرفة اللذين هما سبب سعادته في الآخرة * فليس المقصود من وضع الجبهة على الارض وضع الجبهة على الارض بل خضوع القلب ولكن القلب يتأثر بأعمال الجوارح * وليس

المقصود من الزكاة ازالة الملك بل ازالة رذيلة البخل وهو قطع علاقة القلب من المال * وليس المقصود من الضحية لحومها ولا دماؤها ولكن استشعار القلب للتقوى بتعظيم شعائر الله تعالى والنية عبارة عن نفس ميل القلب الى الخير فهو متمكن من حدقة المقصود فهو خير من عمل الجوارح الذى انما يراد منه سراية أثره الى محل المقصود وهو القلب * ولذلك يورث جميع أعمال القلب دون الجوارح فيه آثاراً * وعمل الجارحة دون حضور القلب هباء ولا اثر له * ومهما قصد معالجة المعدة بما يصل من الادوية بالشرب اليها انفع لامحالة مما يطلى به ظاهر المعدة ليسرى اليها اثره * وكذلك اذا لم يسر اثر الطلاء الى المعدة كان باطلا * وبهذا التحقيق يعرف سرّ قوله صلى الله عليه وسلم ﴿ نية المؤمن خير من عمله ﴾

﴿ فصل ﴾

اذا عرفت فضل النية وانها تحل حدقة المقصود فيؤثر فيها فاجتهد ان تستكثر من النية فى جميع اعمالك حتى تنوى بعمل واحد نيات كثيرة * ولو صدقت رغبتك هديت لطريقه

ويكفيك مثال واحد وهو ان الدخول في المسجد والقعود فيه عبادة * ويمكن ان تنوي فيه ثمانية امور (اولها) ان يعتقد انه بيت الله عز وجل وان داخله زائرا لله تعالى فتنوى ذلك * قال عليه السلام من قعد في المسجد فقد زار الله تعالى * وحق على المزور اكرام زايره (وثانيها) نية المرابطة لقول الله تعالى وصابروا ورابطوا * وقيل معناه انتظار الصلوة بعد الصلوة (وثالثها) الاعتكاف * ومعناه كف السمع والبصر والاعضاء عن الحركات المعتادة فانه نوع صوم * قال صلى الله عليه وسلم رهبانية امتى القعود في المساجد * (ورابعها) الخلوة ودفع الشواغل للزوم السر للفكر في الآخرة وكيفية الاستعداد لها (وخامسها) التجرد للذكر وسماعه او اسماعه لقوله صلى الله عليه وسلم * من غدا الى المسجد يذكر الله تعالى او يذكر به كان كالمجاهد في سبيل الله تعالى (وسادسها) ان يقصد افادة علم وتنبيه من يسئ الصلوة ونهيا عن منكر وامرا بمعروف حتى يتيسر بسببه خيرات ويكون شريكا فيها (وسابعها) ان تترك الذنوب حياء

من الله عز وجل بان يحسن نيته في نفسه وقوله وعمله حتى
يستحي منه من رآه ان يقارف ذنبا ﴿وثامنها﴾ ان تستفيد أخاً
في الله فان ذلك غنيمة وذخيرة لدار الآخرة * والمسجد
يعشش اهلَ الدين المحبين لله وفى الله* وقس على هذا ساير
الاعمال فباجتماع هذه النيات تزكو الاعمال وتلتحق باعمال
المقربين كما انه بنقيضها يلتحق باعمال الشياطين كمن يقصد
من القعود في المسجد التحدث بالباطل والتفكه باعراض
الناس ومجالسة اخدان اللهو واللعب وملاحظة من يجتاز به
من النسوان والصبيان ومناظرة من ينازعه من الاقران
على سبيل المباهات والمرايات باقتناص قلوب المستمعين لكلامه
وما يجري مجراه* وكذلك لا ينبغي ان يغفل فى المباحات عن
حسن النية* ففي الخبر ان العبد يسئل يوم القيمة عن كل شئ
حتى عن كحل عينيه وعن فتات الطين باصبعيه وعن لمسه
ثوب اخيه ﴿ومثال النية﴾ في المباحات ان من يتطيب يوم الجمعة
يمكنه ان يقصد التنعم بلذته والتفاخر باظهار ثروته او التزويق
للنساء واخدان الفساد* ويتصور ان ينوي اتباع السنة وتعظيم

بيت الله تعالى واحترام يوم الجمعة ودفع الاذى عن غيره بدفع الرائحة الكريهة وايصال الراحة اليهم بالرائحة الطيبة وحسم باب الغيبة اذا شموا منه رائحة كريهة* والى الفريقين الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من تطيب في الله جاء يوم القيامة وريحه أطيب من ريح المسك* ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة*

﴿ فصل ﴾

اعلم ان النية لاتدخل تحت الاختيار فلا ينبغي ان تغتر فتقول بلسانك وقلبك نويت من القعود في المسجد كذا وكذا *وتظن انك قد نويت اذ عرفت من قبل ان النية هي الباعث المتحرك الذي لولاه لم يتصور وجود العمل * والنية المتكلفة كقول القائل نويت ان احب فلانا واعشقه واعظمه اونويت ان اعطش او اجوع او اشبع فان لكل هذه دواعي وصوارف وتحققها اسبابها اذلا يتصور حصولها دون اسبابها * وقول القائل نويتها قبل تحققها حديث نفس لا نية * فمن وطئ لغلبة شهوة الوقاع من اين ينفعه قوله نويت الوطئ لحراثة الولد

وتكثير عدد من به المباهات بل لا تظفر بانبعاث هذه النيات
من قلبك الا اذا قوي ايمانك وتمت معرفتك بحقارة الحظوظ
العاجلة وعظم ثواب الآخرة حتى اذا غلب ذلك عليك انبعث
منك الرغبة ضرورة في كل ماهو وسيلة الى ثواب الآخرة
وان لم ينبعث فلانية لك * ولمثل هذا توقف السلف في جملة
من الخيرات حتى روي ان محمد بن سيرين لم يصل على جنازة
الحسن البصري * وقال ليس تحضرني النية * وقيل لطاوس ادع
لنا فقال حتى اجدله نية * وقال بعضهم انا في طلب نية لعيادة
رجل منذ شهر فما صحت لي نية بعد * ومن عرف حقيقة النية
وعلم انها روح العمل فلا يتعب نفسه بعمل لا روح له ويحقق
ذلك ان المباح قد يصير افضل من العبادة اذا حضرت فيه نية
فمن له نية في الاكل والشرب ليقوى على العبادة وليس تنبعث
له نية الصوم في الحال فالاكل اولى له * ومن مله العبادة وعلم
انه لو نام لعاد نشاطه فالنوم افضل له * بل لو علم مثلا ان
الترفه بدعابة وحديث مزاح في ساعة يرد نشاطه فذلك افضل
له من الصلوة مع الملال * قال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يمل

حتى تملوا * وقال ابو الدرداء اني لاستجم نفسي بشيء من اللهو فيكون ذلك عونا لي على الحق * وقال علي رضي الله عنه روحوا النفوس فانها اذا أكرهت عميت * وهذه دقايق يستثقلها الظاهريون من الفقهاء كما يستثقل الطبيب الضعيف من الاطباء معالجة المحرور باللحم * والحاذق منهم قد يأمر به ليعود قوة المريض حتى يحتمل الدواء النافع بعده ﴿الركن الثاني﴾ في اخلاص النية وقد قال الله تعالى ﴿وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء﴾ وقال الله تعالى ﴿الا لله الدين الخالص﴾ وقال الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله * وقال النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ﴿ألاخلاص سرٌّ من سري استودعتُه قلبَ من احببتُ من عبادي﴾ وقال عليه السلام لمعاذ أخلص العمل يجزك القليل منه * وقال عليه السلام ﴿ما من عبد يخلص العمل اربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه﴾ *

﴿فصل﴾

حقيقة الاخلاص تجرد الباعث الواحد ويضادُّه الاشراك

وهو ان يشترك الباعثان وهو كل مايتصور ان يمازجه غيره
فان صفا من كل شوب منه يسمى خالصاً* وقد عرفت ان النية
هي الباعث *فمن لا يعمل الا للرياء فهو مخلص * ومن لا يعمل
الا لله فهو مخلص ولكن خصص الاسم باحد الجانبين بالعادة
كالالحاد فانه ميل ولكن خصص بالميل الى الباطل وزوال
الاخلاص بشوائب الرياء قد ذكرناه ولكن قد يزول ايضا
باغراض أخر فان الصايم قد يقصد مع العبادة ان ينتفع بالحمية
الصالحة الحاصلة بالصوم* وقد يقصد المعتق ان يتخلص بالعتق
من مؤنة العبد وسوء خلقه* والحاجّ يحج ليصح مزاجه بحركة
السفر او يهرب من مشقة تعهد العيال او من ايذاء الاعداء
او من التبرم[1] بالمقام مع الاهل* والمتعلم يتعلم العلم ليسهل عليه
طلب المعاش اويكون محروسا بعز العلم عن الظلم اويكتب مصحفا
ليجود خطه او يحج ماشياً ليخفف مؤنة الكراء او يتوضأ
ليتنظف او يتبرد او يغتسل لتطيب رائحته او يعتكف ليخفف
عليه كراء المسكن او يصوم ليخفف عن نفسه تعب الطبخ

(١) التبرم من برم مثل ضجر ضجرا وزنا ومعنى ويتعدى بالهمزة

وشراء الطعام او يتصدق ليدفع عن نفسه ابرام السائل او يعود مريضا ليعاد اذا مرض * فهذه الاغراض قد يتجرد وقد يشوب قصد العبادة شوبا خفيا * فاذا خطر شيء من هذه الاغراض في الفعل فقد ذهب الاخلاص وذلك عسير جداً * ولذلك قال بعضهم في اخلاص ساعة نجاة الابد ولكن ذلك عزيز * وقال ابو سليمان الداراني طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها الا الله عز وجل * وكان معروف الكرخي يضرب نفسه * ويقول يانفسي اخلصي تتخلصي *

﴿ فصل ﴾

اعلم ان امتزاج هذه الشوائب على مراتب فانها قد تغلب وقد تكون مغمورة * وقد تكون مساوية لقصد العبادة ولا تمحو اصل الثواب في المباحات ومهما بقي شوب من ارادة الله عز وجل فله ثواب بقدر ذلك الشوب والباقي لا ثواب عليه * فاما اذا كان في العبادة أمر بان يخلصها لله تعالى فان كان الشوب غالبا بطلت العبادة وان كان مساويا او مغلوبا بطل الاخلاص ولكن هل يتوقف انعقاد العبادة وحصول اصلها

على انتفاء الشوائب كلها فيه نظر اشرنا اليه في الرياء* ويطلب استقصاؤه من كتاب الاحياء ﴿الركن الثالث الصدق﴾ وهو كمال الاخلاص قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية * وقال النبي عليه السلام ان الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا* وقال الله تعالى واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صدّيقا نبيا* ويكفي بفضيلة الصدق اذ يدرك به فضيلة الصديقين ﴿واعلم﴾ ان للصدق مراتب ستا من بلغ في جميعها بلغ رتبة الكمال استحق اسم الصدق ﴿اولها الصدق في القول﴾ في جميع الاحوال ما يتعلق بالماضي والمستقبل والحال* ولهذا الصدق كمالان ﴿احدهما﴾ الحذر عن المعاريض ايضا فانه وان كان صدقا في نفسه فيفهم خلاف الحق* والمحذور من الكذب تفهيم خلاف الحق اذ يكتسب القلب صورة معوجة كاذبة بازاء كذب اللسان* واذا مال وجه القلب من الصحة الى الاعوجاج لم يتجلى الحق له على الصحة حتى لا يصدق رؤياه ايضا* والمعاريض لا توقع في هذا المحذور لانه صدق في نفسه لكن توقع في المحذور ﴿الثاني﴾ وهو تجهيل

المعنى فلا ينبغي ان يفعل ذلك الا لغرض صحيح ﴿وكماله الثاني﴾
ان يرعى الصدق في أقاويله مع الله تعالى فاذا قال ﴿ وجهت
وجهي﴾ وفي قلبه في تلك الحالة شئ سوى الله عز وجل فهو
كاذب واذا قال ﴿اياك نعبد﴾ وهو مع ذلك عبد الدنيا او لنفسه
او لغيره لم يمكنه تحقيق صدق هذه الكلمة في القيامة ولذلك
قال عيسى عليه السلام ياعبيد الدنيا * وقال نبينا صلى الله عليه
وسلم تعس عبد الدرهم والدينار ﴿الصدق الثاني﴾ في النية وهو
ان يتمحض فيه داعية الخير فان كان فيه شوب فقد فات
الصدق لله يقال هذا صادق الحموضة وصادق الحلاوة اذا كان
محضا * فيرجع هذا الى نفس الاخلاص ﴿والصدق الثالث﴾
في العزم فان العبد قد يعزم على التصدق ان رزق مالا وعلى
العدل ان رزق ولاية وعزمه تارة يكون مع ضعف وتردد
وتارة يكون جزما قويا لا تردد فيه * فالجزم القوي يسمى قويا
صادقا كما وجده عمر من نفسه رضى الله عنه حيث قال لان
اقدم فيضرب عنقي احب اليّ من ان اتأمر على قوم فيهم
ابو بكر رضى الله عنه * ودرجات عزم الصديقين في القوة

قد تتفاوت وأقصاها ان ينتهي الى الرضاء بضرب الرقبة دون الحقيقة ﴿ والصدق الرابع ﴾ الوفاء بالعزم فان النفس قد تسخو بالعزم اولا ولكن عند الوفاء ربما تتوانا عن كمال التحقيق لان المؤنة في العزم هين * وانما الشدة فى التحقيق — ولذلك قال تعالى ﴿ رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾ وقال ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن الى قوله فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ماوعدوه وبما كانوا يكذبون ﴿ الصدق الخامس ﴾ فى الاعمال بان يكون بحيث لا يدل على شيء من الباطن الا والباطن متصف به * ومعناه استواء السريرة والعلانية فالماشي على هدوٍّ يدل بحكمه على انه ذو وقار فى باطنه فان لم يكن كذلك في الباطن والتفت قلبه الى ان يخيل الى الناس انه ذو وقار فى باطنه فذلك الرياء * وان لم يلتفت الى الخلق قلبه ولكنه غافل فليس ذلك برياء ولكن يفوت به الصدق — ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ﴿ اللهم اجعل سريرتي خيرا من علانيتي واجعل لي علانية صالحة ﴾ وقال عبد الواحد كان الحسن البصري اذا امر بشيء كان من اعمل الناس به

واذا نهي عن شيء كان من اترك الناس له ولم ارقط احداً أشبه سريرته بعلانيته منه ﴿الصدق السادس﴾ وهو أعلى ابوابه الصدق في مقامات الدين كالخوف والرجاء والحب والرضاء والتوكل وغيرها فان لهذه المقامات اوايل ينطلق الاسم بها ولها حقايق وغايات اذ يقال هذا هو الخوف الصادق وهي الشهوة الصادقة ـ ولذلك قال تعالي انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الى قوله اولئك هم الصادقون* وقال تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر الى قوله اولئك الذين صدقوا الآية* فهذه درجات الصدق فمن تحقق في جميعها فهو صديق ومن لم يصب بعضها فرتبته بقدر صدقه ومن جملة الصدق تحقيق القلب بان الله هو الرزاق والتوكل عليه فلنذكره

﴿الاصل السابع في التوكل﴾

قال الله تعالى وعلى الله فليتوكل المتوكلون * وقال الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين * وقال ان الله يحب المتوكلين وقال ومن يتوكل على الله فهو حسبه * وقال اليس الله بكاف عبده * وقال ان الذين يعبدون من دون الله لا يملكون لكم

رزقا فابتغوا عند الله الرزق * وقال النبي صلى الله عليه وسلم لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا[1] وقال من انقطع الى الله كفاه الله تعالى كلّ مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب * ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها * وكان رسول الله اذا أصاب اهله خصاصة قال قوموا الى الصلوة ويقول بهذا أمرني ربي فقال وامر أهلك بالصلوة واصطبر عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى *

﴿ فصل ﴾

حقيقة التوكل عبارة عن حالة يصدر عن التوحيد * ويظهر اثرها على الاعمال فهي ثلاثة اركان * المعرفة والحال والعمل ﴿الركن الاول المعرفة﴾ وهي الاصل واعنى بها التوحيد فانها انما يتوكل على الله من لا يرى فاعلا سوى الله * وكمال هذه المعرفة يترجمه قولك ﴿لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير﴾ اذ فيه ايمان بالتوحيد وكمال القدرة والجود والحكمة التى يستحق بها الحمد فمن قال ذلك صادقا مخلصا فقد تم توحيده وثبت

---

[1] والبطنة الامتلاء الشديد من الطعام والخميصة الجوع

في قلبه الاعتقاد الذي منه ينبعث حال التوكل واعنى بالصدق فيه ان يصير معنى القول وصفا لازما لذاته غالبا على قلبه لا يتسع لتقدير غيره

﴿ فصل ﴾

هذا التوحيد له لبان وقشران وطباقه اربع كاللوز له لب ثم الدهن لب لبه * والقشرة العليا قشر قشره ﴿فالقشرة العليا﴾ القول باللسان المجرد ﴿ الثانية ﴾ الاعتقاد بالقلب جزما وهو درجة عوام الخلق ودرجة المتكلمين اذ لا يتميزون عن العوام الا بمعرفة الحيلة في دفع تشويش المبتدعة عن هذه الاعتقادات ﴿الثالثة﴾ وهى اللب ان ينكشف بنور الله عز وجل حقيقة هذا التوحيد ... سره بالحقيقة * وذلك بان يرى الاشياء الكثيرة ويعلم انها بجملتها صادرة عن فاعل واحد على الترتيب * وذلك بان يعرف سلسلة الاسباب وكيفية تسلسلها وارتباط اول السلسلة بمسبب الاسباب * وصاحب هذا المقام بعد فى تفرقة لانه يرى الافعال وكثرتها وارتباطها بالفاعل ﴿الرابعة﴾ وهو لب اللب ان لا يرى فى الوجود الا واحدا او يعلم ان الموجود بالحقيقة واحد وانما الكثرة فيه فى حق من تفرق نظره كالذي يرى

من الانسان مثلا رجله ثم يده ثم وجهه ثم رأسه فيغلب عليه كثرته فان رأى الانسان جملة واحدة لم يخطر بباله الآحاد بل كان كمدرك الشيء الواحد * فكذلك الموحد لا يفرق نظره بين السماء والارض وسائر الموجودات بل يرى الكل في حكم الشيء الواحد * وهذا له غور ويستدعي كشفه تطويلا فاطلبه من كتاب التوحيد والشكر من كتب الاحياء لتقف على تلويحات منه * والفناء في التوحيد انما يقع في هذا التوحيد وذلك بان يصير مستغرقا بالواحد الحق حتى لا يلتفت قلبه الى غيره ولا الى نفسه فان نفسه من حيث هي نفسه غير الله وان لم يتحقق له معنى الغيرية بنظر آخر واعتبار على وجه آخر

﴿ فصل ﴾

حقيقة التوكل انما يستدعي توحيد الفعل ولا يستدعي الفناء في توحيد الذات بل المتوكل يجوز ان يرى الكثرة والاسباب والمسببات ولكن ينبغي ان يشاهد ارتباط السلسلة بمسببها وما عندي ان ذلك يخفى عليك فيما يدخل فيه اختيار الآدميين فانك ان رأيت المطر سببا في النبات فتعلم ان المطر مسخر بواسطة

الغيم * والغيم مسخر بواسطة الريح وابخرة الجبال * وكذلك
الجبال جمادات مسخرة الى ان ينتهي الى الاول لامحالة* وان
كنت لاتعرف عدد الوسايط فلا يضرك ذلك وانما الذي
يخفى عليك افعال الآدميين فانك تقول من اطعمني طعاما
فانما يطعمني باختياره ان شاء اعطى وان شاء منع فكيف
لاأراه فاعلا* وانما مثلك في الالتفات اليه مثل النملة ترى سواد
الخط على البياض يحصل من حركة القلم فتضيف ذلك الى
القلم اذ حدقتها الصغيرة الضعيفة لاتمد الى الاصبع *ومنها الى
اليد *ومنها الى القدرة المحركة لليد* ومنها الى الارادة التي القدرة
مسخرة لها* ومنها الى المعرفة التي يتوقف انبعاث الارادة
وانجزامها عليها* ومنها الى صاحب القدرة والعلم والارادة
فكذلك انت تضيف افعال العباد الى ارادتهم ومعرفتهم وقدرتهم
اذ ليس يمتد نظرك الى القلم الذي ينسطر المعرفة به في الواح
القلوب* ومنه الى الاصابع التي ينتهي الى قلوب العباد * ومنها
الى اليد التي بها خمرت طينة آدم * ومنها الى القدرة التي
بها يتحرك اليد لتخمير الطينة * ومنها الى القادر الذي منه

يبدوا واليه يعود * وذلك لانك لاتعرف معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته * ولا معنى قوله تعالى خمرتُ طينةَ آدم بيدي * ولا معني قوله تعالى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم كلا ان الانسان ليطغى * فانك لاتعلم قلما الا من قصب ولا يدا ولا اصابع الا من لحوم وعظام ولا صورة الا الالوان والاشكال * فان انكشف لك ذلك علمت انك اذا رميت مارميت ولكن الله رمي * حيث سلط عليك دواعي جازمة ومعرفة حاكمة على القطع بان نجاتك في الرمي مثلا حتى انبعثت القدرة التي انفرد بخلقها خادمة للارادة * والمعرفة خادمة بالتسخير والاضطرار علمت انك مضطر الى عين الاختيار فتفعل ان شئت ذلك وتشاء اذا شاء الله شئت ام ابيت * وهذا الآن فيه سرّ يحرّك قاعدة الجبر والاختيار ويوهم تناقض التوحيد وتكاليف الشرع * وقد شرحناه في كتاب التوحيد والتوكل والشكر من كتب الاحياء * فاطلبه منه ان كنت من اهله *

﴿ فصل ﴾

لايكفي الايمان بتوحيد الفعل والذات في اثارة حالة التوكل

حتى ينضاف اليه الايمان بالرحمة والجود والحكمة اذبه تحصل الثقة بالوكيل الحق وهو ان يعتقد جزما . او ينكشف لك بالبصيرة ان الله تعالى لو خلق الخلايق كلهم على عقل أعقلهم بل على أكمل مايتصور ان يكون عليه حال العقل * ثم زادهم اضعاف ذلك علما وحكمة ثم كشف لهم عواقب الامور واطلعهم على اسرار الملكوت ولطايف الحكمة ودقايق الخير والشر * ثم امرهم ان يدبروا الملك والملكوت لما دبروه باحسن مما هو عليه ولم يمكنهم ان يزيدوا عليه او ينقصوا منه جناح بعوضة ولم يستصوبوا البتة دفع مرض وعيب ونقص وفقر وضر وجهل وكفر ولا ان يغيروا قسمة الله تعالى من رزق واجل وقدرة وعجز وطاعة ومعصية بل شاهدوا جميع ذلك عدلا محضا لا جور فيه * وحقا صرفا لا نقص فيه * واستقامة تامة لا قصور فيها ولا تفاوت بل كل مايرون نقصا فيرتبط به كمال آخر أعظم منه وما ظنوه ضررا فتحته نفع اعظم منه لا يتوصل الى ذلك النفع الا به * وعلموا قطعا ان الله تعالى حكيم جواد رحيم لم يبخل على الخلق اصلا ولم يدخر فى اصلاحهم امرا

وهـذا الآن بحر آخر في المعرفـة يحرّك امواجه سرّ القدر الذي منع من ذكره المكاشفون * وتحير فيه الاكثرون ولا يعقله الا العالمون* ولا يدرك تأويله الا الراسخون* وان حظ العوام ان يعتقدوا ان كل مايصيبهم لم يكن ليخطئهم وما يخطئهم لم يكن ليصيبهم وان ذلك واجب الحصول بحكم المشية الازلية وانه لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه بل كل صغير وكبير مستطر * وحصوله بقدر معلوم منتظر وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر ﴿الركن الثاني﴾ حال التوكل ومعناه ان تكل امرك الى الله عز وجل ويثق به قلبك وتطمئن بالتفويض اليه نفسك ولا تلتفت الى غير الله اصلا* ويكون مثالك مثال من وكّل في خصومته في مجلس القاضي من علم انه اشفق الناس عليه واقواهم في كشف الباطل واعرفهم به واحرصهم عليه فانه يكون ساكنا في بيته مطمئن القلب غير متفكر في كل الخصومة غير مستعين بآحاد الناس لعلمه بان وكيله حسبه وكافيه في غرضه وانه لايقاومه غيره *فمن تحققت معرفته بان الرزق والاجل والخلق والامر بيد الله تعالى وهو منفرد به

لاشريك له وان وجوده وحكمته ورحمته لانهاية لها ولا يوازيها رحمة غيره وجوده اتكل قلبه بالضرورة عليه وانقطع نظره عن غيره فان لم ينقطع فلا يكون ذلك الا لاحد امرين ﴿أحدهما﴾ ضعف اليقين بما ذكرناه * وضعف اليقين انما يكون لتطرق شك اليه او لعدم استيلائه على القلب * فان الموت يقين لاشك فيه ولكنه اذ لايستولي على القلب فهو كشك لايقين فيه ﴿الامر الثاني﴾ ان يكون القلب فى الفطرة جبانا ضعيفا * فالجبن والجراءة فطرتان والجبن يوجب كون النفس مطيعة لاوهام لاشك فى بطلانها حتى قد يخاف الانسان ان يبيت مع الميت فى فراش او فى بيت مع علمه بان الله لايحييه وان قدرته عليه كقدرته على ان يقلب في يده العصا حية وهو لايخاف ذلك بل قد يشبه العسل بالعذرة فيتعذر عليه تناوله مع علمه بانه تشبيه كاذب * وذلك لخور النفس وطاعة الاوهام * فكما لايخلو الانسان عن شيء منه وان ضعف فكذلك لايبعد ان يحصل اليقين بالتوحيد بحيث لايخالجه ريب ومع ذلك فيفرغ القلب الى الاسباب *

﴿ فصل ﴾

اذا عرفت أن التوكل عبارة عن حالة القلب في الثقة بالوكيل الحق وقطع الالتفات الى غيره ﴿ فاعلم ﴾ أن فيه ثلاث درجات ﴿ احداها ﴾ ما ذكرناه وهو كالثقة بالوكيل في الخصومة بعد اعتقاد كماله في الهداية والقدرة والشفقة ﴿ الثانية ﴾ وهي أقوى منها تضاهي حالة الصبي في ثقته بامه وفزعه اليها في كل مايصيبه وذلك لثقته بشفقتها وكفالتها ولكنه في توكله فان عن توكله فانه ليس يحصله بفكر وكسب وان كان لايخلو توكله عن نوع ادراك * وأما التوكل على الوكيل بالخصومة فكالمكتسب بالفكر والنظر ﴿ والثالثة ﴾ وهي الاعلى أن يكون بين يدى الله تعالى كالميت بين يدي الغاسل لا كالصبي فانه يزعق بامه ويتعلق بذيلها بل هذا كالصبي علم انه وان لم يزعق بامه فانها تطلبه وان لم يتعلق بذيلها فهي تحمله وان لم يسألها اللبن فهي تبتدىء بارضاعه فيكون هذا الشخص في حق الله عزّ وجلّ ساقط الاختيار لعلمه بانه مجرى القدر فلايبقى فيه متسع لغير الانتظار لما يجرى عليه * وهذا المقام يأبى الدعاء والسؤال ولا يمتنع الدعاء

في المقام الثاني والاول * ويمتنع التدبير في المقام الاخير ويمتنع في الثاني أيضاً الا في التعلق بالوكيل فقط * وفي الاول يمتنع التدبير بالتعلق بغيره ولا يمتنع بالطريق الذى رسمه الوكيل وسنه له وأمره به *

﴿ الركن الثالث فى الاعمال ﴾

وقد يظن الجهال ان شرط التوكل ترك الكسب وترك التداوي والاستسلام للمهلكات ـ وذلك خطأ لان ذلك حرام فى الشرع والشرع قد أثنى على التوكل وندب اليه فكيف ينال ذلك بمحظوره * وتحقيقه ان سعى العبد لا يعدو أربعة أوجه وهو جلب ماليس بموجود من المنفعة أو حفظ الموجود أو دفع الضرر كيلا يحصل أو قطعه كى يزول ﴿ الاول ﴾ جلب النافع وأسبابه ثلاثة * اما مقطوع به واما مظنون ظناً غالباً ظاهراً يوثق به أو موهوم * أما المقطوع به فمثاله أن لا تمتد اليد الى الطعام وهو جائع ويقول هذا سعيٌ وأنا متوكل أو يريد الولد ولا يواقع أهله أو يريد الزرع ولا يبث البذر ـ وهذا جهل لان سنة الله تعالى لا يتغير * وقد عرفك ان ارتباط هذه

المسببات بهذه الاسباب من السنة التى لا تجد لها تبديلا * وانما التوكل فيه بامرين ﴿ أحدهما ﴾ ان تعلم أن اليد والطعام والبذر وقدرة التناول وجميع ذلك من قدرة الله تعالى ﴿ والثاني ﴾ أن لا يتكل عليها بقلبه بل على خالقها وكيف يتكل على اليد * وربما يفلج في الحال أو يهلك الطعام * وذلك تحقيق قولك لا حول ولا قوة الا بالله * فالحول هي الحركة * والقوة هى القدرة * فاذا كان هذا حالك فانت متوكل وان سعيت * وأما المظنون فكاستصحاب الزاد في البوادى والاسفار فليس تركه شرطا في التوكل بل هى سنة الاولين بل يكون الاعتماد على فضل الله تعالى بدفع السراق وابقاء الزاد والحياة والقدرة على التناول وأما الموهومات فكالاستقصاء في حيل المعيشة واستنباط دقائق الامور فيها * وذلك ثمرة الحرص * وقد يحمل على أخذ الشبهة فكل ذلك يناقض التوكل * والدليل عليه ان النبي صلى الله عليه وسلم وصف المتوكلين بانهم لا يكتنون ولا يسترقون ولم يصفهم بانهم لا يسكنون الامصار * ولا يكتسبون فما نسبته الى السبب كنسبة الرقية والكي فتركها من شروط التوكل

﴿الفن الثاني﴾ من تدبير الاسباب الادخار * فالمتوكل اذا ورث مالا وادخر لسنة فما فوقه أبطل توكله وان قنع بقوت يومه وفرق الباقي فهو تمام التوكل وان ادخر لاربعين يوماً * قال سهل التستري بطل توكله ولا ينال المقام المحمود الذي وعد للمتوكلين * وقال الخواص لا يبطل * واتفقوا على أن الزيادة عليه يبطل التوكل الا اذا كان معيلا فله أن يدخر قوت عياله لسنة كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق عياله وفي حق نفسه كان لا يدخر من غدائه لعشائه ولا شك أن طول الامل يناقض التوكل *ومهما قلت مدة الادخار كانت الرتبة أعظم * ولكن سنة الله تعالى جارية بتكرر الارزاق عند تكرار السنة *فالادخار لاكثر من سنة غاية الضعف وليس من التوكل في شيء ﴿فاما﴾ ادخار الكوز وأثاث البيت فذلك جائز لان سنة الله تعالى لم تجر بتكررها كتكرر الارزاق ويحتاج اليها في كل وقت وليس كثوب الشتاء فانه لا يحتاج اليه في الصيف وادخاره على خلاف التوكل قال النبي صلى الله عليه وسلم في فقير دفن انه يحشر يوم القيامة

ووجهه كالقمر ليلة البدر ولولا خصلة كان كالشمس الضاحية
كان اذا جاء الشتاء إدخر حلة الصيف لصيفه ﴿ الفن الثالث ﴾
في مباشرة الاسباب الدافعة كالفرار من السبع ومن الجدار المائل
ومجرى السيل ودفع الامراض بالادوية وذلك ايضاً له درجات
فاستنبطها بالقياس الى ماذكرناه وقد فسرناه في الاحياء *

﴿ فصل ﴾

اعلم ان ترك الادخار محمود لمن غلب يقينه وقوى قلبه واما
الضعيف الذي يضطرب قلبه لو لم يدخر لم يتفرغ للعبادة
فالافضل له ان يدع طريق المتوكلين ولا يحمل نفسه مالا
يطيقه اذ فساد ذلك في حقه اكثر من صلاحه بل يعالج كل
واحد على حسب حاله وقوته * وقد تنتهي القوة الى ان يجوز
السفر في البوادي من غير زاد وذلك لمن يصبر عن الطعام
اسبوعا ويقنع بالحشيش فان ذلك لا يُعوزُه غالباً في البادية
فأما الضعيف اذا فعل ذلك فهو عاص ملق نفسه في التهلكة
والقويّ ان حبس نفسه في كهف جبل ليس فيه حشيش ولا
يجتاز به انسان فذلك ايضا حرام لانه خالف سنة الله تعالى

فى خلقه وانما جاز له ذلك في البوادي لان سنة الله جارية بانها لا تخلو عن الحشيش وقد يجتاز بها الآدميون فاذا قوى كان هلاكه نادراً فلم يكن بذلك عاصياً فله ان يسافر في البادية متكلا على لطيف صنع الله تعالى وغير قاصر التفاته على الاسباب الجلية الواضحة *

## ﴿ الاصل الثامن في المحبة ﴾

قال الله تعالى يحبهم ويحبونه * وقال قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله الآية * وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما * وقال عليه السلام احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني لحب الله عز وجل * وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه من ذاق خالص محبة الله عز وجل منعه ذلك من طلب الدنيا واوحشه من جميع البشر * وقال الحسن البصري رحمة الله عليه من عرف الله تعالى احبه ومن عرف الدنيا زهد فيها * والمؤمن لا يلهو حتى يغفل واذا تفكر حزن

﴿ فصل ﴾

اعلم ان اكثر المتكلمين انكروا محبة الله تعالى واولوها* وقالوا لا معنى لها الا لامتثال أوامره والا فما لا يشبهه شيء ولا يشبه شيئا ولا يناسب طباعا فكيف نحبه وانما يتصور منا ان نحب من هو من جنسنا وهؤلاء محرومون بجهلهم بحقايق الامور وقد كشف الغطاء عن هذا في كتاب المحبة من كتب الاحياء فطالعها لتصادف منها اسراراً تخلو الكتب عنها * فاقنع في هذا المختصر بتلويحات واشارات *

﴿ فصل ﴾

﴿اعلم﴾ ان كل لذيذ محبوب ومعنى كونه محبوبا ميل النفس اليه فان قوي الميل سمي عشقا * ومعنى كونه مبغوضاً نفرة النفس عنه لكونه مؤلما* فان قوي البغض والنفرة سمي مقتاً ﴿ واعلم﴾ ان الاشياء التي تدركها بحواسك وجميع مشاعرك اما ان يكون موافقة لك ملايمة وهو اللذيذ او تكون منافية مخالفة وهو المولم اولا موافقة ولا مخالفة وهو الذي لا ألم فيها ولا لذة * وكل لذيذ محبوب اي للنفس الملتذة به ميل

لا محالة اليه ﴿ واعلم ﴾ ان اللذة تتبع الادراك والادراك
ادراكان ظاهر وباطن * اما الظاهر فبالحواس الخمس فلا
جرم لذة العين في الصور الجميلة * ولذة الاذن في النغمات الموزونة
الطيبة * ولذة الذوق والشم في الطعوم والروايح الملايمة الموافقة
ولذة جملة البدن في ملابسة الناعم اللين * وجملة ذلك محبوبة
للنفس اي للنفس ميل اليها * واما الادراك الباطن فهو اللطيفة
التي محلها القلب تارة يعبر عنها بالعقل وتارة بالنور وتارة
بالحس السادس * ولا تنظر الى العبارات فتغلط بل قال النبي
صلى الله عليه وسلم ﴿ حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء
وقرة عيني في الصلوة ﴾ فتعلم ان الطيب والنساء فيهما حظ الشم
واللمس والبصر * والصلوة لا حظ فيها للحواس الخمس بل
للادراك السادس الذي محله القلب ولا يدركها من لا قلب
له وان الله يحول بين المرء وقلبه * ومن اقتصر من لذته على
الحواس الخمس فهو بهيمة لان البهيمة تشاركه فيها * وانما خاصية
الانسان التميز بالبصيرة الباطنة * ولذة البصر الظاهر في الصور
الجميلة الظاهرة * ولذة البصيرة الباطنة في الصور الجميلة الباطنة *

﴿ فصل ﴾

لعلك تقول مامعنى الصور الجميله الباطنة ﴿ فاقول ﴾ ماعندي انك لاتحس من نفسك حب الانبياء والعلماء والصحابة ولا تدرك من نفسك تفرقة بين الملك العادل العالم الشجاع الكريم العطوف على الخلق وبين الظالم الجاهل البخيل الفظ الغليظ وما عندي انك اذا حكى لك صدق ابي بكر وسياسة عمر وسخاوة عثمان وشجاعة علي رضوان الله عليهم لاتجد في نفسك هزة وارتياحاً وميلا الى هؤلاء والى كل موصوف بخلال الكمال من نبيّ وصديق وعالم * وكيف تنكر هذا وفي الناس من يقتدي بنفسه ارباب المذاهب ويحمله حبه لهم على البذل بالمال والنفس في الذب عنهم وتجاوز ذلك حد العشق وانت تعلم ان حبك لهؤلاء ليس لصورهم الظاهرة فانك لم تشاهدها ولوشاهدتها ربما لم تستحسنها واذا استحسنت * فلو تشوهت صورهم الظاهرة وبقيت صفاتهم المعنوية الباطنة لبقي حبهم واذا فتشت عن محبوبك منهم رجع بعد التفصيل الطويل الذي لايحتمله هذا الكتاب الى ثلاث صفات ﴿ العلم والقدرة

والنزاهة عن العيوب * اما العلم فكعلمهم بالله وملائكته وكتبه
ورسله وعجايب ملكوته ودقايق شريعة انبيائه * واما القدرة
فكقدرتهم على انفسهم بكسر شهوتها وحملها على الصراط
المستقيم وقدرتهم على العبادة بسياستهم وارشادهم الى الحق
واما النزاهة فكسلامة باطنهم من عيب الجهل والبخل والحسد
وخبائث الاخلاق واجتماع كمال العلم والقدرة مع حسن
الاخلاق وهو حسن الباطن وهي الصورة الباطنة التي لا تدركها
البهيمة ومن في مثل حالها بالبصر الظاهر * ثم اذا احببت هؤلاء
بهذه الصفات وعلمت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اجمع
منهم لهذه الخصال كان حبك له اشد بالضرورة فارتفع نظرك
الآن من النبي الى مرسِل النبي وخالقه والمتفضل على الخلق
ببعثه لتعلم ان بعثه الانبياء حسنة من حسناته * ثم انسب قدرة
الانبياء وعلمهم وطهارتهم الى علم الله سبحانه وقدرته وقدسه
لتعلم انه لا قدوس سوي الواحد الحق وان غيره لا يخلو من
عيب ونقص بل العبودية أعظم انواع النقص فأيّ كمال لمن
لا قوام له بنفسه ولا يملك لنفسه موتا ولا حيوة ولا رزقا

ولا أجلا وايّ علم لمن يشكل عليه صفات باطنه في مرضه وصحته بل لا يعلم جميع جوارحه الباطنة وتفصيلها وحكمها بالتحقيق فضلا عن ملكوت السموات والارض * وانسب هذا الى العلم الازلي المحيط بجميع الموجودات ومعلومات لا نهاية لها الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض والى قدرة خالق السموات والارض الذي لا يخرج موجود عن قبضة قدرته في وجوده وبقائه وعدمه * وانسب نزاهته من العيوب الى قدسه لتعلم انه لا قدس ولا قدرة ولا علم الا للواحد الحق * وانما لغيره القدرة التي اعطاه ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وما أوتيتم من العلم الا قليلا * فانظر الآن هل يمكنك ان تنكر ان هذه الصفات والمحامد محبوبة أو تنكر ان الموصوف بكمال الجلال هو الله تعالى وانظر كيف تنكر حبه بعد ذلك *

﴿ فصل ﴾

ان قصرت بصيرتك عن ادراك الجلال والكمال والميل الى مطالعته والفرح به والعشق له * فلا تقصر عن الميل الى المنعم

المحسن اليك * ولا تكونن اقل من الكلب فانه يحب صاحبه
الذى يحسن اليه * وتأمل هذا فى العالم هل لاحد احسان اليك
سوى الله تعالى وهل لك حظ ولذة وتنعم في شيء وحرص
على نعمه الا والله سبحانه خالقها ومبديها ومبقيها وخالق
الشهوة اليها والتلذذ بها * وتفكر فى اعضائك ولطف صنع الله
تعالى بك فيها لتحبه باحسانه اليك فتكون من عوام الخلق
ان لم تقدر ان تحبه لجماله وجلاله وكماله كما تحبه الملائكة لذلك
وامتثال قوله عليه السلام احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه
واحبوني لحب الله * وعند هذا تكون كالعبد السوء يحب
ويعمل للاجرة والنفقة فلا جرم يزيد حبك وينقص بزيادة
الاحسان ونقصانه — وذلك ضعيف جدا بل الكامل من يحب
الله لجلاله وجماله ومحامد صفاته التي لا يتصور ان يشارك فيها
ولذلك اوحي الله تعالى الى داود عليه السلام أن اودّ الاوداء
اليّ من عبدني بغير نوال لكن ليعطى الربوبية حقها * وفي الزبور
من اظلم ممن عبدني لجنة او نار لو لم اخلق جنة ولا ناراً ألم
اكن أهلا ان أطاع * ومرّ عيسى عليه السلام بطائفة من العباد

وقد تخلوا للعبادة * وقالوا نخاف النار ونرجو الجنة * فقال مخلوقا خفتم ومخلوقا رجوتم * ومر بقوم آخر كذلك فقالوا نعبده حبا له وتعظيما لجلاله * فقال أنتم اولياء الله حقا ومعكم امرت ان اقيم

﴿ فصل ﴾

العارف لا يحب الا الله تعالى فان احب غيره فيحبه لله عز وجل اذ قد يحب المحبُّ عبد المحبوب واقاربه وبلده وثيابه وضيعته وتصنيفه وكل ماهو منه واليه نسبته * وكل ما في الوجود صنع الله عز وجل وتصنيفه * وكل الخلق عباد الله تعالى فان احب الرسول احبه لانه رسول محبوبه وحبيبه وان احب الصحابة فلانهم محبوبوا رسوله ولانهم محبوه وعبيده والمواظبون على طاعته * وان احب طعاما فلانه يقوّي مركبه الذي به يصل الى محبوبه اعني البدن * وان احب الدنيا فلانها زاده الى محبوبه وان احب النظر الى الازهار والانهار والانوار والصور الجميلة فلانها صنعة محبوبه وهي دلالات على جماله وجلاله ومذكرات لصفات المحامد التي هي المحبوبة في ذاتها وان احب المحسن اليه والمعلم اياه علوم الدين فيحبه لانه واسطة بينه وبين محبوبه

فى ايصال علمه وحكمه اليه ويعلم انه الذى قيضه لتعليمه وارشاده والانفاق عليه من ماله وانه لولا تسليط الدّواعي اليه واضطراره بسلسلة البواعث والاغراض الى ارشاده والانفاق عليه لما فعله * واعظم الخلق احسانا علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولله المنة والفضل بخلقه وبعثه كما قال هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة * فما الرسول الا عبد مسخر مبعوث محمول على تبليغ الرسالة بالاضطرار — ولذلك قال الله تعالى انك لاتهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء * وتأمل سورة الفتح وقوله تعالى ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا * فقد انزله منزلة النظارة وقال اذا رأيت عباد الله يدخلون في دين الله فقل بحمد الله لا بحمدى وهو معنى التسبيح بحمد ربه * فان التفت قلبك الى نفسك وسعيك فاستغفره ليتوب عليك ﴿ واعلم ﴾ انه ليس لك من الامر شيء * ومن ههنا نظر عمر رضى الله عنه حيث وصل كتاب خالد بعد فتح مكة من خالد سيف الله المسلول على

المشركين الى ابي بكر امير المؤمنين * فقال ان نصر الله المسلمين نظر خالد الى نفسه ويسميها سيفاً مسلولا على المشركين * ولو لاحظ الحق كما هو لعلم ان ليس ذلك بسيفه ولكن لله تعالى سرٌّ في ارادته بنصرة الاسلام فينصره بخطرة واحدة وهو خاطر رعب يلقيه في قلب كافر فينهزم * وينظر اليه غيره فينهزم وتعم الهزيمة فينظر خالد ومن هو في مثل حاله انه علا كلمة الاسلام بصرامته وحدة سيفه * ويطلع عمر رضي الله عنه ومن هو في مثل حاله من الصديقين والاولياء على حقيقة الحال ويعلم حاجة خالد الى الاستغفار وان يسبح بحمد ربه اذا رأى ذلك كما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا لا موجب للمحبة الا أمران ﴿أحدهما﴾ الاحسان ﴿والآخر﴾ غاية الجلال والجمال بكمال الجود والحكمة والعلو والقدرة والتقديس من العيب والنقص ولا احسان الا منه ولا جلال ولا جمال ولا قدس الا له * فكل ما في العالم من حسن واحسان فهو حسنة من حسنات جوده * يسوقها الى عباده بخطرة واحدة يخلقها في قلب المحسن فكل ما في العالم من صورة مليحة وهيئة جميلة

يدرك بعين أو سمع أو شم فائر من آثار قدرته وهى بعض معانى جماله * فليت شعرى لمن عرف بالمشاهدة المحققة والبرهان القاطع جميع هذا كيف يتصور ان يلتفت الى غير الله تعالى أو يحب غير الله عز وجل *

﴿ فصل ﴾

اعلم أن لذة العارف فى الدنيا من مطالعة جمال الحضرة الربوبية أعظم من كل لذة يتصور أن يكون فى الدنيا سواها وذلك لان اللذة على قدر الشهوة * وقوة الشهوة على قدر الملائمة والموافقة مع المشتهى * وكما ان اوفق الاشياء للابدان الاغذية فاوفق الاشياء للقلوب المعرفة * فالمعرفة غذاء القلب وأعنى بالقلب الروح الربانى الذى قال الله تعالى فيه ﴿قل الروح من أمر ربى﴾ وقال تعالى ونفخت فيه من روحى فاضافه الى نفسه * وهذا الروح لا يكون للبهائم ولمن هو فى مثل حالها من الانس بل يختص به الانبياء والاولياء —ولذلك قال تعالى وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء

من عبادنا* فالمعرفة أوفق الاشياء لهذه الروح لان أوفق
لكل شئ خاصية* فالصوت الطيب لا يوافق البصر لانه ليس
من خاصيته *وخاصية روح الانسانى معرفة الحقايق وكلما كان
المعلوم أشرف كان العلم به الذ* ولا أشرف من الله تعالى ولا أجل
منه *فمعرفته ومعرفة صفاته وذاته وعجائب ملكه وملكوته
الذ الاشياء عند القلب لان شهوة ذلك أشد الشهوات ــ ولذلك
يخلق آخرا بعد سائر الشهوات * وكل شهوة تأخرت فهى
أقوى مما قبلها* فاول ما يخلق شهوة الطعام * ثم يخلق له شهوة
الوقاع فيترك شهوة الطعام لاجله ويستحقر فيه* ثم يخلق له
شهوة الرياسة والجاه والغلبة * ويستحقر فيها شهوة المنكح والمطعم
ثم يخلق له شهوة المعرفة التى هى استيلاء على كل الموجودات
فيستحقر فيها الجاه والرياسة وهى آخر شهوات الدنيا وأقواها
وكما ان الصبي ينكر شهوة الوقاع ويتعجب ممن يتحمل مؤنة
النكاح لاجلها * فاذا بلغ شهوة الوقاع اكب عليها وانكر شهوة
الجاه والرياسة ولم يبال بفواتها في قضاء شهوة الفرج ــ فكذلك
المشعوف بشهوة الجاه* والرياسة ينكر لذة المعرفة اذ لم

يخلق فيه بعد شهوتها * وقد ينتهي شهوة شرهه على الجاه الى مرض قلبه حتى لايقبل شهوة معرفة الله عز وجل اصلاً كما يفسد مزاج المريض فيسقط شهوته للغذاء حتى يموت * وقد ينعكس طبعه فيشتهي الطين والاشياء المضرة المهلكة وهي مقدمات الموت — فكذلك مرض القلب قد ينتهي الى حد ينكر المعرفة ويبغضها ويبغض أهلها والمقبلين عليها ولا يدرك الالذة الرياسة أوالمطعم والمنكح * وذلك هو الميت الذي لايقبل العلاج وفي مثله قيل ﴿انا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابداً﴾ وفيهم قيل أموات غير احياء وما يشعرون ايان يبعثون *

﴿فصل﴾

هذه المعرفة وان عظمت لذتها فلا نسبة لها الى لذة النظر الى وجه الله الكريم في الدار الآخرة — وذلك لايتصور في الدنيا لسر لا يمكن الآن كشفه ولا ينبغي ان تفهم من النظر مايفهمه العوام والمتكلمون فيحتاج في تقديره الى جهة ومقابلة — فذلك من

نظر من اقعده القصور فى بحبوحة عالم الشهادة حتي لم يجاوز
المحسوسات التى هى مدركات البهايم لكن ينبغى ان تفهم
ان الحضرة الربوبية تنطبع صورتها وترتيبها العجيب على ماهو
عليه من البهاء والعظمة والجلال والمجد فى قلب العارف كما
ينطبع مثلا صورة العالم المحسوس في حواسك فكانك تنظر
اليه وان غمضت عينيك *فان فتحت العين ووجدت الصورة
المبصرة مثل الصورة المتخيلة قبل فتح العين لاتخالفها في شيء
الا ان الابصار فى غاية الوضوح بالنسبة الى التخيل ـ وكذلك
ينبغى ان تعلم ان فى ادراك مالا يدخل في الخيال والحس أيضا
فى درجتين متفاوتين فى الوضوح غاية التفاوت * ونسبة الثانية
الى الاولي كنسبة الابصار الي التخيل فيكون الثانية غاية
الكشف فيسمى لذلك مشاهدة ورؤية *والرؤية لم تسم رؤية لانها
فى العين اذ لو خلقت في الجبهة لكانت رؤية بل لانها غاية
الكشف وكما ان تغميض الاجفان حجاب من غاية الكشف
في المبصر * فكدورة الشهوات وشواغل هذا القالب المظلم
حجاب عن غاية المشاهدة* ولذلك قال الله تعالى لن ترانى

وقال تعالى لا تدركه الابصار * فاذا ارتفع هذا الحجاب بعد الموت انقلبت المعرفة بعينها مشاهدة * ويكون مشاهدة كل واحد على قدر معرفته — ولذلك تزيد لذة أولياء الله سبحانه فى النظر على لذة غيرهم ويتجلى الله تعالى لابى بكر رضي الله عنه خاصة ويتجلى للناس عامة * وكذلك لايراه الا العارفون لان المعرفة بدؤ النظر بل هى التى تنقلب مشاهدة كما ينقلب التخيل أبصارا * فلذلك لا يقتضي مقابلة وجهة * وسر هذا طويل فاطلبه من كتاب المحبة فى الاحياء *

﴿ فصل ﴾

لوكان معشوقك وأنت تراه من وراء ستر رقيق في وقت الاسفار وفى حالة ضعف الضوء وفي حالة اجتمع عليك تحت ثوبك عقارب وزنابير تلدغك وتشغلك فلا يخفي ان لذتك من مشاهدة معشوقك تضعف فلو اشرقت الشمس دفعة فارتفع الستر الرّقيق وأنصرفت عنك العقارب والزنابير وهجم عليك العشق المفرط البليغ فلا نسبة لهذه اللذة العظمية التى تحصل الآن الى ما كان قبل ذلك — وكذلك فافهم انه لا يشبه لذة النظر الى لذة

المعرفة بل هى أعظم منها كثيرا * والستر الرّقيق قالبك * والعقارب شواغل الدنيا وغمومها وشهواتها * وهجوم العشق شدة الشهوة لانقطاع المضعفات والمنغصات عنها * واشراق الشمس هو استمداد حدقة القلب لاحتمال تمام التجلي فانها فى هذه الحيوة لا يحتمل بصر الخفاش نور الشمس *

﴿ فصل ﴾

انما ضعفت شهوة معرفة الله تعالى لزحمة ساير الشهوات وانما خفيت معرفة الله تعالى مع جلائها لشدة ظهورها * ومثاله انك تعلم ان اظهر الاشياء المحسوسات * ومنها المبصرات * ومنها النور الذي به يظهر لك الاشياء * ثم لو كانت الشمس دائمة لا تغيب ولا يقع لها ظل لكنت لا تعرف وجود النور وكنت تنظر الى الالوان فلا ترى الا الحمرة والسواد والبياض * فاما النور فلا تدركه الا بان تغيب الشمس او يقع لها حجاب بما له ظل فتدرك باختلاف الاحوال بين الظلمة والضياء ان النور شيء آخر يعرض للالوان فتصير مبصرة ولو تصوّر لله سبحانه غيبة او لانوار قدرته حجاب عن بعض الاشياء لادركت

من التفاوت مايضطر معه الى المعرفة ولكن الموجودات
كلها لما تساوت فى الشهادة لخالقها بالوحدانية من غير تفاوت
خفي الامر لشدة جلائه* ولو تصوروا انقطاع انوار قدرته عن
السموات والارض لانهدمت وانمحقت وادرك في الحال
من التفاوت مايضطر الى المعرفة بالقدرة والقادر *وهذا امثال
ماذكرناه وتحته اسرار*وفيه مواقع غلط* فاجتهد لعلك تقف
على اسراره ولا ترتبك فى مواقع غلطه فمنه غلط من قال
انه فى كل مكان وكل من نسبه الى مكان او جهة فقد ذل
فضلّ ورجع غاية نظره الى التصرف فى محسوسات البهايم
ولم يجاوز الاجسام وعلايقها *واول درجات الايمان مجاوزتها
فيه يصير الانسان انسانا فضلا عن ان يصير مؤمنا

﴿ فصل ﴾

﴿ اعلم ﴾ ان للمحبة علامات كثيرة يطول احصاؤها ومن
علاماتها تقديم اوامر الله تعالى على هوى النفس والتوقي بالورع
ورعاية حدود الشرع * ومن علاماتها الشوق الى لقاء الله والخلو
عن كراهية الموت الا من حيث يتشوق الى زيادة المعرفة

فان لذة المشاهدة بقدر كمال المعرفة فانها بذر المشاهدة فتختلف لا محالة باختلافها * ومن علاماتها الرضاء بالقضاء بمواقع قدر الله عز وجل فلنذكر معنى الرضاء حتى لا يغتر الانسان بما يصادف في نفسه من خطرات تخطر فيظن انها حقيقة الحب لله تعالى فان ذلك عزيز جداً *

﴿ الاصل التاسع الرضاء بالقضاء ﴾

قال الله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه *وقال صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبداً ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه *وقال عليه السلام أعبدالله تعالى بالرضاء فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير *وقال عليه السلام لطائفة ما أنتم فقالوا مؤمنون فقال وما علامة ايمانكم فقالوا نصبر على البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء * فقال مؤمنون ورب الكعبة وفى رواية انه قال حكماء علماء كادوا من فقههم ان يكونوا انبياء * ومما اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ما لاوليائى والهم بالدنيا ان الهم يذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم ان محبتى من اوليائى ان يكونوا روحانيين

لا يغتمون * وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى * انا الله لا اله الا انا فمن لم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي ولم يرض بقضائي فليطلب ربا سواى * وقال عليه السلام قال الله تعالى خلقت الخير وخلقت له اهلا * وخلقت الشر وخلقت له اهلا فطوبى لمن خلقته للخير ويسرته على يديه * وويل لمن خلقته للشر ويسرت الشر على يديه * وويل ثم ويل لمن قال لم وكيف * واوحي الله سبحانه الى داود عليه السلام ياداود تريد واريد وانما يكون ما اريد فان سلّمت لما اريد كفيتك ما تريد وان لم تسلّم لما اريد اتعبتك فيما تريد ثم لايكون الا ماأريد *

﴿ فصل ﴾

قد انكر الرضا جماعة * وقالوا لا يتصور الرضاء بما يخالف الهوى وانما يتصور الصبر فقط وانما اوتوا من انكار المحبة ونحن نحققها وعلامتها الرضاء بالبلاء وبما يخالف الطبع والهوى وذلك يتصور من ثلاثة اوجه ﴿احدها﴾ ان يدهشه مشاهدة الحب وافراطها عن الاحساس بالالم وذلك مشاهد في حب المخلوقين وفى غلبة الشهوة والغضب حتى ان الغضبان تصيبه الجراحة فلا

يحس بها فى الوقت وحتى ان الحريص تصيبه شوكة في رجله فلا يحس بها * ثم اذا سكن غضبه وظفر بمراده عظم ألمه * واذا تصور ان ينغمر الم يسير بحب يسير تصور ان ينغمر الم كثير بحب قوي بالغ فان كل واحد من الحب والالم يقبل الزيادة والشدة ومهما تصور مثل هذا فى عشق يرجع الى الميل الى صورة مركبة من لحم ودم مشحون بالاقذار والخبايث * وانما يدرك بعين ظاهرة يغلب الغلط عليها حتى ترى الكبير صغيرا والبعيد قريبا والقبيح جميلا فكيف لا يتصور بالادراك جمال الحضرة الربوبية والجلال الازلي الابدي الذى لا يتصور انقطاعه ونقصانه المدرك بالبصيرة الباطنة التى هي اصدق واوضح عند اهلها من البصر الظاهر * ومن هذا الاصل قال الجنيد رحمه الله قلت لسرىّ السقطي رحمه الله هل يجد المحب ألم البلاء قال لا قلت وان ضرب بالسيف قال لا وان ضرب بالسيف سبعين ضربة ضربة على ضربة * وقال بعضهم أحببت كل شئ لحبه حتى لو احب النار احببت الدخول فى النار وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله مابقي لي فرح الا في موقع

قدر الله تعالى * وضاع لبعض الصوفية ولد صغير ثلاثة ايام فقيل له لوسألت الله تعالى ان يرده عليك* فقال اعتراضي عليه فيما قضى اشد علي من ذهاب ولدي ﴿ الوجه الثاني ﴾ من الرضا ان يحس بالالم ويكرهه بالطبع ولكن يرضى به بعقله وايمانه لمعرفته بجزالة الثواب على البلاء كما يرضى المريض بألم الفصد وشرب الدواء لعلمه بانه سبب الشفاء حتى انه ليفرح بمن يهدى اليه الدواء وان كان بشعا * وكذلك يرضى التاجر بمشقة السفر وهو خلاف طبعه * وهذا ايضا يشاهد مثله في الاغراض الدنيوية فكيف ينكر في السعادة الاخروية * وروي ان امرأة فتح الموصلي الانصاري عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها اما تجدين ألم الوجع فقالت ان لذة ثوابه أزالت عن قلبي مرارة وجعه فاذا من ايقن ان ثواب البلاء أعظم مما يقاسيه لم يبعد ان يرضى به ﴿ الوجه الثالث ﴾ ان تعتقد أن لله تعالى تحت كل أعجوبة لطيفة بل لطايف وذلك يخرج عن قلبه (لم وكيف) حتى لا يتعجب مما يجرى على العالم مما يظنه الجاهل تشويشا واضطرابا وميلا عن الاستقامة

ويعلم ان تعجبه كتعجب موسى من الخضر عليه السلام لما خرق سفينة الايتام وقتل الغلام وأعاد بناء الجدار كما في سورة الكهف * فلما كشف الخضر عن السر الذي اطلع عليه سقط تعجبه وكان تعجبه بناء على ما اخفى عنه من تلك الاسرار وكذلك افعال الله تعالى. مثاله ما حكي عن رجل من الراضين انه كان يقول في كل ما يصيبه ( الخيرة فيما قدره الله تعالى) وكان في بادية ومعه اهله وليس له الا حمار يحمل عليه خباءه وكلب يحرسهم وديك يوقظهم* فجاء ثعلب واخذ الديك فقال خيرة وجاء ذيب وقتل الحمار فحزن اهله فقال خيرة *ثم اصيب الكلب فمات. فقال خيرة فتعجبت اهله من ذلك حتى اصبحوا وقد سبي من حولهم واسترق اولادهم وكان قد عرف مكانهم بصوت الديك ومكان بعضهم بنبيح الكلب ومكان بعضهم بنهيق الحمار * فقال قد رأيتم ان الخيرة فيما قدره الله سبحانه فلو لم يهلكهم الله عز وجل لهلكتم وهلكنا* وروي ان نبياً كان يتعبد في جبل وكان بالقرب منه عين فاجتاز بها فارس وشرب ونسي عندها صرة فيها الف دينار وجاء آخر فاخذ الصرة ثم جاء

رجل فقير على ظهره حزمة حطب فشرب واستلقى ليستريح فرجع الفارس في طلب الصرة فلم يرها فاخذ الفقير فطالبه وعذبه فلم يجد عنده فقتله * فقال النبي الهى ﴿ ما هذا ﴾ أخذ الصرة ظالم آخر وسلطت هذا الظالم على هذا الفقير حتى قتله فاوحى الله تعالى اليه اشتغل بعبادتك فليس معرفة أسرار الملك من شأنك ان هذا الفقير كان قدقتل ابا الفارس فمكنته من القصاص وان ابا الفارس كان قد اخذالف دينار من مال آخذ الصرة فرددته اليه من تركته * فمن ايقن بامثال هذه الاسرار لم يتعجب من افعال الله تعالى وتعجب من جهل نفسه ولم يقل لم وكيف فرضى بما دبره الله في ملكوته * وههنا وجوه اربع تتشعب عن محض المعرفة بكمال الجود والحكمة وبكيفية ترتيب الاسباب المتوجهة الى المسببات ومعرفة القضاء الاول الذى هو كلمح البصر ومعرفة القدر الذي هو سبب ظهور تفاصيل القضاء * وانها رتبت على اكمل الوجوه واحسنها * وليس في الامكان احسن منها واكمل ولو كان وادّخر لكان بخلا لا جوداً

وعجزا يناقض القدرة وينطوي تحت ذلك معرفة سرّ القدر وكان من أيقن ذلك لم ينطو ضميره الا على الرضا بكل ما يجري من الله * وشرح ذلك يطول ولا رخصة فيه أيضاً فلنتجاوزه *

﴿ فصل ﴾

لعلك تقول كيف أجمع بين الرضا بقضاء الله تعالى وبين بغض أهل الكفر والعصيان وقد تعبدت به شرعا وذلك مراد الله تعالى فيهم ﴿ فاعلم ﴾ أن طائفة من الضعفاء ظنوا أن ترك الامر بالمعروف من جملة الرضا بالقضاء وسموه حسن الخلق وهو جهل محض بل عليك أن ترضى وأن تكره جميعا والرضا والكراهية يتضادان اذا تواردا على شيء واحد من وجه واحد ولا يتناقض أن يقتل عدوّك الذي هو عدوّ عدوّك أيضا فترضاه من حيث أنه عدوّك وتكرهه من حيث أنه عدوّ عدوّك * فكذلك للمعصية وجهان وجه الى الله تعالى من حيث أنها بقضائه ومشيئته فهو من هذا الوجه مرضيّ به * ووجه الى العاصي من حيث أنه صفته وكسبه

وعـلامة كونه ممقوتا من الله تعالى فهو من هـذا الوجه مكروه * وقد تعبدك الله تعالى ببغض من يبغضه من المخالفين لامره فعليك بما تعبدك به والامتثال له * ولو قال لك محبوبك اني أريد أن أمتحن حبك بان أضرب عبدى وارهقه الى أن يشتمنى فمن أبغضه فهو محبي ومن أحبه فهو عدوى فيمكنك أن تبغض عبده اذا شتمه مع أنك تعلم أنه الذى اضطره الى الشتم وكان ذلك مرادا منه * فيقول أما فعله في الشتم فاني أرضى به من حيث أنه تدبيرك فى عبدك ومرادك ممن أردت ابعاده * وأما شتمه من حيث هو صفته وعلامة عداوته فانى أبغضه لاني أحبك فابغض لا محالة من عليه علامة عداوتك وهذه دقيقة زل فيها الضعفاء فلذلك يتهافتون فيها *

﴿ فصل ﴾

كذلك ينبغي أن لا تظن أن معنى الرضا بالقضاء ترك الدعاء بل ترك السهم الذى أرسل اليك حتى يصيبك مع قدرتك على دفعه بالترس بل تعبدك الله عز وجل بالدعاء ليستخرج به من قلبك صفاء الذكر وخشوع القلب ورقته لتستعد به لقبول

الالطاف والانوار فمن جملة الرضا بقضائه أن يتوصل الى محبوباته بمباشرة ماجعله سببا له بل ترك الاسباب مخالفة لمحبوبه ومناقضة لرضاه فليس من الرضاء للعطشان أن لايمد اليد الى الماء البارد زاعما أنه رضي بالعطش الذى هو من قضاء الله تعالى بل من قضاء الله تعالى ومحبته أن يزال العطش بالماء فليس في الرضا بالقضاء مايوجب الخروج عن حدود الشرع ورعاية سنة الله تعالى أصلا بل معناه ترك الاعتراض على الله عز وجل اظهارا واضمارا مع بذل الجهد في التوصل الى محاب الله تعالى من عباده * وذلك بحفظ الاوامر وترك النواهى *

﴿ الاصل العاشر ذكر الموت ﴾

وحقيقته وأصناف العقوبات الروحانية ﴿ اعلم ﴾ أن المقامات التسع التي ذكرناها ليست هى على رتبة واحدة بل بعضها مقصودة لذاتها كالمحبة والرضا فانهما أعلى المقامات * وبعضها مطلوبة لغيرها كالتوبة والزهد والخوف والصبر اذ التوبة رجوع عن طريق البعد للاقبال على طريق القرب * والزهد ترك الشواغل عن القرب والخوف سوط يسوق الى ترك الشواغل * والصبر جهاد مع

الشهوات القاطعة لطريق القرب * وكل ذلك غير مطلوب لذاته بل المطلوب القرب[1] وذلك بالمعرفة والمحبة فانها مطلوبة لذاتها الا لغيرها ولكن لا يتم ذلك الا بقطع حب غير الله تعالى عن القلب فاحتيج الى الخوف والصبر والزهد لذلك * ومن الامور العظيمة النفع فيه ذكر الموت فلذلك أوردناه ولذلك عظم الشرع ثواب ذكره اذبه يتنغص حب الدنيا وتنقطع علاقة القلب عنها قال الله تعالى ﴿ قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر هادم اللذات * وقال عليه السلام من كره لقاء الله كره الله لقاءه[2] وقالت عائشة رضي الله عنها يارسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد قال نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة * ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجلس وقد

---

(١) نعم ماقال قدوة العرفاء الشيخ سعدي الشيرازي فى كتابه ( بندنامه)
خوش اندل كه شيد است برروى دوست
خوش اندل كه شد منزلش كوي دوست

(٢) ونعم ماقال صاحب المثنوي حضرة مولانا جلال الدين البلخي
أي لقاى تو جواب هر سؤال * مشكل از تو حل شود بي قيل وقال

استعلاء الضحك * فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شوبوا مجالسكم بذكر مكدر اللذات * قيل وما هو قال عليه السلام الموت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلم البهائم من الموت ما يعلم ابن آدم لما أكلتم منها لحما سمينا * وقال عليه السلام كفى بالموت واعظا * وقال عليه السلام ﴿ تركت فيكم واعظين صامتا وناطقا فالصامت الموت والناطق القرآن ﴾ وذكر رجل عند النبي عليه السلام وأحسن الثناء عليه فقال عليه السلام كيف كان ذكر صاحبكم للموت قالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت قال إن صاحبكم ليس هناك وقال رجل من الانصار يا رسول الله من أكيس الناس وأكرم الناس * فقال أكثرهم للموت ذكرا وأشدهم له استعدادا أولئك هم الاكياس ذهبوا براحة الدنيا وكرامة الآخرة [1] *

﴿ فصل ﴾

﴿ اعلم ﴾ أن الموت عظيم هايل وما بعده أعظم منه وفي ذكره منفعة عظيمة فانه ينغص الدنيا ويبغضها الى القلب وبغضها

(١) وفي النسخة العراقية بشرف الدنيا الخ

رأس كل حسنة كما ان حبها رأس كل خطيئة وللعارف في ذكره فائدتان ﴿ احداهما ﴾ النفرة من الدنيا ﴿والاخرى ﴾ الشوق الى الآخرة فان المحب لامحالة مشتاق ومعنى الشوق في المحسوسات استكمال الخيال بالترقي الى المشاهدة فان المشتاق اليه مدرك لامحالة بالخيال وغايب عن الابصار وأحوال الآخرة ونعيمها وجمال الحضرة الربوبية مدرك كل ذلك للعارف يعرفه [1] كأنه نظر من وراء ستر رقيق في وقت الاسفار وضعف النور فهو مشتاق الى استكمال ذلك بالتجلي والمشاهدة ويعلم ان ذلك لايكون الا بالموت * فلذلك لا يكره الموت لانه لا يكره لقاء الله تعالى ولا سبب لاقبال الخلق على الدنيا الا قلة التفكر في الموت وطريق الفكر فيه ان يفرّغ الانسان قلبه عن كل فكر سواه * ويجلس في خلوة [2] ويباشر

---

(١) وفى النسخة الكردية للعارف معرفة كانها الخ (٢) الخلوة محادثة السر مع الحق * ونعم ما قال حضرة مولانا جلال الدين البلخي فى كتابه المسمى ( بمثنوي )

كرشبي تور استانه خم شوي * وارهي أز اختران محرم شوي
چون شوى محرم كشايم باتولب * تا ببيني آفتابى نيم شب

ذكر الموت بصميم قلبه ويتفكر أولا في أخدانه وأشكاله [1] الذين مضوا فيتذكرهم واحداً واحدا ويتذكر حرصهم وأملهم وركونهم الى الجاه والمال * ثم يتذكر مصارعهم عند الموت وتحسرهم على فوات العمر وتضييعه * ثم يتفكر في أجسادهم كيف تمزقت في التراب وصارت جيفة يأكلها الديدان * ثم يرجع الى نفسه ويعلم أنه كواحد منهم أمله كأملهم ومصرعه كمصرعهم * ثم ينظر في أعضائه وينظر كيف تتفتت * والى حدقته كيف يأكلها الدود والى لسانه كيف يتهرّى ويصير جيفة في فيه * فاذا فعلت ذلك تتنغص عليك الدنيا وكنت سعيدا اذ السعيد من وعظ بغيره * ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * ايها الناس كأن الموت فيها على غيرنا كتب وكأن الحق فيها على غيرنا وجب وكأنّ الذين نشيّع من الاموات سفر عن قريب الينا راجعون نبوّئهم أجداثهم ونأكل تراثهم كأنا مخلدون بعدهم قد نسينا كل واعظة وأمنا كل جائحة

(١) وفي النسخة الكردية واقرانه

﴿ فصل ﴾

أصل الغفلة عن الموت طول الامل وذلك عين الجهل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لعبدالله بن عمر رضي الله عنهما ﴿ اذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء * واذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من حياتك لموتك * ومن صحتك لسقمك * فانك ياعبد الله لاتدري مااسمك غداً ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ ان أخوف ماأخاف على أمتي خصلتان اتباع الهوى وطول الامل ﴾ واشترى أسامة وليدة الى شهرين بمائة فقال عليه السلام ﴿ ألا تعجبون من اسامة المشترى الى شهرين ان أسامة لطويل الامل والذي نفسي بيده ماطرفت عيناي الا ظننت أن شفريّ لا يلتقيان حتى يقبض الله عز وجل روحي * ولا رفعت طرفي وظننت أني واضعها حتى أقبض * ولا لقمت لقمة الا ظننت أني لا أسيغها حتى أغص بها من الموت ثم قال يابني آدم ان كنتم تعقلون فعدوا انفسكم من الموتى والذي نفسي بيده انما توعدون لآت وماأنتم بمعجزين ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ نجا أول هذه الامة باليقين والزهد ويهلك

آخر هذه الامة بالبخل والامل ﴾ وقال عليه السلام ﴿ أكلكم يحب أن يدخل الجنة ﴾ قالوا نعم قال عليه السلام ﴿ قصروا آمالكم واجعلوا آجالكم بين أبصاركم واستحيوا من الله حق الحياء ﴾

﴿ فصل ﴾

﴿ اعلم ﴾ أن العارف الكامل المستهتر بذكر الله تعالى مستغن عن ذكر الموت بل حاله الفناء فى التوحيد لا التفات له الى ماضي ولا الى مستقبل ولا الى حال من حيث أنه حال بل هو ابن وقته يعني انه كالمتحد بمذكوره لست أقول (١) متحد بالذات فلا تعقل فتغلط وتسيء الظن *وكذلك يفارقه الخوف والرجاء لانهما سوطان يسوقان العبد الى هذه الحالة التى هو ملابسها بالذوق وكيف يذكر الموت وانما يراد ذكر الموت لينقطع علاقة قلبه عما يفارقه بالموت *والعارف قد مات مرة فى حق الدنيا وفى حق كل ما يفارقه بالموت فانه قد ترفع وتنزه عن الالتفات الى الآخرة ايضا فضلا عن الدنيا *وقد

---

(١) وفي النسخه الكردية كالمتحد لمذكور لست

تنغص عليه ماسوى الله تعالى ولم يبق له من الموت الا كشف الغطاء ليزداد به وضوحا لا ليزداد يقينا وهو معنى قول على رضى الله عنه﴿لو كشف الغطاء ماازددت يقينا﴾ فان الناظر الى غيره من وراء ستر لا يزداد برفع الستر يقينا بل وضوحا فقط* فاذا ذكر الموت يحتاج اليه من لقلبه التفات الى الدنيا ليعلم انه سيفارقها فلا يعتكف بهمته عليها ولذلك قال عليه السلام ان روح القدس نفث في روعي أحبب ما احببت فانك مفارقه وعش ماشئت فانك ميت *واعمل ماشئت فانك مجزي به *

﴿ فصل ﴾

لعلك تشتهى ان تعرف حقيقة الموت وماهيته ولن تعرف ذلك مالم تعرف حقيقة الحياة ولن تعرف حقيقة الحيوة مالم تعرف حقيقة الروح وهي نفسك وحقيقتك وهي اخفى الاشياء عنك ولا تطمع في ان تعرف ربك قبل أن تعرف نفسك واعنى بنفسك روحك التي هي خاصية الامر المضافة الى الله تعالى في قوله﴿ قل الروح من امر ربي﴾وفي قوله﴿ونفخت فيه من روحي﴾دون الروح الجسماني اللطيف الذى هو حامل

قوة الحس والحركة التى تنبعث من القلب وتنتشر فى جملة البدن فى تجاويف العروق الضوارب فيفيض منها نور حس البصر على العين ونور السمع على الاذن — وكذاساير القوى والحواس كما يفيض من السراج نور على حيطان البيت اذا ادير فى جوانبه فان هذه الروح تشارك البهائم فيها وتنمحق بالموت لانه بخار اعتدل نضجه عند اعتدال مزاج الاخلاط فاذا انحل المزاج بطل كما يبطل النور الفايض من السراج عند انطفاء السراج بانقطاع الدهن عنه اوبالنفخ فيه وبانقطاع الغذاء عن الحيوان تفسد هذه الروح لان الغذاء له كالدهن للسراج والقتل له كالنفخ في السراج وهذه هى الروح التي يتصرف فى تعديلها وتقويتها علم الطب *ولا تحمل هذه الروح المعرفة والامانة بل الحمال للامانة الروح الخاصة للانسان* ونعنى بالامانة تقلد عهدة التكليف بان يتعرض لخطر الثواب والعقاب بالطاعة والمعصية* وهذه الروح لاتموت ولا تفنى بل تبقى بعد الموت اما فى نعيم وسعادة او جحيم وشقاوة فانه محل المعرفة والتراب لاياكل محل الايمان والمعرفة اصلا كما نطقت به الاخبار

وشهدت له شواهد الاستبصار ولم يأذن الشرع فى ذكر تحقيق صفته اذ لا يحتمله الا الراسخون فى العلم وكيف يذكر * وله من عجائب الاوصاف مالم يحتمله اكثر عقول الخلق في حق الله تعالى فلا تطمع فى ذكر حقيقته * وانتظر تلويحا يسيراً فى ذكر صفته بعد الموت *

﴿ فصل ﴾

هذه الروح لاتفنى البتة ولا تموت بل تتبدل بالموت حالها فقط ويتبدل منزلها فتترقى من منزل الى منزل والقبر فى حقها اما روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران اذ لم يكن لها مع البدن علاقة سوى استعمالها البدن واقتناصها اوائل المعرفة به بواسطة شبكة الحواس * فالبدن آلتها ومركبها وشبكتها * وبطلان الآلة والمركب والشبكة لاتوجب بطلان الصايد * ثم ان بطلت الشبكة بعد الفراغ من الصيد فبطلانه غنيمة اذ يتخلص من ثقله وحمله * ولذلك قال عليه السلام ﴿ الموت تحفة المؤمن ﴾ وان بطلت الشبكة قبل الصيد عظمت فيه الحسرة والندامة والألم * فلذلك يقول المقصر * رب ارجعوني

لعلي اعمل صالحا فيما تركت * بل ان كان ألف الشبكة واحبها وتعلق قلبه بها وحسّن صورتها وصنعتها وما يتعلق بها كان له من العذاب ضعفان ﴿ احدهما ﴾ حسرة فوات الصيد الذى لا يقتنص الا بشبكة البدن ﴿ والثاني ﴾ زوال الشبكة مع تعلق القلب بها وألفه لها * وهذا مبدأٌ من مبادي معرفة عذاب القبر ان استقصيته تحققته قطعا *

﴿ فصل ﴾

لعلك تشتهى الاستقصاء المفضى الى التحقيق ﴿ فاعلم ﴾ ان هذا الكتاب لا يحتمله فاقنع منه بانموذج يسير * وافهم ان معنى الموت زمانة البدن وانت تعرف ان زمانة اليد[1] خروجها عن طاعتك مع وجود شخصها ببطلان القوة التي بواسطتها تستعمل اليد * فافهم ان الموت زمانة مطلقة في جميع الاعضاء ببطلان قواها فيسلب الموت منك يدك ورجلك وعينك وساير حواسك وانت باق اعنى حقيقتك التي أنت بها انت[2] فانك الآن ألانسان الذي كنت في الصبي ولعله لم يبق فيك من

(١) وفى نسخة زمانة البدن (٢) وفي النسخة الكردية حقيقتك التي بها أنت

تلك الاجسام شيء بل انحل كلها وحصل بالغذاء بدلها وانت
انت وجسدك غير ذلك الجسد* فان كان لك معشوق تفتقر
فيه الى حواسك عظم عذابك بفراق معشوقك* وجميع ملاذ
الدنيا معشوق ولا تنال الا بالحواس * ولا فرق فى عذاب
العاشق بين ان يحجب عنه معشوقه وبين ان يفقأ عينه او
يسلب هو عنه بان يحمل الى موضع حتى لا يراه فان ألمه من
عدم الرؤية ومن احب اهله وماله وعقاره وفرسه وجاريته
وثيابه يألم بفراقها سواء سلبت هذه الاشياء عنه أو سلب هو
عنها بان حمل الى موضع آخر وحيل بينه وبينها * فالموت
يسلبك هذه الاشياء ويحول بينك وبينها فيكون عذابك
بقدر عشقك لها* والموت يخلى بينك وبين الله تعالى ويقطع
عنك هذه الحواس الشاغلة المشوشة فتكون لذتك فى القدوم
على الله تعالى بقدر حبك له وانسك بذكره * ولاجل هذا
نبهك* وقال الله تعالى ﴿انا بدك اللازم فالزم بدك﴾ واجمع العبارات
عن نعيم الجنة ان لهم فيها مايشتهون* واجمع العبارات لعذاب
الآخرة قوله وحيل بينهم وبين مايشتهون* ولا ملذ الا الشهوة

ولكن عند مصادمة المشتهى ولا مولم الا الشهوة ولكن عند مفارقة المشتهى *ولا ينبغي ان تغتر الآن وتقول ان كان هذا سبب عذاب القبر فانافي أمان منه اذ لاعلاقة بين قلبي وبين متاع الدنيا فان هذا لاتدركه بالحقيقة مالم تطرح الدنيا وتخرج عنها بالكلية * فكم من رجل باع جارية على ظن انه لاعلاقة بينه وبينها * فلما اخذها المشترى اشتعل فى قلبه من نيران الفراق واحترق بها احتراقا ربما ألقى نفسه في الماء والنار ليقتل نفسه ويتخلص منها * فكذلك يكون حالك فى القبر فى كل مايتعلق به قلبك من الدنيا* ولذلك قال لمصطفى عليه السلام [1] احبب ما احببت فانك مفارقه ووراء هذا عذاب اعظم منه وهو حسرة الحرمان عن القرب من الله تعالى والنظر الى وجهه الكريم * وينكشف بالموت عظم قدر مافات منه وان كان لا يعظم قدره عندك قبل الموت لان الموت سبب الانكشاف مالم تكن المكاشفة قبله كما أن النوم سبب انكشاف الغيب بمثال أو غير مثال * والنوم أخ الموت ولكنه

(١) قوله قال لمصطفى (أي جبريل) وفي نسخة قال مصطفى

دونه يكبر[1] فهذان عذابان يتضاعفان على كل ميت كان غير الله تعالى احب اليه من الله تعالى * وكان أنسه بغير الله تعالى اكثر من أنسه بالله وهما ضروريان[2] ان عرفت بالحقيقة الروح وبقاءه بعد الموت وعلايقه وما يضادّه بالطبع وما يوافقه بالطبع *

﴿ فصل ﴾

لعلك تقول المشهور عند اهل العلم ان الانسان يعدم بالموت ثم يعاد وان عذاب القبر يكون بنيران وعقارب وحيات وما ذكرته بخلاف ذلك ﴿ فاعلم ﴾ ان من قال ان الموت معناه العدم فهو محجوب عن حضيض التقليد ويفاع الاستبصار جميعا * اما حرمانه عن ذروة الاستبصار فلاتدركه مالم تستبصر واما حرمانه عن التقليد فتعرفه بتلاوة الآيات والاخبار * قال الله تعالى ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين﴾ الآية هذا في السعداء * واما في الاشقياء فقد ناداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر

(١) وفي النسخة المصرية يكثر (٢) وفي نسخة ضروريان يعرفهما

لما قتلوا فكان يقول يافلان يافلان يذكر واحداً واحداً من صناديدهم * فقدوجدت ماوعدني ربي حقا فهل وجدتم ماوعد ربكم حقا فقيل يا رسول الله اتناديهم وهم اموات * فقال عليه السلام والذى نفسى بيده ماانتم باسمع لكلامي منهم لكنهم لا يقدرون على الجواب * وقال عليه السلام الموت هو القيامة ومن مات فقد قامت قيامتـه * واراد بهذه القيمة الصغرى والقيمة الكبرى يكون بعده * وشرح قيامة الصغرى ان اردته فاطلبه من كتاب الصبر من كتب الاحياء * والاخبار في الدلالة على بقاء ارواح الموتى وشعورهم مما يجرى في هذا العالم ايضا كثيرة *

## ﴿ فصل ﴾

اما قولك ان المشهور من عذاب القبر التألم بالنيران والعقارب والحيات فهذا صحيح وهو كذلك ولكني أراك عاجزاً عن فهمه ودرك سره وحقيقته الا أني انبهك على انموذج منه تشويقا لك الى معرفة الحقايق والتشمر للاستعداد لامر الآخرة فانه نبأ عظيم انتم عنه معرضون * فقد قال عليه السلام المؤمن

في قبره في روضة خضراء قد فُرِّج له قبره سبعين ذراعا ويضيء وجهه حتى يكون كالقمر ليلة البدر هل تدرون فيما ذا انزلت فان له معيشة ضنكا * قالوا الله ورسوله اعلم قال عذاب الكافر في قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تنّينا هل تدرون ما التنين تسع وتسعون حية لكل حية تسعة رؤس ينهشونه ويلحسونه وينفخون في جسمه الي يوم يبعثون (١) فانظر الى هذا الحديث واعلم ان هذا حق على الوجه الذي شاهده أرباب البصاير ببصيرة أوضح من البصر الظاهر * والجاهل ينكره اذ يقول اني أنظر في قبره فلا أرى ذلك أصلا * فليعلم الجاهل ان هذا التنين ليس خارجا عن ذات الميت أعني ذات روحه لا ذات جسده فان الروح هي التي تتألم وتتنعم بل كان معه قبل موته متمكنا من باطنه لكنه لم يكن يحس بلدغه لخدر كان فيه لغلبة الشهوات فاحس بلدغه بعد الموت * وليتحقق ان هذا التنين مركب من صفاته وعدد رؤسه بقدر عدد أخلاقه الذميمة وشهواته لمتاع الدنيا وأصل هذا التنين حب الدنيا * وتتشعب

(١) وفي النسخة العراقية ينحشونه ويلحسونه وينفخون في جسمه

عنه رؤس بعدد ما يتشعب عن حب الدنيا من الحسد والحقد والرياء والكبر والثروة والمكر والخداع وحب الجاه والمال والعداوة والبغضاء * وأصل ذلك معلوم بالبصيرة * وكذلك كثرة رؤسه اللداغة أما انحصار عددها في تسعة وتسعين انما يوقف عليه بنور النبوة فقط * فهذا التنين متمكن في صميم فؤاد الكافر لا بمجرّد جهله بالكفر بل لما يدعو اليه الكفر كما قال الله تعالى ذلك بأنهم استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة * وقال الله تعالى اذهبتم طيباتكم في حيوتكم الدنيا واستمتعتم بها الآية * وهذا التنين لو كان كما تظنه خارجا من ذات الميت لكان أهون اذ ربما يتصور ان ينحرف عنه التنين أو ينحرف هو عنه لا بل هو متمكن من صميم فؤاده تلدغه التنين لدغاً أعظم مما تفهمه من لدغ التنين وهو بعينه صفاته التي كانت معه في حيوته كما ان التنين التي تلدغ قلب العاشق اذا باع جاريته هو بعينه العشق الذي كان مستكنا في قلبه استكنان النار في الحجر وهو غافل عنه فقد انقلب ما كان سبب لذته سبب المه * وهذا سرّ قوله عليه السلام انما هي اعمالكم ترد عليكم وقوله تعالى

( يوم تجد كلّ نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد) بل سر قوله تعالى (كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ) أى ان الجحيم فى باطنكم فاطلبوها بعلم اليقين لترونها قبل أن تدركوها بعين اليقين بل هو سر قوله تعالى (ويستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين) ولم يقل انها ستحيط بل قال هى محيطة * وقوله تعالى (انا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها) ولم يقل يحيط بهم وهو معنى قول من قال ان الجنة والنار مخلوقتان * وقد أنطق الله لسانه بالحق ولعله لا يطلع على سر ما يقوله فان لم تفهم بعض معاني القرآن كذلك فليس لك نصيب من القرآن الا في قشوره كما ليس للبهيمة نصيب من البر الا في قشوره الذى هو التبن والقرآن غذاء الخلق كلهم على اختلاف أصنافهم ولكن اغتذاؤهم به على قدر درجاتهم* وفي كل غذاء مخ ونخالة وتبن وحرص الحمار على التبن أشد منه من الخبز المتخذ من اللب وأنت شديد الحرص على أن لا تفارق درجة البهيمة ولا ترق

الى رتبة الانسانية بل الى الملكية فدونك والانسراح فى رياض القرآن ففيه متاع لكم ولانعامكم *

(فصل)

فان قلت فهل يتمثل هذا التنين تمثلا تشاهده مشاهدة تضاهى ادراك البصر أم هو تألم محض فى ذاته كتألم العاشق اذا حيل بينه وبين معشوقه (فاقول) لا بل يتمثل لك حتى تشاهده ولكن تمثلا روحانيا لا على وجه يدركه من هو بعد فى عالم الشهادة اذا نظر فى قبره فان ذلك من عالم الملكوت * نعم العاشق أيضا قد ينام فيتمثل له حاله فى المنام فربما يرى حية تلدغ صميم فؤاده لانه بعد بالنوم من عالم الشهادة قليلا فيتمثل له حقائق الاشياء تمثلا محاكيا للحقيقة منكشفا له من عالم الملكوت والموت أبلغ فى الكشف من النوم لانه أقمع لنوازع الحس والخيال وأبلغ فى تجريد الروح عن غشاوة هذا العالم فلذلك يكون ذلك التمثل تاما متحققا دائما لا يزول فانه نوم لا ينتبه منه الا يوم القيامة (لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) (واعلم) ان المتيقظ

بجنب النائم ان كان لا يشاهد الحية التى تلدغ النائم فذلك غير مانع من وجود الحية في حقه وحصول الالم به * فكذلك حال الميت فى القبر *

﴿ فصل ﴾

لعلك تقول قد أبدعت قولا مخالفا للمشهور منكرا عند الجمهور اذ زعمت أن أنواع عذاب الآخرة يدرك بنور البصيرة والمشاهدة ادراكا مجاوزا حد تقليد الشرائع فهل يمكنك ان كان كذلك حصر أصناف العذاب وتفاصيله * ﴿ فاعلم ﴾ أن مخالفتى للجمهور لا أنكره وكيف تنكر مخالفة المسافر للجمهور فان الجمهور يستقرون في البلد الذي هو مسقط رؤسهم ومحل ولادتهم وهو المنزل الاول من منازل وجودهم * وانما يسافر منهم الآحاد ﴿ واعلم ﴾ أن البلد منزل البدن والقالب * وانما منازل الروح الانسانى عوالم الادراكات * والمحسوسات منزله الاول والمتخيلات منزله الثاني * والموهومات منزله الثالث * وما دام الانسان في المنزل الاول فهو دود وفراش * فان فراش النار ليس له الا الاحساس ولو كان له تخيل وحفظ للمتخيل

بعد الاحساس لما تهافت على النار مرة بعد أخري * وقد تأذى
بها أولا فان الطير وسائر الحيوان اذا تأذي في موضع بالضرب
يفرّ منه ولم يعاوده لانه بلغ المنزل الثاني وهو حفظ المتخيلات
بعد غيبوبتها عن الحس * وما دام الانسان في المنزل الثانى
بعد فهو بهيمة ناقصة انما حده أن يحذر عن شيء تأذى به مرة
وما لم يتأذى بشيء فلا يدري انه يحذر منه وما دام في المنزل
الثالث وهو الموهومات فهو بهيمة كاملة كالفرس مثلا فانه قد
يحذر من الاسد اذا رآه أولا وان لم يتأذى به قط فلا يكون
حذره موقوفا على ان يتأذى به مرة بل الشاة ترى الذيب أولا
فتحذره * وترى الجمل والبقر وهما أعظم منه شكلا وأهول منه
صورة ولا تحذرهما اذ ليس من طبعهما ايذاء * وهؤلاء الى الآن
تشاركهم البهائم (١) فبعد هذا يترقى الانسان الي عالم الانسانية
فتدرك أشياء لا يدخل في حس ولا تخيل ولا وهم ويحذر به
الامور المستقبلة ولا يقتصر حذره على العاجلة اقتصار حذر
الشاة على مايشاهده في الحال من الذيب ومن ههنا يصير الى

(١) وفي النسخة الدمشقيه تشاركه البهائم

حقيقة الانسانية [1] الحقيقة هى الروح المنسوبة الى الله تعالى في قوله ﴿ ونفخت فيه من روحى ﴾ وفى هذا العالم يفتح له باب الملكوت فيشاهد الارواح المجردة عن كسوة التلبيس وغشاوة الاشكال وهذا العالم لا نهاية له * أما عوالم المحسوسات والتخيلات والموهومات فتناهية لانها مجاورة للاجسام وملتصقة بها * والاجسام لا يتصور أن يكون غير متناهية والسير في هذا العالم مثاله المشي الى الخيال على الماء ثم يترقى منه الى المشي في الهواء ولذلك لما قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان عيسى صلوات الله عليه وسلامه مشى على الماء فقال عليه السلام ﴿ نعم ولو ازداد يقيناً لمشى في الهواء ﴾ وأما التردد على المحسوسات فهو كالمشي على الارض وبينها وبين الماء عالم يجري مجرى السفينة وفيها يتولد درجات الشياطين حتى يجاوز الانسان عوالم البهائم فينتهى الى عالم الشياطين * ومنه يسافر الى عالم الملائكة وقد ينزل فيه ويستقر وشرح ذلك يطول وهذه العوالم كلها منازل الهدى ولكن الهدى المنسوب الى

(١) وفي النسخة الدمشقيه من حقيقة الانسانية

الله تعالى يوجد في هذا العالم الرابع وهو عالم الارواح وهو قوله تعالى ﴿ قل ان الهدى هدى الله ﴾ ومقام كل انسان ومحله ومنزله في العلو والسفل [١] بقدر ادراكه وهو معني قول علي رضي الله عنه ﴿ الناس أبناء مايحسنون ﴾ فالانسان بين أن يكون دوداً او حمارا أو فرسا أو شيطاناً ثم يجاوز ذلك فيصير ملكا * وللملائكة درجات * فمنهم الارضية * ومنهم السماوية ومنهم المقربون المترفعون عن الالتفات الى السماء والارض القاصرون نظرهم على جمال الحضرة الربوبية وملاحظة الوجه خاصة وهم أبدا في دار البقاء اذ ملحوظهم على الوجه الباقي وما عدا ذلك فالى الفناء مصيره اعني السماء والارض وما يتعلق بهما من المحسوسات والمتخيلات والموهومات وهو معنى قوله ﴿ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ﴾ وهذه العوالم منازل سفر الانسانية يترقى من حضيض درجة البهايم الى يفاع رتبة الملائكة * ثم يترقى من رتبتهم الى رتبة العشاق منهم وهم العاكفون على ملاحظة

(١) وفي النسخة الكردية والتسفل

جمال الوجه * يسبحون للوجه ويقدسونه بالليل والنهار لا يفترون فانظر الآن الى خسة الانسان وشرفه والي بعد مراقيه في معارجه * والى انحطاط درجاته في تسفله وكل الآدميين مردودون الى أسفل السافلين * ثم الذين آمنوا وعملوا الصالحات يترقون منها فلهم اجر غير ممنون وهو جمال الوجه . وبهذا يفهم معنى قوله تعالى ﴿ انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان ﴾ الآية لان معنى الامانة التعرض للعهدة والخطرة ولا خطر على سكان الارض وهم البهائم اذ ليس لهم امكان الترقي من المنزل الثالث ولا خطر على الملائكة اذ ليس لهم خوف الانحطاط الي حضيض عالم البهايم * وانظر الى الانسان وعجائب عوالمه كيف يعرج الى السماء العلو رقيا ويهوي الي أرض الحقارة هويا متقلدا هذا الخطر العظيم الذي لم يتقلده في الوجود غيره فيا مسكين كيف تهددني بالعاقبة وتخوفني مجاوزة الجمهور ومخالفة المشهور وبذلك فرحي وسروري * ان الذين يكرهون مني ذلك الذي يشتهيه قلبي * فاطو طومار الهزيان

ولا تقعقعني بعد هذا بالشنان [1]

﴿ فصل ﴾

وأما مطالبتك اياي بتفصيل عذاب الآخرة وذكر أصنافه. فلا تطمع بالتفصيل فذلك داعية الي الملال والتطويل* واقنع بذكر الاصناف فقد ظهر لي بالمشاهدة ظهورا أوضح من العيان ان أصناف عذاب الآخرة ثلاثة أعنى الروحانى منها حُرقة المشتهيات وخزى خجلة المفضحات *وحسرة فوات المحبوبات *فهذه ثلاثة أنواع من النيران الروحانية يتعاقب علي روح من آثر الحياة الدنيا الي أن ينتهي الي مقاسات النار الجسمانية فان ذلك يكون في آخر الامر* فخذ الآن شرح هذه الاوصاف ﴿ الصنف الاول ﴾ حرقة فرقة المشتهيات فصورته المستعارة من عالم الحس والتخيل ألتنين الذي وصفه الشرع* وعدد رؤسه وهى بعدد الشهوات * ورذائل

---

(١) فى القاموس ومايقعقع له بالشنان بفتح القافين يضرب لمن لايتضعضع لحوادث الدهر ولا يروعه مالا حقيقة له والقعاقع تتابع أصوات الرعد والشنان كسحاب لغة فى الشنآن وكغراب الماء البارد وككتاب وادبالشام انتهى

الصفات تلدغ صميم الفؤاد لدغاً مولما وان كان البدن بمعزل عنه * فقدر فى عالمك هذا ملكا مستوليا على جميع الارض متمكنا من جميع الملاذ متمتعا بها مستهترا بالوجوه الحسان متهالكا عليها مشعوفا بالامارة واستعباد الخلق بالطاعة مطاعا فيهم غافصه عدوه [1] واسترقه واستعمله على ملأ من رعيته فى تعهد الكلاب وصار يتمتع بنعمه ويتمتع باهله وجواريه بين يديه ويتصرف فى خزائنه وذخائر أمواله فيفرقها على أعدائه ومعانديه * وانظر الآن هل ترى على قلبه تنينا ذا رؤس كثيرة تلدغ صميم فؤاده وبدنه بمعزل عنه وهو يريد ان يبتلي بدنه بامراض وآلام ليتخلص منه فتوهم هذا فربما تشم به قليلا من رائحة الحطمة التي فيها نار الله الموقدة التي لاتطلع الا على الافئدة اعدت لمن جمع مالا وعدده يحسب ان ماله اخلده ﴿واعلم﴾ ان عذاب كل ميت بقدر رؤس هذا التنين * وعدد الرؤس بقدر المشتهيات فلهذا من كان افقر وتمتعه بالدنيا اقل كان العذاب عليه اخف

(١) قوله غافصه أي فاجأه وأخذه على غرة

ومن لاعلاقة له مع الدنيا اصلا فلاعقاب عليه اصلا ﴿ الصنف الثاني ﴾ خزي خجلة المفضحات * فقدّر رجلا خسيسا رذيلا فقيراً عاجزاً قرّبه ملك من الملوك ورفعه وقوّاه وخلع عليه وسلم اليه نيابة ملكه ومكنه من دخول حريمه وجملة خزائنه اعتمادا على أمانته فلما عظمت عليه النعمة طغى وبغى وصار يخون فى خزانته ويفجر باهل الملك وبناته وسرياته وهو فى جميع ذلك يظهر الامانة للملك ويعتقد انه غير مطلع على خيانته فبينما هو في غمرة فجوره وخيانته اذ لاحظ روزنة فرأى فيها الملك مطلعا عليه منها* وعلم ان الملك كان يطلع عليه كل يوم وليلة ولكنه كان يغض عنه ويمهله حتى يزداد خبثا وفجوراً ويزداد استحقاقاً للنكال ليصب عليه فى الآخرة انواع العذاب صباً * فانظر الآن الى قلبه كيف يحترق بنار الخزي والخجلة وبدنه بمعزل منه* وكيف يود أن يعذب بدنه بكل عذاب وينكتم خزيه فكذلك انت تتعاطى فى الدنيا اعمالا هي مشتهياتك* ولتلك الاعمال ارواح وحقايق خبيثة قبيحة وانت جاهل بها معتقد حسنها * فينكشف لك فى الآخرة

حقايقها في صورها القبيحة فتخزي وتخجل خجلة تؤثر عليها آلاماً بدنية* فان قلت كيف ينكشف الى ارواحها وحقايقها ﴿فاعلم﴾ ان ذلك لا تفهمه الا بمثال فمن جملته مثلاان يؤذن المؤذن في رمضان قبل الصبح فيرى في المنام ان بيده خاتماً يختم به افواه الرجال وفروج النساء *فيقول له ابن سيرين هذا رأيته لأذانك قبل الصبح * فتأمل الآن انه لما بعد بالنوم قليلا عن عالم الحس الجسماني انكشف له روح عمله لكن لما كان بعد في عالم التخيل لان النائم لا يزول تخيله غشاه الخيال بمثال متخيل وهو الخاتم والختم ولكنه مثال ادل على روح العمل من نفس الاذان لان عالم المنام اقرب الى عالم الآخرة * فالتلبيس فيه اضعف قليلا وليس يخلو عن تلبيس ولاجله يحتاج الى التعبير *ولو قال قائل لهذا المؤذن اما تستحيي ان تختم افواه الرجال وفروج النساء لقال معاذ الله ان افعل هذا فلأن أقدم ويضرب عنقي احب الي من ان افعل ذلك فهو ينكره لانه يجهله مع انه فعله لان روحه قاصرة عن ادراك ارواح الاشياء* وكذلك لو اكلت لحما طيبا على اعتقاد انه لحم طير *فقال قائل أما

تستحى ان تأكل لحم اخيك الميت فلان لقلت معاذ الله ان
افعل ذلك ولان اموت جوعا اهون عليّ من ذلك فنظرت
فاذا هو لحم اخيك الميت قد طبخ وقدّم اليك ولبس عليك
فانظر كيف تخزيء وتفتضح به وبدنك في معزل من ألمه
فكذلك يرى المغتاب نفسه في الآخرة ولان روح الغيبة
تمزيق اعراض الاخوان والتفكه بها *وفي عالم الآخرة ينكشف
ارواح الاشياء وحقايقها — وكذلك لو كنت ترمي حجارة الى
حائط* فقال لك قائل أما تستحي ان تفعل ذلك والحجارة ترتد
من الحايط وتقع في دارك وتصيب حدقة اولادك فقد غيبت
احداقهم كلهم قلت معاذ الله ان افعل ذلك* فقال ادخل دارك
فدخلت فاذا هو كذلك* فانظر كيف تفتضح ويحترق قلبك
تحسرا على عملك الذي ظننته هيناً وهو عند الله عظيم* وهذا
روح حسدك لاخيك فانك تحسده ولا تضره وتنعكس
عليك ويهلك دينك وينقل حسناتك الى ديوانه وهي قرّة
عينك لانها سبب سعادة الابد فهي اعز من حدقة الولد* فاذا
انكشف لك هذه الروح *فانظر كيف تحترق بنيران الفضيحة

وبدنك بمعزل عنه فالقرآن كثيرا ما يعبر عن الارواح ولذلك قال تعالى في الغيبة ﴿أيحب احدكم أن يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه﴾ وقال الله تعالى في الحسد ﴿يا أيها الناس انما بغيكم على انفسكم﴾ فيكفيك من الامثلة مثال الاذان والغيبة والحسد* فقس عليه كل فعل نهاك الشرع عنه فذلك لقبح روح الفعل وحقيقته وحسن ظاهره اي ظاهره حسن للبصر الظاهر* وباطنه قبيح للبصيرة الناظرة من مشكاة نور الله تعالى* وعن هذا عبر الشرع حيث قال تعرض الدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شوهاء زرقاء صفتها كيت وكيت لا يراها احد الا ويقول اعوذ بالله منها* فيقال هذه دنياكم التي كنتم تتهالكون عليها فيصادفون في نفوسهم من الخزي والفضيحة ما يؤثرون النار عليه * وان اردت ان تفهم كيفية هذه الخجلة ﴿فاسمع﴾ حكاية رجل من ابناء الملوك زوج باجمل امرأة من بنات الملوك* فشرب تلك الليلة فسكر واخطأ باب الحجرة فخرج من الدار وضل فرأى ضوء سراج فقصده على ظن انها حجرته * فدخل الموضع فرأى جماعة نياما فصاح بهم فلم يجيبوه فظن انهم

نيام فطلب العروس فرأى واحدا نائما في ثياب جديد فظن انها
العروس فضاجعها واخذ يقلبها ويغشاها ويجعل لسانه فى فيها
ويمتص ريقها متلذذا بذلك في سكره غاية التلذذ ويتمسح
بالرطوبات التي تصيبه من جميع بدنها على ظن ان ذلك عطر
ادخرته له * فلما اصبح أفاق فاذا هو فى ناووس المجوس *
واذا النيام موتى * وهذه عجوز شوهاء قريبة العهد بالموت
عليها الحنوط وكفنها الجديد فصادف في فمه وانفه من
رطوبات ريقها ومخاطها وعلى بدنه من قاذورات اسافلها *
فاذا هو من قرنه الى قدمه ممتلئ في قاذوراتها * ثم تفكر فى
غشيانه اياها وابتلاعه ريقها فهجم على قلبه من الخزي ماتمنى
ان يخسف الله به الارض حتى ينسى ماجرى عليه ولا يزال
يعاود ذكره ولا ينساه اصلا بل تجد نفسه ماعمله من سوء
محضراً يودلو ان بينها وبينه امداً بعيداً * وبدنه بمعزل من هذه
المخازى والآلام وهو فى عذاب دائم في الغثيان والقيء وتذكر
تلك المخازى ويحذر ان يطلع عليه أحد فيتضاعف حزنه فاذا
هو بابيه وجميع حشمه قد جاؤا في طلبه واطلعوا على جميع

مخازيه فهذه حال من تمتع بالدنيا ينكشف له كذلك في الآخرة روحه وحقيقته وهى معنى قوله تعالى ﴿ وحصل ما في الصدور ﴾ أي يعرض عليها حاصلها أي روحها وحقيقتها وهي معنى قوله تعالى ﴿ يوم تبلى السرائر ﴾ أي يكشف عن أسرار الاعمال وأرواحها القبيحة أو الحسنة وكما أن ألذ الاطعمة رجيعه اقذر وانتن فالذ تنعمات الدنيا وحاصلها وسرها في الآخرة أقبح وأفضح ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا بالطعام وعاقبته بالرجيع ﴿ الصنف الثالث حسرة فوات المحبوبات ﴾ فقدّر نفسك مع جماعة من اقرانك دخلتم فى ظلمة فكان فيها حجارة لا يرى ألوانها فقال اقرانك احمل من هذا ما تطيق فلعله يكون فيها ما ينتفع بها اذا خرجنا من الظلمة فقلت فماذا أصنع بها أتحمل فى الحال ثقلها واكدُّ بنفسى فيها وأنا لا أدري عاقبتها ما هذا الا جهل عظيم فان العاقل لا يترك الراحة نقداً بما يتوقعه نسيئة ولا يستيقنه فأخذ كل واحد من اقرانك ما أطاق أخذه وأعرضت عن ذلك تستحمقهم وتسخر بهم لانهم ينوءون تحت اعبائه وثقله. وأنت مرفه فى الطريق تعدو وتضحك

منهم فلما جاوزوا الظلمة نظروا فاذا هي جواهر ويواقيت يساوي
كل واحد الف دينار فاقبلوا على بيعها وتوصلوا بها الى الجاه
والنعمة وأصبحوا ملوك الارض فأخذوك فاستسخروك لتعهد
دوابهم لينفقوا عليك في كل يوم قدرا يسيرا من فضلات
الطعام فكيف ترى اشتعال نيران الحسرة فى قلبك وبدنك
بمعزل منه وكم تقول يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله
وياليتنا نرد ونعمل غير الذي كنا نعمل * فتقول لهم أفيضوا علينا
من الماء مما أفيض عليكم * فيقولون لك هذا حرام عليك ألم
تكن تسخر منا وتضحك علينا فلا بد وان نسخر اليوم منك
كما سخرت منا فلا يزال ينقطع نياط قلبك من التحسر ولا
ينفعك التحسر ولكن تتسلي وتقول الموت يخلصني من هذا
﴿فاعلم﴾ أن حال تارك الطاعات فى الآخرة كذلك ينكشف له
ولكن لا مطمع في الموت المخلص بل هى حسرة أبدية دائمة
والألم يتضاعف كل يوم وان كان البدن بمعزل عنه وعنه العبارة
بقوله تعالى أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا ان الله
حرمهما على الكافرين وكذلك يفيض على أهل المعرفة

والطاعة من أنوار جمال الوجه ما تحصل به من اللذة مبلغ لا يوازيه نعيم الدنيا بل يعطي آخر من يخرج من النار مثل الدنيا عشر مرات كما ورد به الخبر لا بمعنى تضاعف المقدار بالمساحة بل بتضاعف الارواح كما أن الجوهر يكون عشرة أمثال الفرس لا بالوزن والمقدار بل بروح المالية اذ قيمته عشرة أمثاله ﴿واعلم﴾ ان تحريم تلك اللذات وافاضتها عليهم ليس من جنس تحريم لرجل نعمه على عبده بغضب أو باختيار حتى يتصور تغييره بل هو كتحريم الله تعالى على الابيض ان يكون أسود في حالة البياض وعلى الحار أن يكون باردا في حالة الحرارة وذلك لا يتصور فيه التبديل بل مثال ذلك أن يقول للعالم الكامل رجل شيخ هرم من الجهال الذى كان بليدا في أصل الفطرة ولم يمارس قط علما ولم يتعلم لغة * أفض على قلبي من دقائق علومك فيقول ان الله حرمه على الجاهلين معناه ان الاستعداد لقبوله انما يكتسب بذكاء فطري وممارسة طويلة للعلم بعد تعلم اللغة والعربية وأمور آخر كثيرة واذا بطل الاستعداد وفات أستحالة الافاضة كما يستحيل افاضة الحرارة على البرودة مع

بقاء البرودة فلا تظنن ان الله تعالى يغضب عليك فيعاقبك
انتقاما ثم تخدع نفسك برجاء العفو فتقول لم يعذبنى ولم يضره
معصيتى بل يلزم العذاب من المعصية كما يلزم الموت من السم
﴿ واعلم ﴾ أن هذه الحسرة دائمة لان منشأها تضاد صفتين
لا يزول تضادهما أبدا * مثاله ان الذى يعلق بحبل فى عنقه أو
رجله انما يتألم لتضاد الصفتين لا لصورة الحبل والتعلق لكن
صفته الطبعية تطلب الهوي الى أسفل والمنع القهرى بالحبل
يمانع الصفة الطبعية فيتولد الألم فيه من تمانعهما فكذلك
روح الانسانى من الروح الروحاني الالهى باصل فطرته فله
بحكم الطبع حنين وشوق الى عالم العلو عالم الارواح والى
مرافقة الملأ الاعلى ولكن أغلال الشهوات وسلاسلها يجذبها
الى أسفل السافلين وهي شهوات الدنيا وهي صفة عارضة قهرت
الصفة الطبعية ومنعتها عن نيل مقتضاها والألم يتولد من بينهما
والنار أيضا انما تؤلم للمضادة فان الملائم للتركيب بقاء الاتصال
والنار تضاد الاتصال بالتفريق بين الاجزاء ولو لم يكن قد
رأيت النار وسمعت بان شيئا لطيفا لينا يماس بدنك فيؤلمك

لا ستنكرته وقلت شيء لا صلابة فيه كيف يؤلم باللمس ﴿واعلم﴾ أن التضاد مؤلم سواء كان بسبب خارج أو داخل فان سم العقرب في العضو يؤلم لفرط برودته المضادة لحرارة البدن فلا تظنن أن الآلام كلها تدخل من خارج ﴿فان قلت﴾ أن العقرب انما لدغت من خارج ﴿فاعلم﴾ ان ألم السن وألم العين لا يقصر عنه وانما سببه انصباب خلط داخل مضادّ لمزاج العين والسن وليس ذلك باهون من لدغ العقرب والحية ﴿واعلم﴾ ان تضادّ الصفات في القلب يؤلم القلب ايلاماً لا ينقص عما يؤلم السن والعين ومثاله في أضعف الصفات ان البخيل المرائي اذا طلب منه عطية على ملأ من الناس عند من يريد ان يعرفوه بالسخاء يتألم قلبه لتضاد صفتين اذ البخل يتقاضاه ان لا يعطى وحب الجاه يتقاضاه ان يعطى وقلبه بين هاتين الصفتين كشخص ينشر بمنشار بنصفين فهذا مثال حسرة الفوت وعظمها بقدر ما ينكشف من جلالة قدر الفايت ولا تعلمه بالحقيقة في هذا العالم بل في عالم الكشف وهو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون ﴿واعلم﴾ ان هذه الاصناف الثلاثة لها ترتيب

﴿ فالصنف الاول ﴾ الذي يلقاه الميت المعذب هو حرقة فرقة المشتهيات وذلك تنين حب الدنيا ـ ولذلك أضيف ذلك الى القبر وانما سبق هذا لان أغلب الاشياء على قلب الميت في الحال فراق ما يفوته في الدنيا من جاه ومال ومنصب ونعمة ـ ثم بعد ذلك ينكشف له أرواح الاعمال وحقائقها القبيحة وذلك عند الانعبار التام فى الموت وبعد العهد بغشاوة صفات الدنيا * وكل ما كان اعقابه في الموت أشد فهو للكشف أقبل فيفيض عند ذلك عليه الخزي والفضيحة * ولذلك أضيف هذا الى القيامة لانه وسط بين منزل القبر وبين دار القرار * ولذلك قال الله تعالى ﴿ يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه ﴾ أى يوم القيامة ﴿ وأما حسرة فوت المحبوبات ﴾ فيستولى عليه آخرا عند القرار فى النار * ففيها يقول أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله وذلك أن بعد العهد عن الدنيا ربما يخفف عنه عذاب النزوع اليها * وطول العهد بالكشف يوجب خروجه عن خزى الافتضاح فان سورة عذاب الخزي تكون عند هجوم الافتضاح * ثم يألف الفضيحة والخزي إلفاما * ثم عند فتورهما قليلا

تنبعث حسرة الفوت اذ يظهر جلالة الفوايت ثم تبقى حسرة الفوت آخرا ويشبه ان يكون ذلك لا آخر له * وهذا كله تعرفه قطعاً اذا عرفت نفسك وعرفت انك لا تموت لكن تعمى عينك وتصم أذنك وتفلج * أعضاؤك فأما الحقيقة التي أنت بها أنت فلا تفني بالموت أصلا بل يتغير حالك فقط فيبقى معك جميع معارفك وادراكاتك الباطنة وشهواتك وانما تعذبك بفراق ما أحببت * وافتضاحك بظهور ما ينكشف في تلك الحال وتحسرك على فوات ما تعرف عظم قدره بعد الموت لا قبله وهذا كله مقدمات العذاب الحسيّ البدني - وذلك أيضاً حق وله ميعاد معلوم كما ورد به الآيُ والاخبار * فاقنع الآن بهذا القدر فان هذا الكلام يكاد يجاوز حد مثل هذا الكتاب ولا بد وان يحرك سلسلة الحمق الجاهلين ولكنهم أخس من أن يلتفت اليهم * قال الله تعالى ﴿ فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ﴾ فلنقتصر على هذا ولنختم به ﴿ أصول الاربعين ﴾ لنختم به كتاب جواهر القرآن ومن طلب مزيدا على هذا فليطلبه من كتاب ذكر

الموت من كتب الاحياء* فالغرض الاظهر من هذا الكتاب التلويحات مع التشويق الى الاستقصاء المذكور فى ذلك الكتاب ففيه تنكشف أسرار علوم الدين ولا يفتر عن طابه الا مشغوف بالدنيا لا يطلب من العلوم الا ما يتخذه شبكة للحطام وآلة لكسب الحرام فلا يناسبه علوم ذلك الكتاب ولا يناسبها اصلا البتة *

﴿خاتمة فى مناظرة النفس﴾

﴿اعلم﴾ انا قد نبهناك وشوقناك فان أعرضت عن الاصغاء أو أصغيت بظاهر قلبك كما تصغى الى الكلام الرسمى فقد خبت وخسرت وما ظلمت الا نفسك ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم أكنة ان يفقهوه وفى آذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا أبدا﴾ وان أصغيت اصغاء ذي فطنة وبصر حديد وتفكرت تفكر من له قلب عتيد * وقد ألقى السمع وهو شهيد* فأخرج عن جميع ما يسدك عن سلوك الصراط المستقيم* وما يصدعنها الا حب الدنيا والغفلة عن الله تعالى واليوم الآخر* واجتهد أن تفرغ قلبك كل يوم ساعة

عقيب صلوة الصبح وذلك عند صفاء الذهن * فتفكر فى شأنك وتنظر فى مبدئك ومعادك * وتحاسب نفسك * وتقول لها انى مسافر وتاجر * وربحي سعادة الابد ولقاء الله تعالى * وخسرانى شقاوة الابد والحجاب عن الله تعالى * ورأس مالي عمري وكل نفس من الانفاس كنز من الكنوز وجوهرة من الجواهر اذ تجارته به سعادة الابد * وأي كنز أعظم من هذا * واذا فنى العمر انقطعت التجارة وحصل اليأس * وهذا اليوم يوم جديد قد أمهلني الله تعالى فيه ولو توفانى لكنت أشتهى ان يرجعنى الى الدنيا لاعمل صالحا * فاحسبي يانفسى انك توفيت ورجعت الى الدنيا يوما واحدا * واجتهدي فى هذا اليوم الواحد * وانظرى لنفسك فان لم تمهلي للغد فقد استوفيت ربح هذا اليوم ولم تحسرى * وان أمهلت فاستأنفي للغد مثل ذلك ولا تخدعي نفسك بتمني العفو فان ذلك ظن قد يكذب ولا ينفع التحسر ثم هب أنه قد عفي عنك أليس قد فاتك ثواب المحسنين وناهيك به حسرة وندامة * فاذا قالت نفسك ماذا أعمل وكيف اجتهد * فتقول أترك مايفارقك بالموت والزمى بدك اللازم

وهو الله تعالى واطلبي الانس بذكره * فاذا قالت فكيف أترك الدنيا فقد استحكمت علايقها في قلبي *فتقول اقبلي على قطع علايقها من باطن القلب كما أعلمناك في الاصول العشرة من المهلكات* ففتشي عن أغلب علاقة من علائقها من حب مال أو جاه أو حسب أو عداوة أو شهوة بطن أو فرج أو غير ذلك من المهلكات فليس الا أن يتفكر في عظم آفاتها وإهلاكها اياك * فتنبعث لمجاهدتها ومخالفة مقتضاها فقد تخلصت منها وأيدك الله بتوفيقه ومعونته *فقد ترى انك مريضة العمر مدة الحياة وقد أنبأك طبيب تظنى صدقه أن ملاذ الاطعمة تضرك وان الادوية البشعة تنفعك ألست تتصبّرين بقوله على مرارة الدواء طمعا في الشفاء* ألست تتصبّرين على الكدّ والتعب في السفر الطويل طمعا في الاستراحة في المنزل وأنت مسافرة ومنزلك الآخرة* والمسافر لايستريح ويتحمل التعب والكدّ فان استراح انقطع في الطريق وهلك *ويقول يانفس ما الذى تطلبين من الدنيا ان طلبت المال ووجدته وهيهات فتكون في اليهود جماعة أغنى منك* وان طلبت الجاه ونلت وهيهات

فيكون فى أجلاف الاتراك وحمقى الاكراد من يستولى عليك
ويكون جاهه أعظم من جاهك * فان كنت لاتدركي آفة الدنيا
وشدة عذابها في الآخرة وبلاتها أفلا تترفعين عنها لخسة
شركائها أما تعلمين انك لو أعرضت عن الدنيا وأقبلت على
الآخرة كنت وحيد الدهر فريد العصر لا يوجد في الاقاليم
نظيرك * وان طلبت الدنيا كان فى اليهود والحمقى من سبقك
بها * فأف للدنيا سبقك بها حمير * فتفكرى يانفس وانظرى لنفسك
فلا ينظر لك أحد غيرك * وكذلك لاتزال تناظر نفسك حتى
تطاوعك على سلوك الصراط المستقيم الى الله تعالى * فهذه
المناظرة أهم لك ان كنت عاقلا من مناظرة الحنفية والشفعوية
والمعتزلة وغيرهم فلم تعاديهم وتجادلهم ولا يضرك خطؤهم
ولا خطأ غيرهم ولاهم يقبلون منك ولا أنت تقبل منهم
الصواب وان صار أظهر من الشمس وتترك أعدى عدوك
بين جنبيك لا تنازعه ولا تناظره بل تساعده على مايطالبك
به من شهواته الباطلة الباطنة * فتستنبط بالفكر الدقيق الحيل
لقضاء الشهوة هل هذا الا عين الانعكاس والانتكاس على قمة

الرأس فهل رأيت قط رجلا يشاهد تحت ثوبه حيات وعقارب أقبلت عليه لتهلكه فأخذ المروحة ليدفع الذباب عن وجه غيره فهل يستحق من يفعل ذلك الا الخزي ﴿فاعلم﴾ ان هذا حالك في اشتغالك بمناظرة غيرك واعراضك عن مناظرة نفسك * وفي هذا المعرض ينكشف لك روح عملك يوم تبلى السرائر كما نبهتك على كيفية مكاشفات الآخرة باسرار الاعمال وأرواحها * وما لم تناظر نفسك مدة طويلة لا تخليك لمناجات ربك وذكره والاقبال عليه * ثم طريقك مع النفس اذا خالفتك ان تعاقبها بما يزجرها * وتعلم انها كالكلاب لا يتأدب الا بالضرب وان أردت ان تتعلم طريق مناظرتها ومراقبتها ومحاسبتها ومعاقبتها * فاطلبه من كتاب المحاسبة والمراقبة * فان هذا الكتاب لا يحتمله والله تعالى يوفقنا واياك بفضله وجوده وكرمه ﴿تم﴾

---

بعد الحمد لله والصلوة والسلام علي رسول الله * يقول مصححه وناشره المفتقر الى رحمة ربه المعيد المبدي * المحتاج الى عفوه تعالى محيي الدين الكردي * لما كانت كتب الامام الغزالي على الاطلاق * كعلاج ناجع لدواء الاخلاق بالاتفاق * وكان من بينها ﴿كتاب الاربعين﴾

الذي جعله قسما مستقلا من كتابه جواهر القرآن هو الآية الكبرى في البيان والحجة البالغـة عند ذوي العرفان ومنتهى ما تصل اليه في التفصيل قوة الانسان * وكنا في زمن احوج الى تقويم الاخلاق وتربية النفوس على الوفاق * وفقدنا المرشد الحقيقي الصافي الجوهر النقي وكان هذا الكتاب مع ما اشتمل عليه من نفائس الحكم وجوامع الكلم قد جرّ عليـه الدهر ذيل النسيان وسدل عليـه ليل الجهالة رداء الاختفاء عن العيان * أتاح لي القـدر ان عـثرت على نسخة من اصح النسخ فوجدت (مصر) مع انتشار الكتب فيهـا وكثرة المطابع بها خلوا من مثل هذا السفر الذى كان حقه ان يكتب بمـداد التبر * فتاقت نفسي الى طبعه وتعبيق ارجاء المـكاتب بنشره فوجدت مع بعض كبار مشايخ الاكراد نسخة قديمة من اصح النسخ منه مكتوبة في قرن السابع الاسلامى * فاصطحبتها لاقابل ما فيها على ما في نسختي * ثم وجدت نسخة دمشقيـة وأخري مصرية فصار اربع نسخ جمعتهـا وقابلتها حتى استخلصت من بينها نسخة خرجت بريئـة من الخطل سليمة من التحريف والزلل * ثم بذلت جهد المستطاع فى تصحيحها ولم ادع ذرة من الافكار في تنقيحها حتى بدت في عالم المطبوعات درة فريدة ولحلية الافكار خريدة وحيدة ﴿ اماموضوع الكتاب ﴾ فاسمه يغني عن بيانه * وعنوانه يكفي عن تبيانه فقد جمع مكارم الاخلاق وبث روح الحياة والوفاق * فهو فى نصحه مرشد عارف وفى وعظـه حكيم

واصف * قد سبر الاخلاق مريضها وسليمها وقوّم المعوج منها فتراه يحدث عن العيوب فيها كانه المشاهد * ويحكي عن فضائلها حديث الرائي لها والشاهد لا سيما الفه بعد الاحياء وكيمياء السعادة وغيرهما فهو زبدة الكل * وقد نجز طبعه في يوم الاربعاء الموافق ( ٥ ) رجب سنة ١٣٢٨ هجرية على صاحبها افضل الصلاة وازكى التحية

---

﴿ فهرست كتاب الاربعين في اصول الدين للامام الغزالي ﴾

﴿ القسم الاول في جمل العلوم واصولها وهي عشرة ﴾

صفحه

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة



﴿ تمت ﴾

﴿ اصلاح الخطأ والتحريف الذي وقع في هذا الكتاب ﴾

| صحيفه | سطر | خطأ | صواب |
|---|---|---|---|
| ٩ | ٧ | ايدهم | ايديهم |
| ١٩ | ١ | للمشهورات | المشهورات |
| ١٩ | ١١ | وتفييم | وتفهيم |
| ٣٦ | ٣ | والله يضاعفها | والله يضاعف |
| ٧٢ | ١٢ | حذارا | حذرا |
| ٨٩ | ٣ | مع | من |
| ٩٧ | ٣ | اولياء بعض | بعضهم اولياء بعض |
| ٩٨ | ١ | المغتات | المغتاب |
| ١٥٦ | ٢ | ينحكوا | ينكحوا |
| ١٦٠ | ١١ | واما | اما |
| ١٨٢ | ٥ | بجماله | بجمالها |
| ٢٠٦ | ٣ | والباطن | والباطل |
| ٢٦٣ | ١٢ | الموصولين | الموصلين |

﴿ تم ﴾

